مع العدد هدية الفردوس (مجلة الطفل المسلم)

منبر الإسلام

السنة (٦٠) العدد (٦) جمادى الآخرة ١٤٢٢ هـ
أغسطس - سبتمبر ٢٠٠١ م - الثمن ١٠٠ قرش

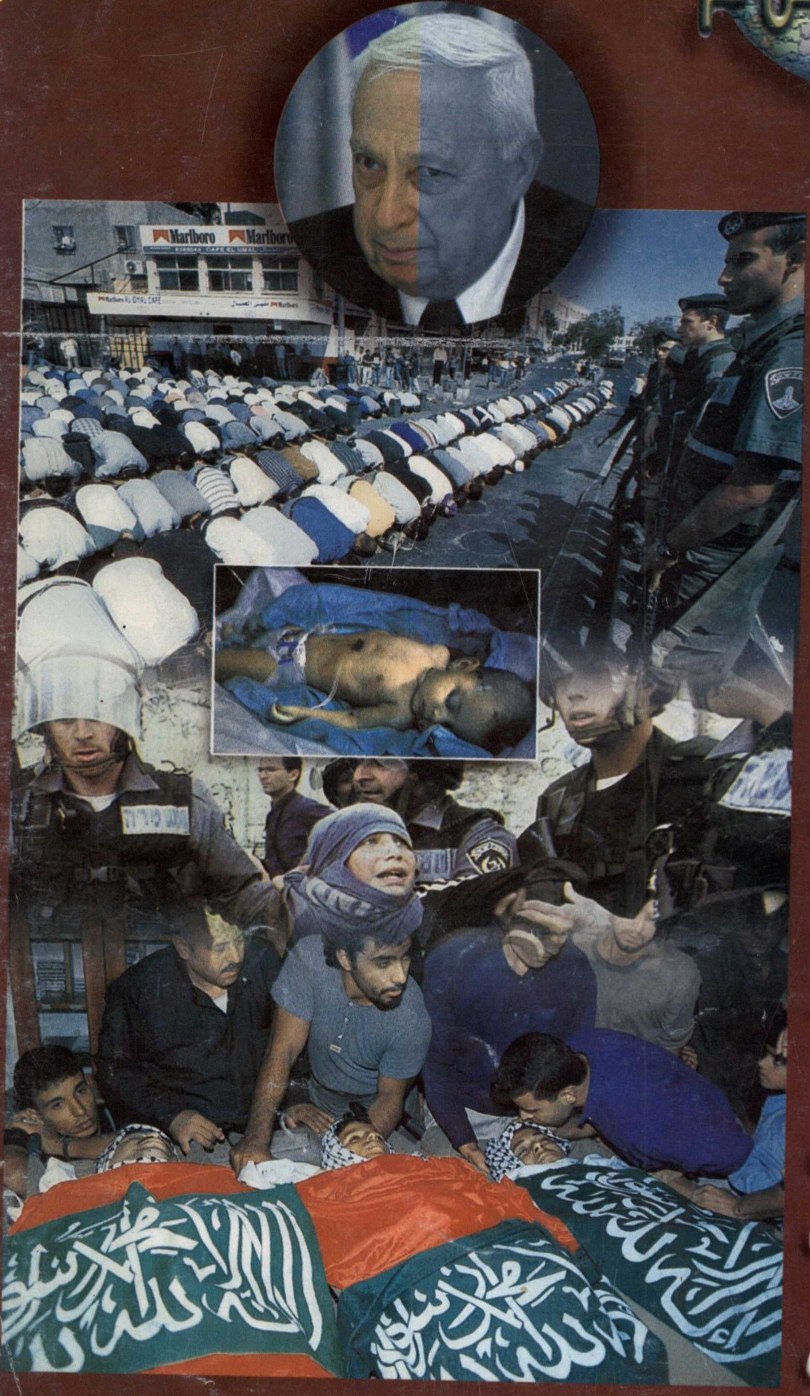

واقدساه..
بل واإسلاماه

شارون .. ميلوسوفيتش بينوشيه الأشباه والنظائر

حائط المبكى بين التزييف والأباطيل

من محتويات العدد

❖ تفسير سورة النجم
أ. د. محمد سيد طنطاوى
❖ واقدساه.. بل وإسلاماه!!
أ. د. عبدالصبور مرزوق
❖ دفاع عن حجية السُنة
أ. د. أحمد عمر هاشم
❖ شارون، ميلوسوفيتش، بينوشيه: الأشباه والنظائر
د. عبدالله الأشعل
❖ قادة الصف الثانى فى حركة الفتوحات الإسلامية
د. حامد غنيم أبو سعيد
❖ الطفولة فى الإسلام
أ. د. محمد حسن غانم
❖ آيات الله فى خلق القلب
أ. د. عبدالمعبود عمارة

غلاف الشهر

● يأتى غلاف هذا الشهر معبرا عن الصور البشعة والجرائم التى ترتكب فى حق شعب أعزل يتصدى لكل أنواع القهر والعدوان الذى لم يرحم شبابا ولا شيوخا ولا أطفالا.. ندعو الله أن يخلصه منها بانتفاضة أقوى.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالقاهرة

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : صوفى أبو طالب

الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

الدكتور : أحمد هيكل

كلمة التحرير

عزيزى القارئ يصدر هذا العدد والساحة العربية والإسلامية تشهد أحداثا مؤسفة لم يشهدها التاريخ منذ أمد بعيد على مرأى ومسمع من العالم الذى يدعى حماية حقوق الإنسان، فالعالم يغمض عينيه عن الجرائم التى ترتكب بحق الشعب الفلسطينى والاعتداء على أراضيه والمقدسات الإسلامية.

هذا وقد دخلت الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة منعطفا خطيرا مع تصاعد العنف الإسرائيلى ضد الفلسطينيين، وكشفت إسرائيل عن قناعها الإرهابى الحقيقى وعن مخططاتها لاقتلاع الشعب الفلسطينى من أراضيه وهدم مقدساته خاصة بعد المحاولة الأخيرة لوضع حجر الهيكل المزعوم بساحة الحرم القدسى الذى يهدف فى النهاية إلى الاستيلاء على الأماكن الدينية المقدسة وإزالة المسجد الأقصى.

والمشاهد أن سيناريو أحداث يوم الغضب الفلسطينى يؤكد للمرة الألف أننا أصبحنا أمام مرحلة تحول خطيرة إما نكون فيها أو لا نكون، وإما أن تتحول لغتنا من البيانات الإنشائية المليئة بالتنديد والشجب ونبقى خاملين لا نشكل خطرا، وبالتالى نشجع المعتدى على تصعيد عدوانه طالما لا يخشى لنا جانبا، وإما أن تتطابق الأقوال مع الأفعال وتتنادى الإرادات فى صحوة من أجل انقاذ وجودنا ومقدساتنا، فالخطر لم يعد بعيدا بل بات على باب كل مواطن عربى.

والمطلوب أن تتسع دائرة التحرك الجاد والعمل المباشر لحماية شعبنا العربى، وبدء خطوات عاجلة لدعم محاكمة شارون الإرهابى كمجرم حرب.

حديث الشهر

واقدساه..

ثوار الانتفاضة:

فينكم يا عرب؟ فينك يا صلاح الدين؟

أ. د. عبد الصبور مرزوق

فمتى يعلنون وفاة العرب؟ كما تساءل نزار قبانى؟ الاستشهاديون هم الحل

التحدى الوقح والعدوان الموغل فى البشاعة على الإنسان والأرض والمبانى والمؤسسات إلى النساء والأطفال الفلسطينيين لا يحتاج إلى بيان ولا تحتاج إدانته إلى محققين سواء على مستوى تقرير لجنة السيناتور «ميتشل».

لكن الانحياز الأمريكى البغيض المشجع والمؤيد للتبجح الإسرائيلى الوقح يجعل آلة الحرب الإسرائيلية تزداد توقحا ويزداد عدوانها بشاعة.

وهذا ليس جديدا لا على العالم ولا على العرب الأشاوس الذين اجتمعوا فى قمة بعد قمة وقالوا كلاما وأطلقوا شعارات عودتنا سوابق الأحداث أنها جميعا بلا مضمون ولا تنتهى إلى عمل!

بل واإسلاماه؟!!

وهنا تكمن المأساة!!!

فضمير عالمنا الغربى المسيطر تقبض عليه أمريكا ولا تسمح لغيرها بأن يكون له مكان أو دور أو قرار فى حل المشكلة (مشكلة الحق المضيع فى الشرق الأوسط وأرض فلسطين التى باتت ومن عليها من البشر وما عليها من الحيوان والشجر والنبات.. باتت مسرحا مفتوحا للعربدة الإسرائيلية التى يشهدها العالم صباح مساء على شاشات التليفزيون!!

❖❖❖

ولست ألوم العالم الغربى على موقفه المتخاذل من قضية فلسطين لأنه يرى موقفا عربيا وإسلاميا أشد تخاذلا وعجزا مشحونا كل صباح بالكلمات الجوف والشعارات المفضوحة والمخزية عن مساعى ومفاوضات ولقاءات السلام المزعوم بين أولئك وهؤلاء!!

العالم الغربى يعلم جيدا أن العرب لن يصنعوا شيئا لا ترفعا ونبلا وحرصا أكيدا على السلام، ولكن لأنهم عجزة ماتت فيهم إرادة الجهاد وجدية اتخاذ الموقف الملائم فراحوا يمضغون الكلمات الجوفاء عن سلام مزعوم هو فى حقيقته استسلام مفضوح.

وهنا تكمن المأساة؟!!

وهنا تصبح المخاوف المتوقعة أمرا قائما بالفعل سيتم تحققه بين عشية وضحاها؟!!

الأقصى سيهدمونه، والهيكل المزعوم سيزرعونه فى ساحته وسيمضى الإسرائيليون صوب أهدافهم هدفا وراء الآخر حتى يقترب اليوم الذى تتحول فلسطين كلها إلى أرض إسرائيلية يكون الفلسطينيون فيها أقلية لاجئة.

العالم الغربى يعى جيدا حقيقة وإمكانية العرب فى مواجهة التحدى الإسرائيلى.

والعالم الغربى يعى جيدا أن العرب لن يجرؤا على اتخاذ أى موقف جاد حيال الدعم الأمريكى لإسرائيل.

ولن يستطيعوا حتى مقاطعة البضائع الأمريكية!! فكيف يطمع العرب فى تحرك أوروبى أو غربى أو حتى روسى إذا كانوا وهم أصحاب القضية يقفون هذا الموقف المخزى والمتخاذل؟!

❖❖❖

لا تلوموهم ولوموا أنفسكم

هذه رؤيتى لطبيعة هذه المأساة.. وعيبنا أننا ننكر عليهم عدوانهم وإجحافهم البين بالحقوق الفلسطينية، وننكر عليهم أنهم يحاولون زرع الهيكل وأنهم.. وأنهم .. القوم فى مواقفهم هذه ينطلقون من معتقد دينى يعتزون به ويحاولون تطبيقه مهما يكن فى تطبيقه من عدوان على أى شعب أو أية أمة.. دون أى اعتبار لمعانى الحق والعدل أو أى مراعاة لما يسمى بالشرعية الدولية أو غير الدولية.

هكذا يتصرفون

وهكذا يسعون إلى فرض باطلهم بكل الوسائل الشرعية وغير الشرعية.

نحن العرب الأماجد

فنتصرف بأسلوب المستضعفين فى الأرض ونؤكد - كل صباح - عجزنا عن اتخاذ الموقف المناسب للحدث المناسب.

بل نقابل القتل والهدم والترويع بأكاذيب الشجب والإدانة والاحتجاج الذى أصبحنا به سخرية العالم.

❖❖❖

الاستشهاد هو الحل

إن الحدث أكبر من كل ردود الفعل العاجزة والمهينة التى تصدر عنا نحن أصحاب القضية.

ولقد صنع هذا الاستخذاء غضبا عارما فى ساحة الانتفاضة وخرج الثوار يهتفون:

فينك يا مصر؟..

فينك يا صلاح الدين؟

فينكم يا عرب؟

وفى مناخ العجز العربى القاتل: خرج أحد الاستشهاديين وفجر نفسه مع أحزمة الديناميت شمال تل أبيب فقتل من الإسرائيليين تسعة عشر (١٩) وجرح أكثر من سبعين.

وكان لهذا العمل الفردى المجيد دويه الهائل الذى أحدث حالة من الرعب المخيف فى المجتمع الإسرائيلى وأشعر العالم كله أن القضية لن يحلها العدوان الإسرائيلى ولا الصمت العالمى ولا العجز العربى وإنما يحلها هؤلاء الاستشهاديون العظماء الذين استطاع نظراؤهم من رجال «حزب الله» فى لبنان أن يحملوا اليهود على الهرب فرارا من جنوب لبنان قبل أن تحصدهم صواريخ الكاتيوشا ورصاصات القناصة المجاهدين.

❖❖❖

يأيها العرب الأشاوس..

يأيها المسلمون فى كل مكان..

إن الاستشهاد هو الحل - ولا حل غيره.. فاختاروا لأنفسكم.

ادع معنا

والدة على الجيلانى الفلسطينى الذى أطلق النار على الجنود الإسرائيليين بالقرب من وزارة الدفاع فى تل أبيب ترفع صورته بعد أن قتلته القوات الإسرائيلية

اللهم ثبت أقدام المجاهدين فى سبيلك، وسدد رميهم، وانصر سعيهم، وردّ غائبهم، وتقبّل شهيدهم

اللهم ثبت قلوب أمهات الشهداء، وألحقنا بهم على الشهادة فى سبيلك دفاعا عن قدسك، ومسجدك الأقصى وأرض المسلمين

اللهم اخذل أعداءك وأعداء المسلمين من اليهود

اللهم أرنا فيهم يوما تبطل فيه باطلهم وتعز فيه أولياءك، وتهدم فيه بنيانهم، وتزلزل الأرض تحت أقدامهم، وتشتت جمعهم وتحصيهم عددا، وتفرقهم بددا، وتشف صدور قوم مؤمنين، وتذهب غيظ قلوبهم

اللهم وحد كلمة المسلمين واجمع قلوبهم على ذكرك وانقلهم من مواطن سخطك إلى مواطن رضاك ووفقهم للعمل بما يرضيك وبما فيه حسن عبادتك وعمارة أرضك وتبليغ دعوتك، والخير للناس.. آمين

في ذكرى أيامنا الخالدة

حين كان المسلمون سادة أهل الأرض

شعر: محمد التهامى

تَعالى أيُّها الذّكْرى ... وطُوفى مَرَّةً أُخْرَى
أعيدى فى مَسامِعنا ... حديثًا يسكبُ السِّحرا
ويَسْرى فى عُذوبتهِ ... نداءٌ يسلبُ الفكْرا
ويَنْدى من بشاشَتِه ... وينشُر حولنا العِطْرا
وقولى كيف هلَّ النورُ تحمل كَفّهُ الفَجرا
وكيف أَفَاقت الدُّنيا ... وهَزَّتْ قلبَها البُشْرى

وكيف ارْتَدَّ وجهُ الأرضِ ينْضحُ كلُّهُ بِشْرا
وكيف اهْتَزَّ هذا الكوْن لما أَدْرَكَ الأمْرا
بأنّ اللهَ قد أَلْقَى إلى أكْوانِنا سرًّا
يَشُقُّ مجاهلَ الدُنيا ويلمع فى الدُّجى بَدْرا
يُحيلُ تَقَلُّبَ الإنسان فى سَوْءَاته طُهْرا
ليصبح بين كلّ الخلق أعلَى منهمُ قَدرا

❖❖❖

وقُولى كيف فَاضَ الخيرُ يمحو حولَهُ الشّرًّا
وكيف تَألّقَ الإيمانُ يَطوى البغْىَ والكُفْرا
وكيف تبسَّمَ الجلمود فى الصَّحراءِ واخْضرّا
وكيف تَدفّقَ الإنسانُ فى دَرْبِ الهُدَى سَيْرا
وكيف غَدا ترابُ الأرض فى راحاته تِبْرا

وكيف سَعَتْ له الدنُيا ... تردُ جهادَهُ نَصْرا
وكيفَ تسامتْ الدنُيا ... بدين ينشرُ الخَيْرا
وماسَتْ رايةُ الإسلامِ ... فى عَلْيائها فَخْرا
تَعالى أيُّها الذِّكْرى ... فأنتِ بحالِنا أدرَى
تنَاءَى نورُك الغالى ... فطالَ الليلُ واسْتَشْرَى
وَضِعْنا فى غياهبِهِ ... وأصبح عيشُنا مُراً
وهُنَّا فى حساب الكون لم ... نبلغْ به صِفْرا
وإن كُنَّا ملايينا ... فنحن الأمَّةُ الصُّغْرَى
تَحُفُّ بنا من الأطْماع ... ما قد جَاوزَ الحصْرا
فنحنُ بموجةِ الأطماع ... لا نَلْقى لنا بَراً
فَطوراً نلتوى ذُعْراً ... وطورا نَنْطَوى قَهْرا
نموتُ وتَحْتَ أرجلنا ... تُرابٌ يُنْبِتُ العُمْرا
وتقتُلنا جراحاتٌ ... تشق بِنَابِها الصَّخْرا
تَعالى أيها الذّكْرى ... لعلّ جراحَنا تَبْرا
ويُوقِظُنا دبيبُ الفجْر ... يدخلُ نورُه القَبْرا
فَيَحْيا بين أعظُمنا ... ضياءٌ قد غَفا دَهْرا

شارون
ميلوسوفيتش
بينوشيه

الأشباه والنظائر

"لا يشك أحد من المراقبين أن القرن الحادى والعشرين هو عصر الشعوب وأن الفظائع التى ارتكبت ضد الإنسان خاصة خلال النصف الثانى من القرن العشرين أثبتت أن العهد الذى قطعته «شعوب» الأمم المتحدة على نفسها فى ديباجة الميثاق بتجنيب الأجيال القادمة ويلات الحروب لم يتحقق بل ازدادت المأساة تعقيدا."

د. عبدالله الأشعل

وإذا كانت الشعوب لم تظهر بشكل ساطع فى عمليات التغيير والتصدى للقمع خلال القرن العشرين إلا بصورة منعزلة ومتقطعة وبشكل خاص عندما أعادت رومانيا سيناريو الثورة الفرنسية ضد دكتاتورها تشاوشيسكو عام ١٩٨٩م وضد الشاه قبله عام ١٩٧٩م، فإن اضطراد حالات التحول الكبرى على يد الشعوب تصنع ظاهرة فى القرن الحادى والعشرين على النحو الذى شاهدناه فى بقاع متعددة أبرزها يوغوسلافيا والفلبين وأندونيسيا، وفى تايلاند، وكوريا الجنوبية وغيرها على الطريق، ولكن اللافت للنظر أنه فى حالة يوغوسلافيا ارتبطت الحركة الشعبية التى قهرت ميلوسوفيتش على قبول نتائج الانتخابات الرئاسية والتسليم بفشله باتجاه آخر وهو التأكيد على أن هذا الفشل فى كسب ثقة الناخب سببه عجزه عن رؤية المصلحة الوطنية الحقيقية للبلاد وعدم

شارون حصل على تفويض من شعبه لارتكاب جرائمه ضد الفلسطينيين منذ بدء انتفاضة الأقصى فى سبتمبر ٢٠٠٠م

جدارته بالتالى بهذه الثقة، وهو ما مهد الطريق إلى المطالبة بمحاكمته داخليا أو دوليا أساسها وطنى وبعضها يتعلق بالخط الوحشى فى سياساته إزاء البوسنة وكوسوفو.

تلك إذن حقيقة لابد من لفت النظر إليها، فالقرن الجديد هو قرن الشعوب ووعيها بحقوقها وتدخلها عند اللزوم لاقتضائه ولو بالقوة، وهو قرن العدالة الدولية مهما كان قدر القفز على هذه العدالة أحيانا لاعتبارات سياسية محدودة. ولاشك أن كلا من شارون وميلوسوفيتش وبنيوشيه قد دخلوا التاريخ الوطنى والعالمى بصور متفاوتة، واجتمع الثلاثة عند علامات الشبه والوفاق كما افترق الثلاثة فى جوانب أخرى تثير فضول القارئ وتدفع إلى التقصى، ولكن هذا التقصى سوف يضع القارئ حتما أمام سؤال أكثر إلحاحا وهو هل يمكن أن يلقى شارون مصير بنيوشيه كحد أدنى، أو مصير ميلوسوفيتش كحد أقصى وما قيمة أن تجرم أعمال شارون ذى الشعبية الواسعة من منظور التراكم السياسى والثقافى بسبب داناته المتكررة على تقبل المجتمع الدولى بحق للمساواة فى الطبيعة بين الصهيونية والجريمة العنصرية بحيث يتسنى تجريم الصهيونية هى الأخرى.

يشترك أقطاب الإجرام الدولى الثلاثة فى أن رصيدهم ومشروعهم الإجرامى جعل كلا منهم بحق علما ظاهرا على المستوى الوطنى والدولى، كما يشترك الثلاثة فى أن جرائمهم تخطت المستوى الوطنى إلى المستوى العالمى، ولكن شارون يتميز عليهم جميعا ويتقدمهم بلا جدال، فإذا كان بينوشيه قد جاء إلى الحكم فى شيلى فى انقلاب عسكرى ضد الرئيس أليندى الماركسى المنتخب عام ١٩٧٣م، فإن الجنرال شارون قد تسلم الحكم مطلوبا بشدة من شعب إسرائيل بتفويض كاسح من الناخبين، وتفويض سياسى من حكومة الوحدة الوطنية، فهو بخلاف الجنرال بنيوشيه يتمتع بشرعية دستورية واضحة فى إطار نظام ديمقراطى متطور، وبمباركة فى الحالين من الولايات المتحدة لاعتبارات متفاوتة.

من ناحية أخرى ارتكب بنيوشيه جرائمه ضد شعب شيلى وضد أجانب مما أحنق عليه شعبه الذى نظر إليه بوصفه مغتصبا للسلطة وعميلا لواشنطن، أما ميلوسوفيتش فقد ارتكب جرائمه ضد البوسنيين والكروات والكوسوفا دفاعا عن الصرب واعتبر لذلك بطلا قوميا بعض الوقت ولكن فظائعه لم يحتملها أى ضمير، فانفض الناخب من حوله طلبا للنجاة من هذا الكابوس الذى تسبب فى عمليات حلف الأطلنطى ضدها عام ١٩٩٩م. وعلى نحو ما فعل بنيوشيه، فإن ميلوسوفيتش ارتكب جرائمه ضد شعبه أيضا، وتجاوز فى ممارساته البربرية كل حدود لعلاقة الحاكم بالمحكوم مهما اشتد حرص الحاكم على المحافظة على تماسك الدولة وسلامتها الإقليمية ضد النزعات العرقية والانفصالية، فقد مضى

اطفال فلسطينيون يتظاهرون أمام مكتب الأمم المتحدة فى بيروت للمطالبة بالتدخل الدولى لحمايتهم من العدوان الإسرائيلى

ذلك الزمن الذى كان فيه الحاكم يعتبر أن علاقته بشعبه شأن داخلى لا يجوز التدخل فيه، وإن ذلك من صور حق الدولة - معبرا عنها برئيسها وحكومتها وليس شعبها - بتحقيق المصير دون أن يؤدى الإقرار بذلك إلى أن يكون البديل هو التدخل الإنسانى الدولى.

يشترك ميلوسوفيتش مع بنيوشيه أيضا فى أنهما خارج السلطة وأن التهم الموجهة إليهما تتعلق بإبادة الجنس وجرائم الحرب وانتهاك حقوق الإنسان، ولكن موقف واشنطن من كليهما ومن محاكمته مختلف وأساس هذا الموقف المعلن والمستتر مختلف هو الآخر، فقد سعت واشنطن إلى إسقاط ميلوسوفيتش ربما بوصفه زعيما شيوعيا سابقا، وربما لعجز أوروبا عن إدارة أزمة أوروبية بالأساس، ثم سعت إلى استبداله، ثم تسليمه للمحكمة الجنائية، أما بنيوشيه رجل واشنطن فلم تستعد واشنطن بتعقبه قضائيا فى لندن حتى لا تؤدى محاكمته إلى محاكمة السياسة الأمريكية ورموزها حينذاك.

الحركة الشعبية قهرت ميلوسوفيتش وأرغمته على التسليم بفشله فى نتائج الانتخابات الرئاسية

من ناحية أخرى فإن لشارون وضعا خاصا متميزا من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن شارون قد حصل على تفويض من شعبه لارتكاب جرائمه ضد الشعب الفلسطينى منذ انتفاضة الأقصى فى سبتمبر ٢٠٠٠م، وعلى مباركة من واشنطن على ذلك، بيد أن هذه الجرائم تضع شارون فى موضع المخلِّص والساعى إلى جلب الأمن للمواطن والمكانة للدولة بصرف النظر عن الطابع الإجرامى لمشروعه وأفعاله.

الوجه الثانى: أن شارون يرتكب جرائمه، ليس ضد شعبه كما فعل بنيوشيه وميلوسوفيتش، وإنما ضد شعب آخر هو صاحب الحق فى كل الأرض المغتصبة والمستهدف من جانب شارون فى بقائه وحقوقه، وهو ما يجعل شارون فى وضع أسوأ من قرينيه.

الوجه الثالث: إذا كان لشارون سجل حافل فى إبادة الشعوب العربية المجاورة فيما كشفت عنه جرائم قتل الأسرى المصريين، وضحايا قانا وصبرا وشاتيلا وضحايا انتفاضة الأقصى وغيرهم، فإن شارون أحد أبطال سلسلة القادة الصهاينة الذين صنعوا أمجادهم من المآسى والجرائم ضد الشعوب العربية، بينما جرائم قرينيه شخصية ولا تخص سواهما فى تاريخ بلديهما.

الوجه الرابع: إن مطاردة شارون بدأت وهو لايزال فى السلطة، مما يؤذن بما هو أسوأ بعد تركه لها، بينما بنيوشيه كان قد رتب حتى لا تثار جرائمه فى بلده مقابل ترك السلطة، وأن هذه الجرائم أثيرت لأول مرة خلال زيارة بنيوشيه عضو مجلس الشيوخ لبريطانيا عام ١٩٩٨م.

وكذلك الحال بالنسبة لميلوسوفيتش الذى سانده الصرب فى جرائمه ولم يكن متوقعا أن تتحول صورة البطل عندهم إلى مجرم تلاحقه دواعى بطولته، لولا تحريك الموقف من الخارج كما رأينا.

سيأتى اليوم الذى يفيق فيه شعب إسرائيل ويسلم شارون وأقرانه للمحاكمة الدولية

ويقف شارون الآن فى وضع متميز، فلاشك أن بطولته فى نظر شعبه ستظل لصيقة بشخصه سواء بقى فى السلطة أو تركها وأن أى مساس بشارون سوف يستثير كل أسلحة الصهيونية العالمية بدءا بمعاداة السامية، ولذلك لا يتوقع أن يحاكم فى إسرائيل عن جرائمه، ولكن المتوقع أن يضيق الخناق حوله وتكثر أوامر القبض والتوقيف ضده مما يشكل ضغطا هائلا عليه وعلى حكومته ودرسا لكل الذين يستهينون بكرامة الإنسان تحت إغراء القوة الباطشة، وقد يأتى اليوم الذى يفيق فيه شعب إسرائيل فيظهر نفسه بتسليم شارون وأقرانه للمحاكمة الدولية حتى تصبح هذه المحاكمة حقا أداة لفرض هيبة القانون والمجتمع الدولى وليس سلاحا سياسيا تحركه دوافع وطنية مشبوهة.

قراءات فى تراثنا الأدبى والنقدى

مع المتنبى فى شعر الوصف

وصف الحالات النفسية (٢)

أ. د/ طه مصطفى أبو كريشة

لعبد القاهر الجرجانى حديث عن الأثر النفسى الذى يترتب على الاستعانة بالصور البيانية فى تصوير المعانى العقلية، وهو فى هذا يعود إلى أمور لها اتصال وثيق بما فطرت عليه النفس، وكأنه يشير بذلك إلى أن من شأن النفس أن ترتاح إلى ماهو أوفق لها، وما ليس بغريب عنها، وأن الأمر المقدم فيها خطاب الحس والشعور والعاطفة والوجدان، قبل أن يخاطب العقل والفكر..

ومما قاله حول هذا الأثر «أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى إلى جلى، وتأتيها بصريح بعد مكنى، وأن تردها فى الشىء تُعلمها إياه إلى شىء آخر هى بشأنه أعلم، وثقتها به فى المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر، إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس، أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر، وضرب آخر من الأنس وهو ما يوجبه تقدم الإلف.. ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس من طريق الحواس والطباع، ثم من جهة النظر والروية، فهو إذن أمسّ بها رحما، وأقوى لديها ذمما، وأقدم لها صحبةَ» أسرار البلاغة ١٣٧.

وقد أدلى المتنبى بدلوه فى هذا المجال، وحفل شعره بكثير من أمثلة هذا النوع من الصور البيانية، ومن ذلك قوله فى وصف طول الليل:

أعزمىَ طال هذا الليل فانظر
أمنك الصبح يفْرَقُ أن يؤُوبا
كأن الفجر حِبٌّ مستزار
يراعى فى دُجنته رقيبا
كأن نجومه حَلى عليه
وقد حذيت قوائمه الجبوبا(١)
كأن دجاه يجذبها سهادى
فليس تغيب إلا أن يغيبا
أقلب فيه أجفانى كأنى
أعدّ به على الدهر الذنوبا

فالليل هو الليل لا يطول ولا يقصر عن زمنه المحدد فى كل ليلة، وإنما هو الشعور النفسى الذى يخيل بهذا أو بذاك لملابسات نفسية، وحالات شعورية عاطفية يمر بها مستطيل الليل أو مستقصره، وفى هذه الأبيات رأينا كيف طال ليل المتنبى، لأنه ينتظر مجىء الصباح حيث عزم على أمور عظيمة يصنعها فى النهار، ومن ثم كان الترقب والتطلع لبزوغ الفجر وأفول النجوم.

وهنا نرى التحويل للمشاعر العقلية إلى أمور محسوسة عن طريق التخييل، وتكون أول صورة تقابلنا بعد نداء العزم نداء من يعقل ويعى هى (أمنك الصبح يفرق أن يئوبا)، والخطاب هنا لعزمه المستقر فى نفسه، والذى جسمه فى صورة محسوسة يخافها الصباح، ويخشى لقاءها، وبهذا

يفسر لنفسه تفسيرا مقنعا سبب إبطائه فى المجىء، وعدم ظهوره فى موعده من واقع شعوره الحقيقى الكامن فى الأعماق.

وتأتى الصورة الثانية فى البيت الثانى كله:

كأن الفجر حب مستزار
يراعى من دجنته رقيبا

وفيها يصور الفجر محبوبا تُطلب زيارته، فيخاف من الليل الذى تحول إلى رقيب يرصد تحركاته، ويرقب خطواته، وتكون النتيجة تجنب الاقتراب منه، وإيثار البعاد عنه، والاختفاء منه، ومن هنا كان الليل لا فجر له، ولا أمل فى انقضاء ساعاته.

ويأتى البيت الثالث ومعه صورتان تصوران ثبات الليل ووقوفه فى مكانه:

كأن نجومه حلى عليه
وقد حذيت قوائمه الجبوبا

فالنجوم جواهر تلمع فى الظلام، وهى حلى ملازم على صدر الليل تجملا وتزينا، فلا قبل لأحد أن ينزع هذا الحلى من مكانه، ويفرق بينه وبين من اتخذه زينة يباهى بها الناظرين (كأن نجومه حلى عليه).

وفى الصورة الثانية من البيت (وقد حذيت قوائمه الجبوبا) نرى الشاعر يشخص الليل بإنسان انتقلت قدماه بالأرض، مع ما تعرفه عنها من الثقل وكبر الحجم، فما أشبه الحذاء حينئذ بالقيود الثقيلة التى تمنع الحركة، وتعوق عن الانطلاق، وكذلك كان حال ليل المتنبى، الذى يذكرنا بليل امرئ القيس، الذى جاء فى وصف طوله:

فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مُغار الفتل شُدت بيذبل

كأن الثريا علقت فى مَصَامها
بأمراس كتّان إلى صُمّ جندل

إنه الليل نفسه العاجز عن الحركة، أو الذى توقفت فيه دورة الأرض..

ويواصل المتنبى تصويره لطول الليل فى البيت الرابع:

كأن دجاه يجذبها سهادى
فليس تغيب إلا أن يغيبا

ولما كان السهاد لا ينقضى عند المهمومين، فإن الليل يجذبه السهاد إليه بجاذبية شبيهة بجاذبية الأرض لا ينقضى أيضا، ومن ثم يظلان معا متلازمين، إذ لو كان النوم لما وجد الإحساس بطول الليل، ولما كانت منه شكوى (فليس تغيب إلا أن يغيبا).

وهنا يأتى السؤال: ماذا كان يصنع المتنبى فى هذا الليل الطويل؟ يجيب عن ذلك فى البيت الأخير:

أقلّب فيه أجفانى كأنى
أعُدّ به على الدهر الذنوبا

فالمتنبى دائم اليقظة، منفتح الأجفان، يحصى على الدهر ذنوبه وسيئاته التى لا تحصى، ونحن نعلم كيف كان المتنبى موتورا من دهره وأن الدهر لم ينصفه، وأنه ابتلى فيه بكثير من الحساد والأعداء، وأنه لم ينل ما كان يود الوصول إليه، وقد عبر عن ذلك فى قوله من هذه القصيدة البائية:

عرفت نوائب الحدثان حتى
لو انتسبت لكنت لها نقيبا

فليس ببعيد علينا هنا أن نستشف غيظه من هذا الدهر - الكثير الذنوب معه، والذى عرف الكثير من نوائبه حتى أصبح بها خبيرا خبرة النقباء العارفين.

وإذا كان المتنبى يصف طول الليل، فلماذا لم يكتف بوصف واحد، أو بصورة واحدة؟ إن كثرة هذه الصور تعنى أن الصورة الواحدة لم تستنفد شعوره وإحساسه، أو أنها لم تقنعه بأنه قدم وصفا دقيقا للموصوف، ومن ثم أخذ يستعين بالصورة بعد الأخرى زيادة فى دقة الوصف، وترجمة قولية متكررة عن شعور دفين مايزال يملأ عليه أقطار نفسه.

❖❖❖

ومن صورة الليل الطويل ننتقل مع المتنبى إلى صورة الأرق الذى يعترى المهمومين لأمور عارضة، تشغل بالهم، وتسلب منهم هدوء النفس، وسكينة

القلب والفؤاد، ومن ذلك قوله فى مقدمة قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

وهبت السُّلُوَّ لمن لامنى

وبت من الشوق فى شاغل

كأن الجفون على مقلتى

ثياب شُققِن على ثاكل

ومع أن أمثال هذه المقدمات الغزلية متكلفة، إلا أن ذلك لم يمنع الشاعر من أن يحاول أن يعطى صورة للأرق الذى يدعيه، بسبب هذا الشوق الذى شغل قلبه، وأطار النوم من أجفانه. وكما ترى فإنه لجأ إلى استخدام الصورة البيانية التى يحيل عليها السامع، حتى يعلم مقدار اليقظة التامة التى هو عليها فى ليل شوقه، والثياب المشقوقة إلى آخرها تعطينا معنى الانقطاع التام وعدم التلاقى بين الطرفين، وهو ما يريد تصويره لعدم انطباق أجفانه (كأن الجفون على مقلتى ثياب شققن) ثم يأتى قوله (على ثاكل)، ليؤكد عدم التلاقى لأن من شأن المرأة الثكلى التى تخرج عن صوابها وتفقد اتزانها أن تشق الثياب إلى نهايتها لحزنها الزائد الذى كان فوق الاحتمال، وبذلك تحقق معنى عدم تلاقى جفونه لأرقه وهروب النوم من عينيه، وعدم تصور انطباقهما مرة أخرى وهو فى هذه الحالة من الشوق الطاغى.

ويعود المتنبى إلى هذا المعنى فى موطن ثان، محاولا أن يصور عدم تلاقى الأجفان لما به من أرق وسهاد، فيقول من مقدمة قصيدة:

أعيدوا صباحى فهو عند الكواعب

وردُّوا رقادى فهو لحظ الحبائب

فإن نهارى ليلة مُدْلهمّة

على مقلة من بعدكم فى غياهب

بعيدة ما بين الجفون كأنما

عقدتم أعالى كل هدب بحاجب

فالجفون المتباعدة التى لا تتلاقى حيث جفاها الكرى لبعد الأحبة، هى شبيهة بالجفون التى علقت أهدابها العليا بما يجاورها من الحواجب وحيث علقت وأمسكت فلا اتصال مع الأهداب السفلى، فكيف يزور النوم العيون وهى مفتوحة أبدا؟! وتلك هى حاله وقد تعلق قلبه بمن ظعن ورحل من الأحبة.

وفى موضع ثالث نرى الخيال يمد المتنبى بصورة أخرى يعلل بها مايعتريه من الأرق عندما يكون هناك هجر وخصام بينه وبين من يعشق ويحب، هذه الصورة نراها فى هذا البيت:

كأن سهاد الليل يعشق مقلتى

فبينهما فى كل هجر لنا وصل

وجوهر الصورة كامن فى كلمة (يعشق) فالعشق يعنى الشغف والمصاحبة الدائمة بين السهاد والعين عند حدوث الهجر بين الحبيبين، وباستخدام هذه الكلمة مع السهاد استطاع الشاعر أن يصل إلى ما يريد أن يبينه من مقدار الأرق الذى حل به، واغتال النوم من عينيه.

ومن صور المتنبى الآسية الموحية تصويره لإهماله الأدبى وهو فى رحاب كافور الإخشيدى وذلك فى قوله:

يقول لى الطبيب أكلت شيئا

وداؤك فى شرابك والطعام

ومافى طبه أنى جواد

أضر بجسمه طول الجمام

تعود أن يغبر فى السرايا

ويدخل من قتام فى قتام

فأُمسِكَ لا يطال له فيرعى

ولا هو فى العليق ولا اللجام

إنها صورة توحى بحب المتنبى للحركة والعمل، وكراهيته للقعود والكسل، وذلك عن طريق وصف الجواد بأنه مرض من الراحة بعد أن كان دائم العدو فى غبار المعارك.

وبعد: فتلك أمثلة من كثير يظهر فيها كيف أجاد المتنبى وصف المعانى العقلية كما أجاد من قبل وصف الحالات النفسية..

هامش:

١ ـ الجبوب: الأرض الغليظة.

القرآن الكريم وعلومه

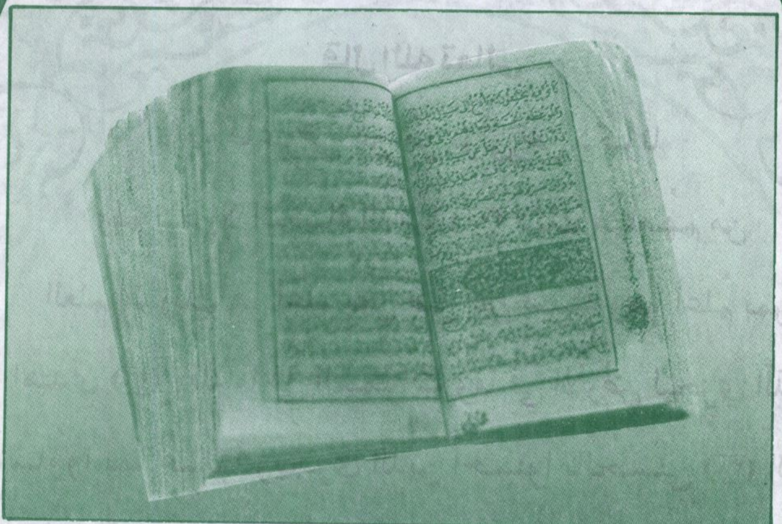

- تفسير سورة النجم
- خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف
- الزيتون الشجرة المباركة

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة النجم

لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ
الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
اهْتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ
يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ
الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ
فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢) ﴾

النجم : ٢٩ ـ ٣٢

١ ـ تحدثت الآيات السابقة عن جانب من مزاعم المشركين، ومن دعاواهم الكاذبة، وردت عليهم بأسلوب منطقى سليم، حيث ساقت لهم الحقائق بطريقة يغلب عليها طابع الموازنة والمقارنة والاستشهاد بالواقع، ووضع أيديهم على أماكن الدواء، إن كانوا ممن يريدونه ويبحثون عنه.

ثم جاءت هذه الآيات الكريمة من سورة النجم، لتأمر النبى ﷺ أن يمضى فى طريقه الذى حدده الله تعالى له وأن يعرض عن هؤلاء المشركين إلى حين، لعلهم بعد ذلك يفيئون إلى رشدهم، ويعودون إلى صوابهم، ويتدبرون أمرهم بعد أن طال عكوفهم على اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

٢ ـ والفاء فى قوله سبحانه: **﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾** للإفصاح عن كلام مقدر يفهم من السياق.

وأصل الإعراض: لفت الوجه عن الشىء، لأن الكاره لشىء يبتعد عنه، ويعطيه ظهره بدل وجهه.

والمراد بالإعراض هنا: ترك هؤلاء المشركين فى طغيانهم يعمهون إلى حين، وعدم الحرص على مناقشتهم أو مجابهتهم بالحقائق بعد أن طال الحديث معهم بلا جدوى.

والمعنى: إذا كان الأمر كما ذكرنا لك ـ أيها الرسول الكريم ـ من أن هؤلاء المشركين، ما يتبعون فى عقائدهم إلا الظن الباطل، وإلا ما تشتهيه أنفسهم، فاترك مجادلتهم، ولا تهتم بهم، بعد أن بلغتهم رسالة ربك، فإنهم قوم قد أصروا على عنادهم، وعلى الإدبار عن وحينا وقرآننا الذى أنزلناه إليك، ولم يريدوا من حياتهم إلا التشبع من زينة الحياة الدنيا، ومن شهواتها ومتعها.

ومن كان كذلك، فلن تستطيع أن تهديه، لأنه آثر الغى على الرشد، والضلالة على الهداية، وجىء بالاسم الظاهر فى مقام الاضمار، فقال سبحانه: **﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾**، ولم يقل: فأعرض عنهم، لبيان ماتؤذن به صلة الموصول من علة الأمر بالإعراض عنهم، وهى أنهم قوم أعرضوا عن الوحى، ولم يريدوا سوى متع دنياهم، وأما ما يتعلق بالآخرة فهم فى غفلة عنه.

٣ ـ وقوله سبحانه وتعالى: **﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾** تسلية له ﷺ عما أصابه منهم، وتحقيرا لهم ولأفكارهم، وتهوينا من شأنهم.

أى: ذلك الذى تراه منهم من التولى عن قرآننا، ومن العكوف على أصنامهم، ومن الحرص على زينة الحياة الدنيا، هو منتهى علمهم، ولا علم لهم سواه.

فاسم الإشارة «ذلك» يعود إلى المفهوم من الكلام السابق، وهو توليهم عن القرآن الكريم، وتكالبهم على الحياة الدنيا، وانصرافهم عن الرشد إلى الغى.

وفى هذه الجملة الحكيمة ما فيها من التسلية للرسول ﷺ، ومن التهوين من شأن أعدائه، ومن الازدراء من علمهم الذى أدى بهم إلى إيثار الشر على الخير، والعاجلة على الآجلة.

ومثل ذلك: **﴿ولله المثل الأعلى﴾** كمثل إنسان عاقل محترم، يتطاول عليه صبى سفيه، فيريد هذا الإنسان العاقل أن يرد عليه، فتقول له أنت: يا فلان، أمثلك فى عقلك ومنزلتك يلتفت إلى سفاهة هذا الصبى الأحمق؟ لا، هذا لا يليق بك، فإن ما صدر منه هو نهاية علمه بأقدار الناس، وأنت أكبر من أن تتأثر بجهل هذا الجاهل!!

٤ ـ وقوله ـ عزوجل ـ فى نهاية هذه الآية الكريمة: **﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾**: تعليل آخر للأمر بالإعراض عنهم، والإهمال لشأنهم، وتسلية أخرى له ﷺ ليزداد إيمانا على إيمانه، وثباتا على ثباته.

أى: عليك أن تمضى فى طريقك ـ أيها الرسول الكريم ـ وأن تهمل هؤلاء الجاحدين المعاندين، الذين أصروا على عدم الاستجابة لك، بعد أن سلكت معهم كل وسيلة تهديهم إلى الحق، إن ربك

- أيها الرسول الكريم - هو أعلم بمن أصر من الناس على الضلال، وهو - سبحانه - أعلم بمن شأنه الاهتداء والاستجابة للحق.

والمراد بالعلم هنا لازمه. أى: ما يترتب عليه من ثواب وعقاب، ثواب للمؤمنين، وعقاب للكافرين. والمراد هنا بمن ضل: من أصر على الضلال، وبمن اهتدى: من عنده الاستعداد لقبول الحق والهداية.

وقدم سبحانه وتعالى: **«من ضل»** على **«من اهتدى»** هنا: لأن الحديث السابق واللاحق معظمه عن المشركين، الذين عبدوا من دون الله - تعالى - أصناما لا تضر ولا تنفع.

وضمير الفصل فى قوله سبحانه وتعالى: «هو أعلم»: لتأكيد هذا العلم، وقصره عليه عزوجل، إذ هو الذى يعلم دخائل النفوس وأسرارها، وكوامنها، وغيره لا يعلم شيئا من ذلك.

٥ - ثم بين سبحانه ما يدل على شمول ملكه لكل شىء فقال: **﴿ولله مافى السموات ومافى الأرض﴾** أى: ولله تعالى - وحده جميع مافى السموات ومافى الأرض، خلقا، وملكا، وتصرفا.

واللام فى قوله: **﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى﴾** متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام السابق.

أى: فعل ما فعل سبحانه من خلقه للسموات والأرض وما فيهما، ليجزى يوم القيامة الذين أساءوا فى أعمالهم بما يستحقون من عقاب، وليجزى الذين أحسنوا فى أعمالهم بما يستحقونه من ثواب.

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة، يراها تقرر سنة من سنن الله تعالى التى لا تتخلف ولا تتبدل، وهى **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** الزلزلة الآيتان ٧، ٨.

٦ - ثم حكى - سبحانه - ما يدل على سعة رحمته بعباده، وأنه تعالى يعفو عن كثير من أخطاء عباده، ويتجاوز عن سيئاتهم فقال: **﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾**.

والمراد بكبائر الإثم: الآثام الكبيرة، والجرائم الخطيرة، التى يعظم العقاب عليها، كقتل النفس بغير حق، وأكل أموال الناس بالباطل.

والفواحش: جمع فاحشة، وهى ما قبح من الأقوال والأفعال، كالزنا، وشرب الخمر، وتعاطى الربا، وعطف الفواحش على كبائر الإثم، من باب عطف الخاص على العام، لأنها أخص من الكبائر، وأشد إثما.

واللمم: ما صغر من الذنوب، وأصله: ما قل قدره من كل شىء، يقال: ألم فلان بالمكان، إذا قل مكثه فيه. وألم فلان بالطعام، إذا قل أكله منه.

وقيل اللمم: مقاربة الذنب دون الوقوع فيه، من قولهم: ألم فلان بالشىء، إذا قاربه ولم يخالطه.

٧ - وجمهور العلماء على أن الاستثناء هنا منقطع، وأن اللمم هو الذنوب الصغيرة، كالنظرة الخائنة ولكن دون مداومة، وكالإكثار من الممازحة التى تؤدى إلى لغو الكلام.

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: و«اللمم» صغائر الذنوب، ومحقرات الأعمال، وهذا استثناء منقطع.

قال الإمام أحمد، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم، مما قال أبو هريرة عن النبى ﷺ قال: **«إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة..**

فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

وعن مجاهد أنه قال فى هذه الآية «إلا اللمم»: الذى يلم بالذنب ثم يتركه، كما قال الشاعر:

إن تغفر اللهم تغفر جما

وأى عبد لك ما ألما(١)

ومن العلماء من يرى أن الاستثناء هنا متصل، وأن المراد باللمم: ارتكاب شىء من الفواحش، ثم

التوبة منها توبة صادقة نصوحا.

٨ ـ ويبدو لنا أن الرأى الأول أقرب إلى الصواب؛ لأن العلماء قسموا الذنوب إلى كبائر وصغائر، وأن اللمم من النوع الثانى الذى لايدخل تحت كبائر الإثم والفواحش.

قال صاحب الكشاف: واللمم: ما قل وصغر من الذنوب. ولا يخلو قوله تعالى «إلا اللمم» من أن يكون استثناء منقطعا. كأنه قيل: كبائر الإثم غير اللمم»(٢).

وليس المقصود من قوله تعالى «إلا اللمم»: فتح الباب لارتكاب صغائر الذنوب، وإنما المقصود فتح باب التوبة، والحض على المبادرة بها، حتى لا ييأس مرتكب الصغائر من رحمة الله تعالى، وحتى لا يمضى قدما فى ارتكاب هذه الصغائر، إذ من المعروف أن ارتكاب الصغائر، قد يجر إلى ارتكاب الكبائر. كذلك من المقصود بهذا الاستثناء: ألا يعامل مرتكب الصغائر، معاملة مرتكب الكبائر.

٩ ـ هذا، وقد أفاض الإمام الألوسى فى الحديث عن الصغائر والكبائر فقال: «والآية عند الأكثرين دليل على أن المعاصى منها الكبائر ومنها الصغائر، وأنكر جماعة من الأئمة هذا الانقسام وقالوا: سائر المعاصى كبائر. ثم قال: واختلف القائلون بالفرق بين الكبائر والصغائر فى حد الكبيرة فقيل: هى كل ما لحق صاحبها عليها بخصوصها وعيد شديد، بنص كتاب أو سنة.

وقيل: كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الديانة، واعتمد الواحدى، أنه لا حد لها يحصرها، ويعرفها العباد به، وقد أخفى الله تعالى أمرها ليجتهدوا فى اجتناب المنهى عنه، رجاء أن تجتنب الكبائر»(٣).

١٠ ـ وقوله سبحانه وتعالى: **﴿إن ربك واسع المغفرة﴾**. تعليل لاستثناء اللمم، وتنبيه علىَ أن إخراجه عن حكم المؤاخذة، ليس لخلوه عن الذنب فى ذاته، بل لسعة رحمة الله ومغفرته.

أى: أن ربك ـ أيها الرسول الكريم ـ واسع المغفرة والرحمة لعباده الذين وقعوا فيما نهاهم عنه ـ سبحانه ـ ثم تابوا إليه توبة صادقة نصوحا.

ثم بين سبحانه وتعالى أن هذه الرحمة الواسعة، صادرة عن علم شامل للظواهر والبواطن فقال: **﴿وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم﴾** أى: هو سبحانه أعلم بكم من وقت إنشائه إياكم من الأرض، ضمن خلقه لأبيكم آدم، ومن وقت أن كنتم أجنة فى بطون أمهاتكم، يعلم أطواركم فيها، ويرعاكم برحمته، إلى أن تنفصلوا عنها.

وقال سبحانه **﴿فى بطون أمهاتكم﴾**، مع أن الجنين لا يكون إلا فى بطن أمه، للتذكير برعايته ـ تعالى لهم ـ وهم فى تلك الأطوار المختلفة، من وقت العلوق إلى حين الولادة، وللحض على مداومة شكره عزوجل. وقوله سبحانه: **﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾**: تحذير من التفاخر بالأعمال والأحساب والأنساب، لأنه ـ سبحانه ـ لا يخفى عليه شىء من أحوال الناس.

أى: إذا كان الأمر كما ذكرت لكم من عدم مؤاخذتى إياكم على صغائر الذنوب، فإن ذلك بسبب سعة رحمتى بكم، فلا تمدحوا أنفسكم بأنكم فعلتم كذا وكذا من الأفعال الحسنة، بل اشكرونى على رأفتى بكم، فأنا العليم بظواهركم وبواطنكم، الخبير بأتقيائكم وأشقيائكم.

قالوا: والآية نزلت فى قوم من المؤمنين، كانوا يعملون أعمالا حسنة، ثم يتفاخرون بها. نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا جميعا ممن يقولون فيعملون، ويعملون فيخلصون، إنه على ما يشاء قدير، نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١ ـ تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٥٥.

٢ ـ تفسير الكشاف جـ٤ ص٣٢.

٣ ـ راجع تفسير الألوسى ٢٧ـ ص٦١.

لطائف وأسرار

خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف (٩)

نقص الياء (= حذف الياء) (١)

تحدثنا فى الحلقة الثامنة عن لطائف وأسرار زيادة «الياء» فى بعض كلمات القرآن الكريم، وبينا أن كل موضع زيدت فيه «الياء» أفادت تلك الزيادة معنى لطيفا، جعلت الزيادة رمزا دالا عليه.

ونتحدث هنا عن نقص «الياء» أو حذفها فى كلمات لا تكاد تحصى فى كتاب الله العزيز، لأن نقص «الياء فى بعض كلمات القرآن أكثر بكثير من زيادتها، ولم يأت هذا النقص عبثا خاليا من الدلالة، بل هو حافل بالمعانى والأسرار اللطيفة كما سيأتى:

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ
بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾
النحل آية ٣٦

قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ
ذِكْرًا ﴿٧٠﴾
الكهف آية ٧٠

قُلْ إِن
كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾
آل عمران آية ٣١

قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾
الإسراء آية ٦٢

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
يس آية ٧٨، ٧٩

د. عبد العظيم المطعنى

وهذا النقص له فصائل وتنوعات: فمنه نوع يسقط فيه «الياء» فى الخط وفى النطق، ومنه نوع يسقط فيه «الياء» فى الخط دون النطق، و«الياء» المحذوف إما ضمير المتكلم، وإما لام الكلمة (= آخر حرف فى الكلمة حسب الميزان الصرفى)(١).

ومنه ما يكون فى الأسماء وهو كثير كثرة مستفيضة. ومنه ما يكون فى الأفعال.

والياء المحذوف إما مجرور محلا بالإضافة، وإما مفعول به.

والأول خاص بالأسماء، والثانى خاص بالأفعال.

وسيأتى التمثيل لكل هذه الفصائل والتنوعات بإذن الله مع الإشارة إلى ذلك، وبيان المعانى والأسرار، التى يدل عليها النقص فى كل موضع.

الحذف فى الأفعال

وهاكم الأمثلة: ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما ءاتان الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ النمل: آية ٣٦.

حذفت «الياء» فى هذه الآية فى موضعين:

الأول: **«أتمدونن»**، والثانى **«ءاتان»**.

وظاهر أن حذف «الياء» فى الموضعين لم يكن لعلة صرفية، ولا لعلة نحوية، بل هو رمز لمعنى يدل عليه، وفى كلا الموضعين كان «الياء» ضميرا مفعولا به للفعل قبله.

والمعنى الذى رمز إليه بحذف «الياء» فى قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: «أتمدونن» الإشارة إلى ما كان يدور فى باطن سليمان عليه السلام من استبعاد نفسه عن زمرة من يرتشى بالمال. بدليل أن الاستفهام فى الآية انكارى توبيخى شديد الإنكار(٢).

أما حذف «الياء» فى الموضع الثانى «ءاتان» فإن هذا الحذف رمز به للتفرقة بين ما آتى الله رسوله سليمان عليه السلام، وبين ما آتاه الله ملكة سبأ: فالذى آتاه الله سليمان هو الحكم والكتاب والنبوة والذى آتاه الله ملكة سبأ هو المال والسلطان الدنيوى.

فعطاء الله سليمان فى الفضل فى الذروة العليا، باق إلى العلو والرفعة فى درجات الآخرة.

وعطاء الله ملكة سبأ سلطان زائل، ومال نافد لا بقاء له، وتبعته فى الآخرة ثقيلة، والحساب فيه عسير.

هذا مادل عليه نقص «الياء» فى «ءاتان» أنها معان أرق من النسيم، وأسرع لمحا من البرق.

❖❖❖

وكذلك قول الله تعالى لنوح عليه السلام: **﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾** هود: آية ٤٦.

هذه الآية توجيه من الله لرسوله نوح، حين ناداه نوح قائلا لما رأى ابنه هالكا مع الهالكين.

﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ هود: آية ٤٥.

توسل نوح إلى الله فى شأن ابنه بصلة القرابة النسبية فجاءه الرد من الله بإلغاء هذه الصلة، لأن كفر ابن نوح قطع ما بينه وبين أبيه، فهذا رسول مؤمن، وذاك كافر عنيد. والأنساب مهما قربت وتلاصقت، فلا وزن لها عند الله، وإنما الفضل - كل الفضل - للإيمان والتقوى والعمل الصالح.

والشاهد فى الآية الكريمة، هو حذف «الياء» من الفعل «تسألن» وهو حذف الخط دون النطق، والياء المحذوف هنا ضمير المتكلم، مفعول به للفعل قبله.

ومن البديه أن هذا الحذف لم يكن لعلة نحوية ولا لعلة صرفية.

وإنما هو رمز لمعنى لطيف، وسر حفيف، ذلك المعنى هو أن المسئول عنه أمر غيبى من شئون الله عز وجل لأن مافى صدور العباد لايعلمه إلا الله وحده، وتأكيدا لهذا المعنى قوله تعالى لنوح فى الآية نفسها: **﴿ماليس لك به علم﴾** تم تسمية مثل هذا السؤال جهلا: **﴿إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾**.

ويؤكد هذا المعنى اللطيف، المرموز إليه بحذف «الياء» فى «فلا تسألن» مجىء «الياء» فى نظير

هذا الفعل، فى قول العبد الصالح لموسى عليه السلام: ﴿فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ الكهف: آية ٧٠.

ثبت «الياء» هنا، ولم يحذف كما حذف فى آية «هود» الآنفة الذكر، للفرق بين المسئول عنه فى الموضعين: فالمسئول عنه فى آية «هود» كان شأنا غيبيا من الشئون التى لا يحيط بها علما إلا الله.

والمسئول عنه فى آية «الكهف» هو وقائع محسوسة لها صورة مادية فى الوجود، إذ هى:

- قتل الغلام.
- خرق السفينة.
- إقامة الجدار.

ومحال أن يكون مجىء الفعلين فى السورتين، على صورتين مختلفتين عبثا خاليا من الدلالة، ذلك ظن قصيرى النظر من الناس، فخصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف، مفعمة بالإيحاءات الصادقة، ولا يخلو موضع واحد منها من هذه الدلالات المشعة بلطيف المعانى، ودقائق الأسرار.

❖❖❖

وكذلك قوله تعالى: ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن﴾ آل عمران: آية ٢٠.

الشاهد فى هذه الآية حذف «الياء» فى الفعل «اتبعن» وقد رمز بهذا الحذف للدلالة على أن المراد من الاتباع فى الآية هو الاتباع فى «العقيدة» أى الاتباع المعنوى لا الحسى.

ويدل على ذلك قوله تعالى قبل هذه الآية بقليل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ آل عمران: آية ١٨، فقد ذكرت عقيدة التوحيد فى هذه الآية مرتين ويدل عليه كذلك قوله تعالى فى الآية نفسها: ﴿أسلمت وجهى لله﴾ والإسلام الموجه لله كناية عن قوة الإيمان بالله.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ آل عمران: آية ٣١.

ثبت «الياء» هنا؛ لأن المراد من الاتباع هو الاقتداء بالرسول ﷺ فى العمل الحسى بالجوارح، أى الإتيان بالتكاليف التى أمر الله بها، كالصلاة والصيام والزكاة، والحج، والجهاد فى سبيل الله.

ومثل الآية فى حذف «الياء» قوله تعالى حكاية لقول موسى لأخيه هارون ـ عليهما السلام ـ.

﴿قال ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا❖ ألا تتبعن أفعصيت أمرى﴾ طه: الآيتان ٩٢، ٩٣.

ضلال بنى إسرائيل المذكور فى الآية ضلال فى العقيدة حيث اتخذوا العجل إلها من دون الله، لذلك كان الاتباع الذى كان يرجوه موسى من هارون ـ عليهما السلام ـ هو حملهم على عقيدة التوحيد؛ لأن هارون لم يسلك مسلكهم فى الإيمان بالعجل إلها مع الله، أو من دون الله.

أما قول هارون عليه السلام لبنى إسرائيل: ﴿يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى﴾ طه: آية ٩٠.

فقد ثبت فيه «الياء»: «فاتبعونى» ولم يحذف لأنه أراد الاتباع فى عبادة الله عز وجل، والعبادة صور محسوسة.

يؤيد هذا المعنى قول بنى إسرائيل فى الرد على هارون فى الآية التالية لهذه الآية مباشرة: ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ طه: آية ٩١، والعكوف هو العبادة الظاهرة(٣).

❖❖❖

وقوله عز وجل حكاية عن إبليس: **﴿قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلا﴾** الإسراء: آية ٦٢.

الشاهد فى هذه الآية هو حذف «الياء» فى الفعل «أخرتن» والقياس أن يثبت: أخرتنى، وقد عورض هذا القياس وحذف «الياء» للرمز بهذا الحذف على معنى دقيق.

هو أن المراد هنا التأخير المعنوى بترك مؤاخذة إبليس على عصيانه لله عز وجل، حيث أبى أن يسجد كما أمره تكريما مأذونا فيه من الله لآدم، وليس المراد التأخير الحسى الظاهر، إنما هو إظهار الرغبة فى تأخير العقوبة، وهذا أمر معنوى عقلى غير محسوس فى الوجود الظاهر.

من النماذج التى تقدمت يبدو جليا أن حذف «الياء» يرمز به إلى الدلالات المعنوية والغيبية، وقد تأكد هذا من المقارنة بين ما حذف منه «الياء» وبين نظائره التى أثبت فيها «الياء» أصالة، مع اطراد دلالة هذا الاثبات على المعانى المادية الحسية، الظاهرة فى الوجود، وقد يأتى حذف «الياء» للدلالة على معنى لطيف غير ما تقدم نذكره إذا يسر الله الأمر، بعد سوق أمثلة أخرى قد تكون «فردية» فى آى الكتاب العزيز، ليس لها نظائر جاء «الياء» فيها مثبتا.

من ذلك قوله تعالى فى قصة صاحب الجنتين الكافر وجاره الفقير المؤمن: **﴿فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا﴾** الكهف: آية ٤٠.

هذا قول الجار المؤمن الفقير لصاحبه الكافر الغنى. حين فاخره بأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا إنه يزهو عليه بحظوظه من الدنيا، ولا أمل له فى غيرها.

فجاء رد صاحبه المؤمن الفقير يحمل هذا المعنى الكبير **«إن ترنى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك»**.

وقد حذف «الياء» من الفعل المضارع «يؤتين» مستعاضا عنه بالكسرة.

ولما كانت سنة لغة القرآن ورسمه الخطى يرمز بحذف «الياء» فى مثل هذه المقامات، كانت دلالة حذف «الياء» من الفعل «يؤتين» رامزا إلى معنى لطيف رقيق، ذلك المعنى أن الرجل المؤمن الفقير لا يرجو من الله حطام الدنيا الفانى وإنما يطلب منه نعيمه الأخروى الدائم. وهو نعيم غيبى فى علم الله، لا يحيط به أحد سواه، ولو أراد حطام الدنيا لأثبت الياء ولم يحذف.

وقد بقى «الياء» ولم يحذف فى نظير هذا الفعل فى قوله تعالى: **﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾** المنافقون: آية ١٠.

الشاهد فى الآية هو إثبات «الياء» فى الفعل «أخرتنى» وهذا هو الأصل فلا يسأل عنه، وإنما الذى يُسأل عنه هو لِمَ ثبت على الأصل ولم يحذف كما حذف فى آية «الإسراء» المذكورة قبلا.

والجواب: كان الحذف فى آية «الإسراء» للدلالة على معنوية التأخير.

ولم يحذف هنا لأن المراد من «أخرتنى» هو التأخير الحسى بتأجيل الموت إلى وقت آخر غير الوقت الذى حضر فيه الموت لقائل هذا الكلام فحذف «الياء» مع التأخير المعنوى، وثبت على الأصل مع التأخير المادى الظاهر المحسوس.

والياءات التى اعتراها الحذف والاثبات فى

جميع الأمثلة التى تقدم ذكرها ضمائر متكلمين، وموقعها من الإعراب مفعول به.

❖❖❖

وقوله عز وجل مُعلِّماً خاتم النبيين: **﴿واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينِ ربى لأقرب من هذا رشدا﴾** الكهف: آية ٢٤.

والشاهد فى هذه الآية، هو حذف «الياء» من الفعل المضارع **«يهدين»** والذى اقتضى حذفه هنا، هو الذى مر ذكره فى الشواهد السابقة، وهو الرمز إلى أن المراد من الهداية أمر معنوى لا مادى محسوس.

والدليل على ذلك فى الآية نفسها قوله تعالى: **﴿إذا نسيت﴾**، والنسيان كيفية نفسية لا صورة من صور الوجود المادى المحسوس، وكذلك الهداية بمعنى التذكر بعد النسيان أمر معنوى لا مادى محسوس قارن هذا الموضع بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام **﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل﴾** القصص: آية ٢٢.

جاء الفعل هنا **«يهدينى»** بإثبات «الياء» فلماذا لم يحذف كما حذف فى نظير هذا الفعل فى آية «الكهف»؟ والجواب: أن الهداية - هنا - هداية حسية، فموسى عليه السلام لما خرج من مصر خائفا يترقب، بعد أن علم أن الملأ يتربصون به ليقتلوه، رجا ربه أن يبصره بأيسر الطرق الموصلة إلى مدين.. إذن فهى هداية حسية ظاهرة، لا معنوية مستترة.

والياء فى الموضعين ضميرا متكلمين: محمد وموسى - صلى الله عليهما وسلم -.

وكلاهما مفعول به للهداية، أو الفعل الدال عليها، ولولا هذه اللطائف والأسرار لجاء رسم هذه الكلمات جميعا بإثبات «الياء» ولما حذف «الياء» مما حذف منه، ومحال أن يُسَوَّى بين دلالتى الاثبات والحذف؛ لأن ذلك يؤدى إلى محظور فى قدسية كتاب العزيز..

❖❖❖

وحذف «الياء» كذلك فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وهو يخاطب العبد الصالح: **﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾** الكهف: آية ٦٦.

وجاء هذا الحذف رامزا إلى معنى لطيف، ذلك المعنى أن موضوع «التعلُّم» الذى يرجوه موسى من العبد الصالح غيبى يتصل ببواطن الأمور لا ظواهرها، وهى الأسباب الخفية فى:

- قتل الغلام.
- خرق السفينة.
- إقامة الجدار.

فهذه الأسباب من علم الله الغيبى، كشف عنها للعبد الصالح، ولم يكشف عنها لأحد سواه.

وإذا قارنا بين «أن يؤتين» و«تعلمن» وبين قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: **﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث﴾** يوسف: آية ١٠١، لرسخ فى وجداننا ما قدمناه من تطبيقات صائبة على القواعد، التى نص عليها العلماء، فى **«خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف»**.

فقد ثبت «الياء فى «آتيتنى» و«علمتنى» فى ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام، لأن المعنى فيهما مادى حسى، أى الوزارة، وفك رموز الرؤى المنامية.

أما معنى **«أن يؤتين خيرا من جنتك»** فهو أمر غيبى يتعلق برضوان الله، ونعيم الآخرة.

وكذلك قول موسى «أن تعلمن» فهو يتعلق

بالأسرار الإلهية وراء الوقائع الظاهرة.

وهذه إضافة قوية - أعنى المقارنة بين هاته الكلمات الأربع - لتوكيد أن «خصوصيات الرسم المصحفى» ذوات دلالات رائعة، سواء قلنا إن هذه الخصوصيات «توقيفية» أو «اتفاقية»، والخلاف بين هذين الرأيين لا يعنينا، وإنما الذى نُصرُّ عليه أن هذه «الخصوصيات» وضعت لمعنى فليست هى عاطلة عن الدلالة يستوى وجودها وعدمها، ذلك ظن يجب أن ينزه عنه كتاب الله، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزه عن العيوب وخلا من كل فضول؛ لأنه كلام من أحاط بكل شىء علما.

❖❖❖

ومن الكلمات المفردات التى حذف فيها «الياء» قوله تعالى: **﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدّا على آثارهما قصصا﴾** الكهف: آية ٦٤.

حذف «الياء» من الفعل المضارع «نبغ» للدلالة على مافى هذا السعى من «غيبيات» فالعبد الصالح لا عهد لموسى به، ولا معرفة له سابقة بما خصه الله من العلم «اللدنى» وموسى عليه السلام لم يطلب العبد الصالح لذاته وشخصه المجسم الظاهر، وإنما طلبه لما عنده من علم «لَدُنِّى» امتن الله به عليه.

وقوله تعالى: **﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾** الصافات: آية ٥٦.

حذف «الياء» من الفعل المضارع «تردين» لأن المراد منه الارداء الأخروى لا الدنيوى، بدليل قوله تعالى بعده مباشرة: **﴿ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين﴾** الصافات: آية ٥٧، وقوله تعالى: **﴿وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون﴾** الدخان: آية ٢٠.

حذف «الياء» من الفعل المضارع «ترجمون» لأن المراد من «الرجم» البهتان والتكذيب بالرسالة، فهو أمر معنوى، وليس الرجم بالحجارة، وهو أمر حسى. وجميع هذه «الياءات» المحذوفة من معمولات الأفعال فهى مفعول بها فى كل موضع.

وهى كلها ثابتة فى النطق مع حذفها فى الرسم الخطى، وقد جاء الحذف والاثبات فى آيتين متجاورتين فى قوله تعالى: **﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم﴾ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾** يس: الآيتان ٧٨، ٧٩.

حذف «الياء» من الأول «يحى» لأنه غير موجود حين تساءل عنه منكر البعث.

وثبت فى الثانى «يحييها» لأنه جواب صادق بإحياء الموتى، فكأنه لصدق الوعد به، وقرب يوم الحشر فى علم الله أحياها بالفعل، وهذا من دقائق المعانى فى هذا الرسم الحكيم.

وقوله تعالى: **﴿والليل إذا يسر﴾** الفجر: آية ٤.

حذف «الياء» فى هذا الفعل المضارع «يسر» ونابت عنه الكسرة تحت «الراء» و«الياء» المحذوفة - هنا - لام الفعل، ووزن الفعل بعد الحذف: يفع، لأنه من سرى يسرى.

أما «الياء» المحذوف من الكلمات السابقة فهى - كما تقدم - ضمير متصل مفعول به.

وعلة الحذف فى هذا الموضع «يسر» هى علة الحذف فى كل ما تقدم.

أعنى الرمز إلى التفرقة بين المعانى الذهنية المعنوية التى لا صورة لها محسوسة ماديا فى الوجود، وبين المعانى المادية المدركة بإحدى الحواس الخمس.

والمراد من «يسر» فى آية «الفجر» ليس الذهاب بالحس المدرك بالبصر، بل الذهاب المعنوى، لأن الناس لا يرون سُرى الليل بأبصارهم، وإنما يدركون ذلك «السُّرى» بعقولهم وأذهانهم.

وفى نقص «الياء» هنا لطيفة أخرى، وهى أن سُرى الليل يدل على نقصانه شيئا فشيئا.

والنقص الحسى فى صيغة هذا الفعل، الحادث بحذف «الياء» يشع منه معنى بالغ النهاية فى الدقة، وهو: نقصان الليل نفسه فى الواقع.

وهذا المعنى أشبه ما يكون بالتفسير «الإشارى» عند المتصوفة(٤).

أما قوله عز وجل: **﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمنِ﴾ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهاننِ﴾** الفجر: الآيتان ١٥، ١٦.

فقد حذف فيه «الياء» فى فاصلتى الآيتين هكذا: **«أكرمنِ» - «أهاننِ»**.

وهذا الحذف فى الموضعين رُمز به على خطأ وقع فيه الإنسان القائل هذا الكلام.

ذلك الخطأ هو أن من ينعم عليه الله، ويبسط له الرزق يعتقد أن هذا الإنعام من الله دليل على حب الله إياه وسمو منزلته عنده.

وأما من يضيق الله عليه فى الرزق، فيرى كذلك أن الله لا يحبه، وأن منزلته عنده وضيعة(٥).

ووجه الخطأ - هنا - أن كلا منهما جهل سنة لله فى خلقه، تلك السنة هى أن الله تعالى يبتلى الصالح والطالح، وأن الابتلاء (= الاختبار) يكون بالنعم كما يكون بالنقم، فليس إغداق النعم من الله على بعض عباده دليلا على فضلهم وصلاحهم عنده.

وليس ابتلاء الله أحدا من خلقه بالشرور دليلا على بغض الله إياه، وانتقامه منه.

وكان حذف «الياء» فى الآيتين مدرجا للفت الأنظار وإثارة الذهن للتساؤل عن سبب الحذف فى الموضعين ويتجه لفهم هذا المعنى اللطيف.

و«الياء» فى الموضعين ضمير المتكلم ومفعول به للفعل قبله، وبقيت الكسرة دليلا عليه.

الهوامش:

١ - الميزان يرمز إليه فى أشهر صوره بالأحرف الثلاثة: الفاء، والعين، واللام (فَعَلَ) ويسمى الحرف الأول من الكلمة الثلاثية وما ألحق بها: فاء الكلمة، والثانى عين الكلمة، والثالث لام الكلمة، فالفعل «نصر» مثلا فاؤها النون، وعينها الصاد، وراؤها اللام، وهذا الميزان يوزن به الأسماء والأفعال دون أدوات المعانى، مثل: حتى - أو - فى - على .. الخ.

٢ - ضابط الاستفهام الإنكارى أن ما دخلت عليه أداة الاستفهام منفيا، أو موجودا لكنه كان ينبغى ألا يوجد.

٣ - العكوف فى اللغة هو اللزوم. والمراد منه فى الآية لزوم بنى إسرائيل عبادتهم للعجل، وقد ورد العكوف فى لغة القرآن بمعنى لزوم العبادة عدة مرات، منها قوله تعالى: **﴿وأنتم عاكفون فى المساجد﴾**.

٤ - التفسير الإشارى هو فهم معانى من القرآن لم يدل عليها اللفظ دلالة مباشرة، ولم يدل عليها معنى اللفظ مما يسميه البلاغيون: معنى المعنى، ولا يملك القائل به دليلا عليه، كما لا يملك من ينكره دليلا على انكاره، وقد أورد منه الإمام الألوسى صورا كثيرة فى كتابه المعروف بـ«روح المعانى».

٥ - ينظر كتاب «عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل» لأبى العباس أحمد بن البناء المراكشى، نشر: دار الغرب الإسلامى (تونس) - ص٩٦.

الزيتون.. الشجرة المباركة فى القرآن الكريم

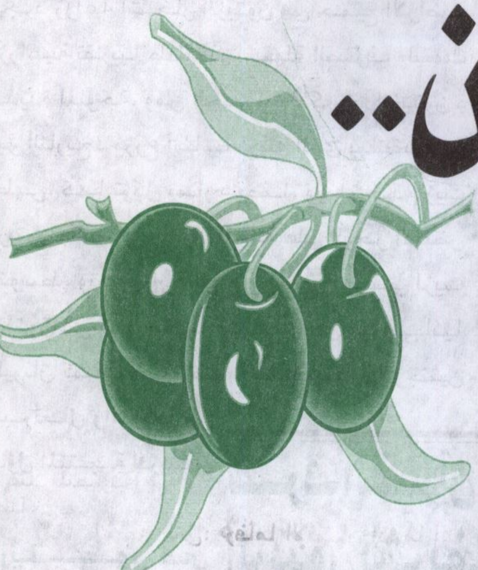

الزيتون رمز السلام، فلقد اتخذ الإنسان من غصن الزيتون رمزا للسلام، ولذلك لايزال غصن الزيتون شعارا للسلام، ومازالت شعوب الأرض تتناقل هذا الرمز جيلا بعد جيل حتى جعلته الأمم المتحدة شعارا لها.

ولاء مجدى حلمى

الزيتون عند الشعوب المختلفة:

ورد ذكر الزيتون فى الكتابات الصينية قبل خمسة آلاف سنة، كما عرفته مصر فى القرن السابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام، واهتم المصريون بزراعته التى انتشرت حينئذ فى الوجه البحرى، كما ورد ذكره فى المخطوطات الإغريقية والرومانية، وكذلك فى الشعر العربى القديم، وذكر كثيرا فى التوراة والأناجيل والقرآن الكريم.

مواطن انتشار الزيتون فى العالم:

زرع الزيتون فى أنحاء متفرقة من العالم، وتعيش شجرة الزيتون عمرا أطول من أعمار معظم الأشجار المثمرة الأخرى، فبعض أشجار الزيتون التى زرعها الإمبراطور (هادربان) فى عام ١٤٠م مازالت حية، كما أن هناك أشجار زيتون فى فلسطين يتعدى عمرها ألفى سنة، كما يوجد فى أسبانيا أشجار يعود عمرها إلى ألف سنة مضت،

وتجود زراعة أشجار الزيتون فى جميع الأراضى الزراعية تقريبا طالما أنها سهلة الصرف وليست شديدة الملوحة، ومن الجدير بالذكر أن الزيتون - عبر التاريخ - يزرع أساسا لزيته الذى يستخدم فى الطهى، كما تؤكل ثماره أيضا، ويستخدم زيت الزيتون بكثرة فى الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وتعتبر إيطاليا هى المنتج الرئيسى لزيت الزيتون فى العالم، كما تستهلك كل من أسبانيا واليونان كميات كبيرة منه، وتعد فرنسا والأرجنتين والبرتغال وأمريكا من الدول المنتجة للزيتون أيضا.

الزيتون فى الوطن العربى:

موطن الزيتون الأصلى غير معروف على وجه الدقة، إلا أن الزيتون ينمو بريا فى مناطق كثيرة من العالم، كما يقال إن سوريا هى الموطن الأصلى للزيتون حيث ينمو هناك بحالة برية، كما ينمو بريا فى منطقة جبال عسير فى المملكة العربية السعودية، وتشتهر الجزائر ودول المغرب بزراعة الزيتون واستخدامه فى نفس الوقت.

الزيتون فى القرآن والسنة:

شرف القرآن الكريم شجرة الزيتون تشريفا كريما عندما قررت آياته أن الله سبحانه وتعالى قد ضرب المثل لنوره جل شأنه بمصباح فى زجاجة يوقد بزيت شجرة مباركة زيتونة، زيتها على درجة عالية من النقاء والتركيز، بحيث جعله كأنه يضىء،

وفى ذلك يقول الله تعالى: **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم﴾** النور: آية ٣٥.

وفى هذه الآية الكريمة يشبه الله عزوجل نوره بالمشكاة، والكوة الصغيرة فى الجدار، يوضع فيها المصباح فتحصر نوره وتجمعه وهنا المصباح موضوع فى زجاجة، وهذه الزجاجة فى صفائها وحسنها تشبه الكوكب الدرى، ثم إن هذا المصباح يوقد بزيت شجرة زيتون مباركة لا شرقية ولا غربية وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى: **﴿مثل نوره﴾**، أى نوره الذى يلقيه فى قلب المؤمن فهو أشبه بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة. كما أفاض المفسرون فى تفسير قوله تعالى: **﴿لا شرقية ولا غربية﴾**، فقال بعضهم: إن هذه الشجرة موجودة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولايواريها شىء عن الشمس منذ طلوعها فى الشرق صباحا إلى غروبها فى الغرب مساء.

شرف القرآن الكريم شجرة الزيتون تشريفاً كريماً حين ضرب المثل لنوره جل شأنه بمصباح يوقد بزيت الزيتون كأنه يضىء

وأضافوا أن كل شجرة من الزيتون يكون هذا شأنها، فإن زيتها يكون أصفى الزيوت وألطفها، أما الشجرة التى تصيبها الشمس إلا فى أحد طرفى النهار فإن زيتها يكون أغلظ وأضعف نورا،

وقد وجدنا فى بعض كتب التفسير كلاما حول قوله تعالى: **﴿لاشرقية ولا غربية﴾**: يفيد بأنها شجرة فى موضع من الشجر يُرى ظل ثمرها فى ورقها، وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب، وقيل: هى شجرة وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقا ولا غربا. كما قال بعض المفسرين: إن المقصود بهذه الشجرة هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان، وقد بارك فيها سبعون نبيا، ومنهم إبراهيم عليه السلام.

وأوضح العلماء أن المضمون الذى تضمنه قول الله تعالى: **﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾**، إنما هو لجعل الناس يتصورون كمال نور المصباح وشدته، فأقوى نور كان يعرفه الناس فى الزمن القديم كان هو نور زيت الزيتون، كما أنه كان أصفى المصابيح لديهم، ما كان يوقد فى زيت زيتونة تنبت فى رؤوس الجبال أو فى الصحارى التى تصيبها الشمس النهار كله.

ولتأكيد تكريم القرآن الكريم لشجرة الزيتون فقد أقسم الله تعالى بها فى صدر سورة التين فقال: **﴿والتين والزيتون﴾** التين: آية ١، ولهذه الآية العديد من التفاسير، منها قول البعض: إن الزيتون هنا هو الزيتون الذى يعصر، وقيل: بل هو رمز لمنبت الزيتون فى الأرض، وقيل أيضا: الزيتون المقصود هنا هو (طور زيتا) فى بيت المقدس.

ويأخذنا القرآن إلى صورة حسية معبرة لنعدد مرة أخرى نعم الخالق علينا، ومن هذه النعم أن الله سبحانه وتعالى ينزل علينا المطر وينبت لنا مختلف أنواع الزروع، ومن بينها الزيتون، فيقول جل شأنه: **﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾** الأنعام: آية ٩٩،

ويقول سبحانه وتعالى: **﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾** الأنعام: آية ١٤١.

ويخاطب القرآن الكريم أصحاب العقول السليمة والبصيرة ويطلب منهم أن ينظروا ويتفكروا فى خلق الله، لأنهم هم وحدهم القادرون على التأمل والاستنتاج بأن لهذا الكون إلها واحدا لا شريك له، فيقول تعالى: **﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه ◆ أنا صببنا الماء صبا ◆ ثم شققنا الأرض شقا ◆ فأنبتنا فيها حبا ◆ وعنبا وقضبا ◆ وزيتونا ونخلا ◆ وحدائق غلبا ◆ وفاكهة وأبا ◆ متاعا لكم ولأنعامكم﴾** عبس: الآيات ٢٤ ـ ٣٢. ويقول جل شأنه: **﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ◆ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾** النحل: الآيتان ١٠، ١١.

ويستكمل القرآن الكريم رسم صورة النعم التى أنعم بها الله على العباد فيقول تعالى: **﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون ◆ فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ◆ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾** المؤمنون: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

أثبتت التحاليل الطبية أن تناول زيت الزيتون يسهم فى الوقاية من العديد من الأمراض المختلفة

ويكاد يجمع المفسرون على أن الشجرة المقصودة فى قوله تعالى: **﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن﴾** أنها شجرة الزيتون، وأن الله جل جلاله أفردها بالذكر لعظيم منافعها، وقالوا: المقصود بقوله تعالى: **﴿تنبت بالدهن﴾** هو زيت الزيتون، أما طور سيناء المذكور فى هذه الآية الكريمة فهو الجبل الذى نودى منه موسى عليه السلام.

ومن كل ما تقدم يمكننا القول بأن شجرة الزيتون قد نالت مكانة خاصة ومرموقة فى القرآن الكريم، فلقد صور الله لنا نوره بشجرة الزيتون المباركة، كما أنه اختصها بقسمه تعالى، مما يدل على عظمة المقسوم به، وهو شجرة الزيتون وما بها من منافع وفوائد إنما هى للإنسان وخدمته.

وننتقل الآن إلى السنة النبوية الشريفة، لنجد أن الرسول ﷺ قد أوصى أصحابه بشجرة الزيتون، وفى هذا روى ابن عمر - رضى الله عنهما - قول النبى ﷺ: **«ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»**، روى الترمذى فى قول النبى ﷺ: **«كلوا الزيت وادهنوا به»**. وفى بعض الأحاديث النبوية جاء ذكر زيت الزيتون مقرونا بنبات آخر هو «الورس»(١)، ومن هذه الأحاديث، حديث ذكره الترمذى فى جامعه فى حديث زيد بن أرقم عن النبى ﷺ أنه كان ينعت الزيت والورس لذات الجنب(٢)، وذكر ابن ماجه فى سننه: نعت رسول الله ﷺ لذات الجنب ورسا، وقسطا وزيتا يلد به.

عجائب شجرة الزيتون:

الزيتون أشهر نبات فى الفصيلة الزيتونية، واسمه بالإنجليزية (olive tree)، واسمه باللاتينية (Olea europaea)، وهو شجرة معمرة مستديمة الخضرة وبطيئة النمو، يتراوح ارتفاعها من ٢٠ - ٣٥ قدما، وأفرع الزيتون كثيرة العدد وتثنى إلى أسفل، ولهذا فالشجرة عموما غير منتظمة الشكل، وأوراقها بسيطة وجلدية، شكلها رمحى، كما أن لسطحها العلوى لونا أخضر داكنا بينما السطح السفلى لونه فضى، وأوراقها متقابلة الوضع، متصالبة على الساق، وتتميز بوجود طبقة سميكة من الكيوتيس، كما يوجد على سطحها السفلى شعيرات إلى الخارج مما يقلل فقد الماء، وبالنسبة لأزهارها فهى ضفيرة على هيئة عناقيد إبطية على الأفرع الحديثة، والثمار لحمية مستطيلة لونها أخضر أو بنفسجى قبل النضج، وأسود عند تمام النضج، وتحتوى الثمرة على نواة واحدة، وتبدأ أشجار الزيتون فى الإثمار ابتداء من السنة الرابعة من زراعتها. ويزرع الزيتون بطرق أهمها: البذرة والفسائل والعقل، وهناك صنفان شائعان من الزيتون، أحدهما: ثماره كبيرة تصلح للتخليل، والآخر ثماره صغيرة بها نسبة كبيرة من الزيت، بينما يتكون لب الثمرة من ٦٠: ٨٠٪ من الزيت.

القيمة الغذائية للزيتون:

أوضحت التحاليل الغذائية أن ثمار الزيتون

تحتوى على ٣٠٪ من وزنها مياه، ١٠٪ مواد سكرية، ٥٪ بروتين، ٥٢٪ زيت، ١٪ أملاح معدنية، أهمها الفوسفور والكبريت والماغنسيوم والمنجنيز والنحاس بالإضافة إلى الكالسيوم والحديد، كما تحتوى ثمار الزيتون على مجموعة من الفيتامينات (أ، ب، ج، د، ث، ف)، كذلك فيتامين هـ، فيتامين الأعصاب للرجل والمرأة على السواء، هذا إلى جانب وجود كلوروفيل، بروتين. الغلويور، ويحتوى الزيتون على أحماض دهنية غير مشبعة بنسبة ٨٥٪، وأحماض دهنية مشبعة بنسبة ١٥٪، والزيوت المستخلصة من الثمار الناضجة هى أغنى الزيوت بالفيتامينات، وثمار الزيتون قد تؤكل خضراء بعد تخليلها فى الملح، كما تؤكل سوداء بعد تمام نضجها، وفى هذه الحالة تكون كمية مابها من المواد الدهنية والبروتينية أكثر.

الفوائد الصحية والمنافع العلاجية للزيتون:

أكدت الأبحاث العلمية أن تناول زيت الزيتون يسهم فى الوقاية من العديد من الأمراض مثل: مرض شرايين القلب التاجية، ارتفاع كوليسترول الدم، ارتفاع ضغط الدم، مرض السكر، البدانة، ويقى من بعض أمراض السرطان،وتجلط الدم، التهاب المفاصل نظير الرثوى، قمل الرأس، وكذلك أضرار الإرضاع، وفيما يلى نبذة عن أهمية الزيتون للوقاية أو العلاج من هذه الأمراض:

زيت الزيتون والسرطان:

تؤكد أكثر الدراسات العلاقة الوثيقة بين تناول زيت الزيتون وانخفاض معدل حدوث بعض أنواع أمراض السرطان، ومنها سرطان المعدة، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن تناول زيت الزيتون بانتظام يمكن أن يقلل من حدوث سرطان المعدة.

سرطان الجلد القتامى: هذا النوع من السرطان ينتشر عند الغربيين من ذوى البشرة البيضاء الذين يتعرضون لفترات طويلة للشمس، وخاصة عقب السباحة، وذلك بسبب تأثير الأشعة فوق البنفسجية، وقد أجريت العديد من التجارب فى هذا الصدد وأثبتت التجارب علاج زيت الزيتون فى هذه الأورام الجلدية.

سرطان القولون: أشارت الدراسات العلمية إلى الدور الذى يؤديه زيت الزيتون مع تناول الفواكه والخضراوات فى الوقاية من سرطان القولون.

سرطان الرحم: أثبتت الدراسات العلمية فى السنوات الماضية أن زيت الزيتون يقى من سرطان الثدى، وأكدت بعض الدراسات أيضا أن تناول ملعقة من زيت الزيتون يوميا يمكن أن تنقص من خطر حدوث سرطان الثدى بنسبة تصل إلى ٤٥٪.

ننتقل من الدور الذى يؤديه زيت الزيتون فى علاج بعض أمراض السرطان إلى دوره الكبير فى علاج العديد من الأمراض الأخرى، مثل تجلط الدم وشرايين القلب التاجية.

لقد أوضح الباحثون أن الغذاء الغنى بزيت الزيتون ربما يضعف التأثير السيئ للدهون المتناولة فى الطعام على تجلط الدم، وبالتالى ربما يقلل من حدوث مرض شرايين القلب التاجية، كما ينقص أيضا من جرعات أدوية ضغط الدم حيث إن أكسدة الكوليسترول الضار عامل مهم فى إحداث تصلب الشرايين. وقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن زيت الزيتون يلعب دورا هاما فى منع تلك العملية، إضافة إلى أن زيت الزيتون يحتوى على فيتامين E المضاد للأكسدة، كما

يحتوى على مركبات البولى فينول، ومن ثم يمكن أن يقى من حدوث تصلب الشرايين.

أما بالنسبة لزيت الزيتون وانخفاض معدل الوفيات فلقد أوضحت دراسة نشرت فى مجلة «اللانست» الشهيرة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩م أن معدل الوفيات فى أفقر بلد فى أوروبا (ألا وهى ألبانيا المسلمة) يمتاز بانخفاض فى معدل الوفيات عند الذكور، وكان (٤١) شخصا من كل ١٠٠,٠٠٠ شخص، وهو نصف ما هو عليه الحال فى بريطانيا، وذلك لقلة تناول اللحوم ومنتجات الحليب وكثرة تناولهم للفواكه والخضار والنشويات وزيت الزيتون، فقد سجل أقل معدل للوفيات فى الجنوب الغربى من ألبانيا، أى فى المكان الذى كانت فيه أعلى نسبة لاستهلاك زيت الزيتون والفواكه والخضراوات.

ومن زيت الزيتون فى الطب الحديث ننتقل إلى الزيتون فى الطب الشعبى، حيث نجد أنه لايخلو كتاب من كتب الطب الشعبى فى الأدوية من عشرات الوصفات العلاجية التى يدخل فيها الزيتون، أو زيت الزيتون، ولا نجد هذه الوصفات فى طبنا الشعبى العربى فقط، وإنما هناك طب شعبى بين العديد من شعوب العالم كالصينيين والهنود وغيرهم، وللاختصار نذكر عددا قليلا لما تحتويه كتب الطب الشعبى العربى من وصفات علاجية:

لعلاج تجعدات الوجه والرقبة: يستعمل مزيج من نصف ملعقة صغيرة من زيت الزيتون وصفار بيضة، ويضاف بضع قطرات من عصير الليمون، ويدهن به مكان التجعدات ويزال الدهن بعد نصف ساعة بماء دافئ.

لعلاج تشققات الأرجل والأيدى: يصنع دهان مركب من زيت الزيتون والجليسرين بنسبة ١:١، ويدهن به مكان التشققات من ٢ إلى ٣ مرات يوميا.

للعناية بالشعر الجاف: للقضاء على مشكلة الشعر الجاف يتم إجراء حمام زيت زيتون بصفة منتظمة أسبوعيا، ثم يلف الشعر بعد دهانه بالزيت بفوطة دافئة توضع لمدة نصف ساعة، ثم يشطف الشعر شطفا خفيفا بالماء العادى.

لتقوية الأظافر: لعلاج ما يصيب الأظافر من تشوهات، مثل التقصيف المستمر، تغمس الأظافر يوميا فى كمية من زيت الزيتون مع تدليك الأظافر أثناء هذا الحمام.

لعلاج التهاب اللثة: ينصح بتدليك اللثة الملتهبة بزيت الزيتون فيساعد على تخفيف حدة الالتهابات بها.

لعلاج القوباء: القوباء هى بقع بيضاء فى الجلد تنشأ أساسا من نقص فيتامين أ فى الغذاء، ويعالج ذلك بوضع ١٠٠ جرام من ورق الزيتون لمدة أسبوع ثم تدهن به الأماكن المصابة.

وهكذا اتضح أمامنا ما لهذه الشجرة العظيمة من أهمية ممتدة عبر الزمان والمكان، أهمية غذائية وأهمية صحية، هذه الشجرة الصابرة على ظروف الزمان، القادرة على مواجهة التقلبات البيئية، هذه الشجرة التى وافقت الإنسان وأعطته الكثير، هذه الشجرة المباركة فى القرآن الكريم.

الهوامش

١ ـ الورس: شجيرة برية وزراعية من فصيلة القرانيات، أوراقها خضابية، ويستخرج منها صباغ أحمر اللون مشهور.

٢ ـ ذات الجنب: ألم الجنب.

دراسات فى السُنة المطهرة

• دفاع عن حجية السُنة

دفاع عن حجية السُنة

الحديث النبوى الشريف، حجة فى الأحكام، ومصدر ثان للتشريع بعد كتاب الله سبحانه وتعالى.

ولقد أمر الله تعالى بوجوب طاعة الرسول ﷺ، ووضح سبحانه أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - هو الذى يبين للناس ما نزل إليهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ النحل: آية ٤٤.

وقال الله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ آل عمران: آية ٣٢.

أ. د/ أحمد عمر هاشم

وقد جعل الله سبحانه وتعالى التولى عن طاعة الله، وعن طاعة الرسول كفرا، لأن من أركان الإيمان بالله: الإيمان بالرسول ﷺ، والإيمان بأن كل ما أتى به حق وصدق.

عن عمران بن حصين أنه قال لرجل: إنك امرؤ أحمق، أتجد فى كتاب الله الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد عليه الصلاة.. والزكاة.. ونحو هذا.. ثم قال: أتجد ذلك فى كتاب الله مفسرا؟

إن كتاب الله أبهم هذا، وأن السنة تفسر ذلك.

رد بعض الشبهة والطعون

ذهب بعض أصحاب الآراء الجامحة - من الفرق والطوائف - إلى إنكار حجية السنة جملة - متواترة كانت أو آحادا - مستندين فى ذلك إلى فهمهم السقيم فى مثل قوله تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء﴾** النحل: آية ٨٩، وقوله تعالى: **﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾** الأنعام: آية ٣٨.

وأصل هذا الرأى الفاسد - وهو: رد السنة والاقتصار على القرآن - أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة، والاقتصار على القرآن.. ونسبوا إلى الرسول ﷺ أنه قال: **«ماجاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فأنا قلته، وما خالف فلم أقله».**

كما استدلوا على عدم حجيتها أيضا: بنهى الرسول ﷺ عن كتابة السنة وأمره بمحو ما كتب منها.

والإجابة على هذه الشبهة تتلخص فيما يأتى:

أولا: إن قوله تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء﴾** النحل: آية ٨٩.

المراد - والله أعلم - أن الكتاب يبين أمور الدين بالنص الذى ورد فيه، أو بالإحالة على السنة التى تولت بيانه، وإلا فلو لم يكن الأمر كذلك لتناقضت الآية مع قوله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾** النحل: آية ٤٤.

ثانيا: وأما قوله تعالى: **﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾** الأنعام: آية ٣٨.

فالكتاب هو اللوح المحفوظ بدليل السياق. **﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾** الأنعام: آية ٣٨.

وعلى تقدير أنه القرآن، فالمعنى أنه يحتوى على كل أمور الدين، أما بالنص الصريح، وإما ببيان السنة له.

ثالثا: وأما الحديث الذى نسبوه إلى النبى ﷺ فزعموا - حسب ادعائهم - أنه يفيد ضرورة عرض السنة على الكتاب، فقد قال فيه الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: **«ما روى هذا أحد يثبت حديثه فى شىء صغر ولا كبر».**

وذكر أئمة الحديث: أنه موضوع، وضعته الزنادقة، قال عبدالرحمن بن مهدى: الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث، وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم، وقالوا: " نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شىء، ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفا لكتاب الله، لأننا لم نجد فى كتاب الله أنه لا يُقبل من حديث رسول الله ﷺ ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله، يطلق التأسى به والأمر بطاعته ويحذر من المخالفة عن أمره جملة على كل حال.

رابعا: وأما نهى الرسول ﷺ عن تدوين السنة: فلا يدل على عدم حجيتها، لأن المصلحة يومئذ كانت تقضى بتضافر كتاب الصحابة، وهم قلة على جمع القرآن الكريم وتدوينه وحفظه أولا: خشية أن يلتبس بغيره على البعض، فنهاهم عن تدوين السنة، حتى لا يكون تدوينها شاغلا عن القرآن أو أن النهى كان بالنسبة لمن يوثق بحفظه.

وأخيرا: فكيف يترك الاحتجاج بالسنة، اقتصارا على القرآن؟ ولا سبيل إلى فهم القرآن إلا عن طريق السنة الصحيحة التى يعلم بها المفسر أسباب النزول، والظروف والمناسبات والوقائع الخاصة التى نزلت فيها آيات القرآن الكريم، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا عن طريق السنة الصحيحة.

الرد على من ينكر الاحتجاج بخبر الواحد

من الحديث: ماهو، متواتر، ومنه ماهو آحاد، فأما الحديث المتواتر: فقد عرفه العلماء بأنه: «هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة، بأن يكونوا جميعا لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الاسناد إلى آخره».

ولذا: كان مفيدا للعلم الضرورى، وهو الذى يضطر إليه الإنسان، بحيث لايمكنه دفعه، ويجب العمل به من غير بحث عن رجاله، ولا يشترط فيه عدد معين فى الأصح.

وأما الحديث الآحاد: وهو الخبر الذى لم تبلغ نقلته فى الكثرة مبلغ الخبر المتواتر، سواء كان المخبر واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، إلى غير ذلك من الأعداد التى تشعر بأن الخبر دخل بها فى حيز المتواتر.

وقيل فى تعريفه: هو مالم يوجد فيه شروط المتواتر، سواء كان الراوى له واحدا أو أكثر.. والتعريفان يتفقان فى أن خبر الواحد لا تجتمع فيه شروط المتواتر، فهما متقاربان.

وقد اتفق جمهور المسلمين - من الصحابة والتابعين وغيرهم - على وجوب العمل بخبر الواحد، وأنه حجة، ويفيد الظن، ومنع من وجوب العمل به بعض الطوائف: كالروافض والقدرية.. وبعض المتكلمين.

والدليل على وجوب العمل بخبر الواحد ما يأتى:

أولا: قال الله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** الحجرات: آية ٦.

والنبأ: هو الخبر، وهو نكرة فى سياق الشرط فيعم كل خبر، ويدخل فيه الخبر الذى يتعلق بالرسول ﷺ قبل غيره، لأهميته، وقد أوجب الله تعالى التثبت فيه لوجود الفسق، فإذا انتفى هذا السبب بأن كان المخبر ثقة عدلا قبل الخبر من غير تثبت ولا توقف.

ثانيا: ورد فى السنة الشريفة، ما يدل على قبول خبر الواحد من ذلك: ما روى عن سفيان بن عيينه عن عبدالملك بن عمير عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه أن النبى ﷺ قال: **«نضر الله عبدا سمع مقالتى ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».**

وفى هذا الحديث يدعو الرسول ﷺ لاستماع مقالته وأدائها، ويدعو بالنضرة للقائم بذلك، فيقول: «نضر الله عبدا.. » وفى رواية «امرءا» وكل واحدة من الكلمتين بمعنى «الواحد» والرسول لا يأمر أن يؤدى عنه إلا الذى تقوم به الحجة، فدلَّ ذلك على وجوب العمل بخبر الآحاد.

وقد تواتر عن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أنه كان يبعث بكتبه ورسله، ويلزم المسلمين العمل بالآحاد منها.

ثالثا: اجماع الصحابة المستفاد من الوقائع الكثيرة التى كانت تحدث وتتواتر عنهم فى العمل بخبر الواحد، وكثيرا ما يكون لهم رأى فى أمر من الأمور، فإذا جاء خبر عن رسول الله ﷺ أخذوا به وتركوا آراءهم، كما كانوا يرجعون إلى بيت النبوة فى بعض ما يحتاجون إليه، فيسألون أمهات المؤمنين، رغبة منهم فى الوقوف على حكم النبى ﷺ فى مثل هذه الأمور، وعلى هذا المنهج سار التابعون من بعدهم.

ومما يشهد للعمل بخبر الواحد: أن الصحابة كانوا يكتفون به فيما ينزل من أحكام الدين، ولا يطلبون خبرا آخر.

من ذلك: ما روى عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال: بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن النبى قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة.

فقد أخبرهم بتحويل القبلة واحد صادق، فلو لم يكن خبر الواحد جائزا لما تحولوا إلى الكعبة بخبره.

رد بعض الاعتراضات

● قد يعترض على العمل بخبر الواحد، بتوقف بعض الصحابة فى العمل به، وطلبهم شاهدا أو يمينا.

والجواب على ذلك: أن هذا كله لم يكن لأن الحديث خبر آحاد، وإنما لزيادة التثبت فى الراوى والمروى، وشدة الحيطة فى ذلك، فربما وقع لهم الشك فى الراوى، بأن كان غير حافظ أو غير ضابط، فطلبوا الشاهد أو اليمين لذلك.

● وقد يعترض كذلك: بأن الصحابة لم يكثروا من رواية السنة، وقصروا العمل على القرآن،

والمشهور من الأحاديث واجتهدوا بالرأى بعد ذلك.

والجواب على ذلك: أنهم ما تركوا الحديث الصحيح ولا لجأوا إلى الرأى.. وتشهد بذلك الوقائع الكثيرة المأثورة عنهم، بل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: **«إياكم والرأى، فإن أصحاب الرأى أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت منهم أن يحفظوها، فقالوا فى الدين برأيهم».**

وأما ما جاء من الصحابة فى الاجتهاد بالرأى، فإنه لم يكن إلا بعد البحث عن الحديث، فإذا لم يجدوه اجتهدوا برأيهم، فإذا جاءهم - بعد ذلك - حديث عن رسول الله ﷺ، اتبعوه وتركوا الرأى، وعن عبدالله بن مسعود قال: «من عرض له منكم قضاء فليقض بما فى كتاب الله، فإن لم يكن فى كتاب الله فليقض بما قضى فيه نبيه ﷺ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله ولم يقض فيه نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله، ولم يقض به نبيه، ولم يقض به الصالحون، فليجتهد برأيه، فإن لم يحسن فليقم ولا يستحى».

شروط العمل بخبر الواحد

اشترط العلماء فى قبول خبر الواحد، ووجوب العمل به شروطا كفلت الاحتجاج به، والعمل بما فيه.

وبهذه الشروط، اندفعت الشبهة التى أثارها المشككون حول الحديث وأصبح لا مجال لطعنهم، وقولهم: **«إن الراوى يجوز عليه الكذب أو الغلط مع احتمال الصدق، فثبوت الخبر عن الرسول ﷺ غير مقطوع به».**

لا مجال لمثل هذا القول، فإن الشروط التى اشترطها الأئمة والعلماء كانت كافية فى ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب، وهذه الشروط منها ماهو فى راوى الحديث، ومنها ماهو فى متن الحديث.

أما الشروط الخاصة براوى الحديث فهى:

١ - العدالة.

٢ - الضبط.

٣ - أن يكون فقيها.

٤ - أن يعمل الراوى بما يوافق الخبر ولا يخالفه.

٥ - أن يؤدى الحديث بحروفه.

٦ - أن يكون عالما بما يحيل معانى الحديث من اللفظ.

وأما الشروط الخاصة بالحديث فهى:

١ - أن يكون متصل السند برسول الله ﷺ.

٢ - خلوه من الشذوذ والعلة.

٣ - ألا يخالف السنة المشهورة قولية كانت أو فعلية.

٤ - ألا يخالف ما كان عليه الصحابة والتابعون، وألا يخالف عموم الكتاب أو ظاهره.

٥ - ألا يكون بعض السلف قد طعن فيه.

٦ - ألا يشتمل الحديث على زيادة فى المتن أو السند انفرد بها راويه عن الثقات.

وهكذا احتاط العلماء فى قبول خبر الواحد، فاشترطوا له الشروط الكافية، ووضعوا لراويه الصفات اللازمة التى تجمع بين الثقة فى الدين، والصدق فى الحديث.

قال الخطيب البغدادى - فى الكفاية:

«وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين فى سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك، ولا اعتراض عليه».

وهكذا: وبمثل هذه المقاييس الدقيقة، والشروط القوية المحكمة، وضع علماء الحديث موازين النقد العلمى النزيه، التى لا تعرف لها الدنيا مثيلا.

مؤامرة الصمت

شعر: د/ سمير القاضى

متى يتكلم (كوفى عنان)
متى سوف يلقى علينا البيان؟
لقد طال صمتك يا سيدى
أتنطق بعد فوات الأوان؟
تكلم فصمتك أصبح عارا
وهل بعد هذا الهوان هوان؟

أتجهل أن الشعوب لديها
حقوق ومن شأنها أن تصان؟
إذا كنت تجهل حق الشعوب
فإنك أخفقت فى الامتحان
وإنى تساءلت فى دهشة
متى يتكلم كوفى عنان؟

مؤامرة الصمت قد نفدت
لتطلق للمعتدين العنان
وكيف ترى الآن مجرم حربٍ
ولست تشير له بالبنان؟
وشارون يقتل أبناءنا
وأين هو الأمن أين الأمان؟

وشارون أكبر مجرم حربٍ
طويل اليدين سليط اللسان
يعربد فى الأرض دون رقيبٍ
ويسرف فى البطش والعنفوان
مضى ينفث الحقد من حوله
ويفسد فى الأرض كالأفعوان

وأنكر كل اتفاق سلامٍ
وقوض أركانه واستهان
لقد شن حربا على أهلنا
ومازال فى الأفق بعض الدخان
وإن أشقاءنا صامدون
أمام عدو خسيس جبان

وشارون أشعل فى الأرض ناراً
وأصبح (نيرون) هذا الزمان
غدا تحرق النار من أشعلوها
غدا سوف يخسر هذا الرهان
ستنتقم الأرض من غاصبيها
ورب العباد هو المستعان

الحضارة والعلوم

- الدين والعلم والأخلاق فى شعر حافظ
- من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم
- آيات الله فى خلق القلب

آيات الله فى خلق القلب

أ.د/ عبدالمعبود عمارة

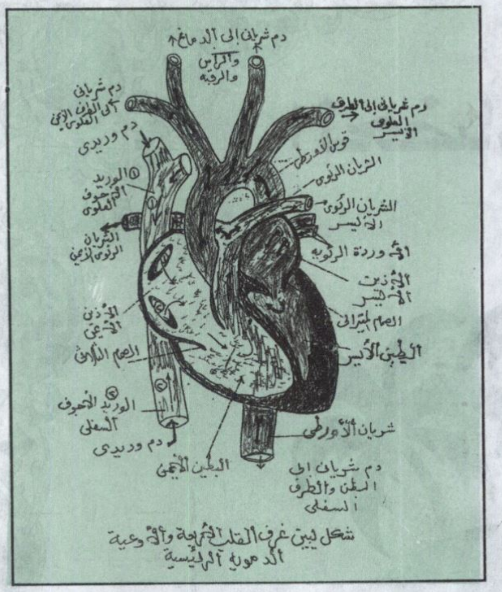

شكل يبين غرف القلب الأربعة والأوعية الدموية الرئيسية

قد يطلق الفؤاد ويقصد به القلب كقوله سبحانه وتعالى:
﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾
الإسراء: آية ٣٦

والقلب عضو النقاء والصفاء، وقد يكون مكانا للنفاق والرياء، وينسب إلى القلب أحيانا الغلظة، وهى داء من أمراض القلوب، أعاذنا الله منه، كما جاء فى قوله تعالى: **﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾** آل عمران: آية ١٥٩.

ومن أمراض القلوب الغفلة عن ذكر الله. قال تعالى: **﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾** الكهف: آية ٢٨.

وإذا زادت أمراض القلوب طمست وعميت وضلت وغوت، قال سبحانه وتعالى: **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾** البقرة: آية ٧.

وإذا طمس على القلب، والعياذ بالله تحجر، ولا تنفع فيه النصيحة والتوجيه والإرشاد وزين لصاحبه سوء عمله، قال سبحانه وتعالى: **﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة﴾** البقرة: آية ٧٤.

أما القلب السليم والقلب المنيب والقلب المطمئن فقد قال الله سبحانه وتعالى فيه: **﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم﴾** التغابن: آية ١١.

والله يؤيد وينصر صاحب القلب المطمئن بالإيمان وبالعقيدة الإسلامية الثابتة ويدافع عنه، فالقاعدة القرآنية **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾**

كما قال الله تعالى فى قصة سيدنا موسى حينما رده الله إلى أمه بعد أن ربط الله على قلبها: **﴿لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾** القصص: آية ١٠.

وأنوار القلوب لها أبواب مفتوحة لمن أراد أن يقتبس منها ومن أبوابها ذكر الله تعالى: **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** الرعد: آية ٢٨، وأن يحب المرء أخاه لا يحبه إلا لله وأن يترك النفاق والحقد والحسد، وأن يحاسب نفسه بنفسه وأن يقدم الخير للناس بدون أن ينتظر الجزاء إلا من الله، وأن يتخلى عن كل الرذائل ويتحلى بكل الفضائل، وصفة التخلى والتحلى من صفات الزهد والورع والتوبة الصادقة، قال الله تعالى: **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾** التحريم: آية ٤، وقوله سبحانه وتعالى: **﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾** الحج: آية ٣٢.

أما القلب العضوى، فهو ذلك العضو ذو الغرف الأربعة والمغلف بالغشاء التامورى ذو الثلاث طبقات والموجود بالقفص الصدرى خلف عظمة القفص مائلا لليسار وفى حجم قبضة اليد متوسطا بين الرئة اليمنى يمينا والرئة اليسرى يسارا.

والقلب هو العضو الوحيد الذى يعمل من بداية تكوينه والجنين فى بطن أمه فى الأسابيع الأولى من الحمل، ويظل نابضا منذ تكوينه فى هذه اللحظة ولا يتوقف أبدا حتى تنتهى دورة الحياة مع انقضاء الأجل.

والقلب هو العضو الذى يستقبل الدم من جميع أجزاء الجسم عن طريق الوريد الأجوف العلوى والوريد الأجوف السفلى فى غرفة الأذين الأيمن، ثم يدفع الدم عن طريق صمام ثلاثى الشرفات إلى البطين الأيمن ثم إلى الشريان الرئوى فالرئتين، حيث ينقى من ثانى أكسيد الكربون ويعود الدم مرة أخرى إلى القلب وقد تخلص من ثانى أكسيد الكربون السام إلى الأذين الأيسر عن طريق الأوردة الرئوية الأربعة، ثم يدفع الدم من الأذين الأيسر عن طريق الصمام الميترالى إلى البطين الأيسر، والذى يقوم بدفع الدم إلى شريان الأورطى، الذى يقوم بتوزيع الدم إلى جميع أجزاء الجسم.

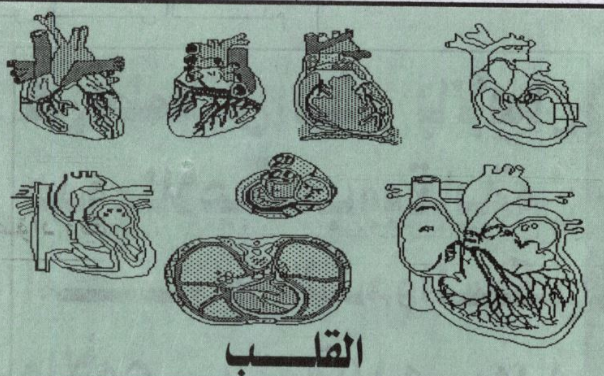

القلب

وأهم هذه الأعضاء التى يغذيها القلب هو الدماغ الذى يسيطر على جميع الوظائف الحيوية فى جسم الإنسان.

والدماغ لا يحتمل قطع الدم عنه أكثر من دقيقتين، ولو زادت الفترة عن ذلك لحدثت ولا قدر الله السكتة الدماغية، ولتوقف الدماغ ومات جذع المخ المسئول عن تنظيم الوظائف الحيوية.

فى اطمئنان النفس بالإيمان هدوء للأعصاب ووقاية من أمراض الدم والسكر والأوعية الدموية

والقلب يغذى نفسه عن طريق شريانين رئيسيين، هما الشريانان التاجيان الأيمن والأيسر، وهما يتفرعان داخل عضلة القلب إلى فروع أصغر، وهما من الأهمية بمكان لأن انسداد أحد هذين الشريانين أو أحد فروعهما يسبب، ولا قدر الله الذبحة الصدرية، والتى قد تودى بحياة الإنسان.

والسكتة الدماغية والذبحة الصدرية إنما يحدثان نتيجة لأسباب مرضية منها زيادة نسبة الدهون فى الدم (الكوليسترول)، وكذلك السمنة المفرطة وارتفاع ضغط الدم وأمراض السكر ومضاعفاته وتصلب الشرايين، كما أن للهلع النفسى والوساوس واتباع هوى الشيطان ونسيان الجانب الدينى من تربية النفس على الإيمان والقناعة وحب الناس والإيثار دورا مؤثرا على سلامة القلب.

وحينما تهدأ النفس ويهدأ الجهاز العصبى بالإيمان تختفى كثير من الأمراض العضوية كارتفاع ضغط الدم والسكر وأمراض الأوعية الدموية وغيرها كقرحة المعدة والقولون. وهذه هى سكينة النفس التى ينزلها الله تعالى على المتقين.

والقلب هو أول الأعضاء تأثرا بارتفاع ضغط الدم، لأنه كلما ارتفع ضغط الدم وزادت نسبة الدهون فى الدم، كان الإنسان أكثر عرضة لأمراض القلب وخاصة فى مرضى التدخين بأنواعه «التوباك» وكذلك فى سائر المدمنين للمخدرات والمسكرات.

ومن الأمراض التى تصيب عضلة القلب أمراض الحمى الروماتيزمية، والتى تصيب الأطفال فى سن الطفولة، وسبب هذه الحمى الروماتيزمية، والتى تؤثر بشدة فى عضلة القلب وصمامات القلب هو الميكروب السبحى أو العنقودى والذى يسبب التهابات الحلق أو الجهاز التنفسى العلوى فى الأطفال، وإذا أهمل هذا الالتهاب ولم يعالج بعناية، فإن الطفل قد يصاب بالحمى الروماتيزمية، والتى تؤثر بشدة على القلب فى هذه السن المبكرة، بل وقد يتعدى أثرها إلى الكلى، فإذا اشتكى الطفل بآلام مفصلية متنقلة وارتفاع فى درجة الحرارة، يجب عرضه فورا على الطبيب لسرعة العلاج.

وبعد هذه اللمحة ندعو الله تعالى أن يحيى قلوبنا يوم أن تموت القلوب وأن يجعلنا من الذين قال فيهم سبحانه: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾** الأنفال: آية ٢.

من الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض

تتضح منظومة السحاب والمطر والرياح من فهم الآيات التالية مرتبة حسب ورودها فى المصحف الشريف حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

١ - ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ البقرة: آية ١٦٤.

٢ - ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ الأعراف: الآية ٥٧.

د/ حسنى حمدان

٣ - ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال﴾ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال﴾ الرعد: الآيتان ١٢، ١٣.

٤ - ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ الحجر: آية ٢٢.

٥ - ﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ النور: آية ٤٣.

٦ - ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾ الفرقان: آية ٤٨.

﴿أمّن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ النمل: آية ٦٣.

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ الروم: آية ٤٦.

﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ الروم: آية ٤٨.

﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ فاطر: آية ٩.

تبدو من الآيات السابقة كمال قدرة الله المطلقة، فلا يستطيع أحد سواه أن يرسل الرياح، فهل يستطيع أحد كائنا من كان، أو قوة مهما بلغ قدرها فى عالم البشر أن يصرف الرياح فيجعل الذى يتحرك ناحية القطب ينحرف باتجاه الشرق دائما وأبدا لحفظ العزم الزاوى فوق أرض تدور.

ومن يمكنه إلزام الهواء المتحرك فى اتجاه خط الاستواء بالانحراف إلى الغرب، ومن ينشئ الدورة العامة للرياح ويتحكم فيها بحيث تكون الرياح القريبة من خط الاستواء رياحا سطحية شرقية، وتكون الرياح المدارية التى بين القطبين وخط الاستواء رياحا غربية، وتكون رياح القطب رياحا شرقية، ومن يستطيع أن يوفى الطاقة اللازمة لتصريف الرياح على مدى الكرة الأرضية فى دورة ذات ثلاث خلايا، واحدة عند خط الاستواء أو فى المنطقة الاستوائية، وثانية فى المنطقة المدارية، وثالثة عند الأقطاب، هذا بجانب أن لكل منطقة مساراتها الخاصة، إن التوازن العجيب بين مناطق الضغط المرتفع ومناطق الضغط المنخفض لآيات مدهشة فى تصريف الرياح.

ومن ثم يتضح الوجه البديع فى آية تصريف الرياح فى سورة البقرة حيث نجد تصريف الرياح معطوفا على خلق السموات والأرض، فقد ورد فى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ **«إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»**، وعن سعيد بن جبير: سئل ابن عباس عن قول الله: **«وكان عرشه على الماء»** على أى شىء كان الماء؟ قال على متن الريح.

ويحدثنا القرآن فى الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء عن أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقهما الله، ويقول الله تعالى: **﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾** فكيف كان الفتق وأى قوة حدث بها ـ الله أعلم ـ ولكن العلم يثبت أنه قد حدث دوى هائل بعد لحظة الانفجار ربما نشأت فيه ريح.

ولو لم تكن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس لما كانت هناك دورة عامة للرياح، فالرياح تعمل على حفظ العزم الزاوى لأرض تدور، وفى الآية السابقة إشارة بليغة لدوران الأرض عبر عنها القرآن الكريم باختلاف الليل والنهار، ومن هنا يتضح وجه من الإعجاز فى عطف السحاب المسخر على تصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض على دوران الأرض. والرياح سبب أساسى يرسلها الله لتجرى الفلك فى البحر، ومن ثم أيضا عطف تصريف الرياح بجريان الفلك فى البحر، وكما سيتضح بعد ذلك التلازم الوثيق بين الرياح وإنزال المطر الذى تُحيَى به الأرض والدواب.

وبهذا يتضح بجلاء الوجوه الجامعة الكلية فى آية تصريف الرياح فى سورة البقرة.

نعود أدراجنا إلى الإعجاز القرآنى العلمى حول منظومة الرياح ـ السحاب ـ المطر، حيث يجد العالم نفسه أمام مصطلحات علمية غاية فى الدقة تقدم مفاتيح لأحدث النظريات العلمية المتعلقة بالظواهر الجوية فى القرآن الكريم. من تلك المصطلحات ما يتعلق بالرياح مثل تصريف الرياح، والرياح المبشرات بالمطر والرياح اللواقح، وعن السحاب ترد مصطلحات السحاب المسخر، والسحاب الثقال، والسحاب المتراكم، وكسف السحاب، وجبال البرد، وخروج الودق من خلال السحب، وتشير الآية فى إعجاز علمى لم يدرك إلا حديثا عن مراحل تكوين السحاب من إثارة السحاب وإزجائه، وبسطه وسوقه، والتأليف بينه، وليس هناك مبالغة إطلاقا إذا قلنا (أن المفردات السابقة تمثل مسميات نظريات علمية مثل نظرية إثارة السحاب وإظهاره وبسطه، ونظرية تلقيح السحب، ونظرية التأليف بين السحب، ونظرية تكوين السحب الركامية وجبال البرد).. الخ، وسوف نشير إلى بعض من أوجه الإعجاز العلمى للآيات السابقة فيما يلى:

أولا: تلازم الرياح اللواقح وإنزال الماء.

يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾** الحجر: آية ٢٢.

● تشير فاء السببية فى قوله ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ إلى أن تلقيح الرياح للسحب يسبق إنزال المطر، وقد ورد فى تفسير الآية أن الرياح كالفحل للسحاب تقوم بتلقيح السحاب فيدر ماء، وتلقح الشجر فتنفتح عن أوراقها وأكمامها ويبعث الله الرياح على السحاب فتلقحه ماء، وقيل يبعث الله المبشرة فتقم الأرض قما، ثم يبعث الله المؤلفة السحاب، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر.

● الرياح العقيم لا تسبب مطرا، ولكن حينما تحمل ببخار الماء تكون السحاب، وتقوم الرياح بتلقيح السحاب بجسيمات دقيقة تسمى «نويات التكاثف» وقد تكون هى المراد بقوله «لواقح» التى وردت فى الآية السابقة. ويشير لفظ لواقح إلى تدافع السحاب كهربيا بالجمع بين سحب ذات كهربية موجبة وأخرى ذات كهربية سالبة. وبهذا يتضح أن تكوين السحاب يلزم أن يكون الهواء فوق مشبع ببخار ماء، وأن يكون محتويا على أنوية التكاثف، وتصف الآية بألفاظ واضحة أن التلاقح الوارد ذكره بين السحب وبعضها، أو بين قطيرات الماء وبعضها، وليس المقصود تلقيح النباتات عن طريق حمل حبوب اللقاح.

ولنتأمل معا كمية من بخار الماء قد انطلقت صاعدة إلى أعلى، وحتما سوف تنتشر فى جو السماء، ولكن يد القدرة تعمل على تجميع ذلك البخار فى هيئة سحاب، وتمده فى نفس الوقت بجسيمات دقيقة تحملها الرياح فتلقح جزيئات ذلك السحاب حتى تنمو قطيرات الماء وتلك العملية شرط أساسى لنزول المطر من السماء.

وقد ورد فى كتب التفسير أن الرياح ثمانية، أربعة منها الرحمة وأربعة منها العذاب، فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما فى البر، والعاصف والقاصف وهم فى البحر، ومن الرياح ما يلقح السحاب، تلقحه بحمل الماء كما يلقح الذكر الأنثى بالحمل.

ثانيا: تكوين السحاب

السحاب هو بخار الماء المتكثف فى طبقات الجو العليا إلى ارتفاع ١٨ كم وقد وردت بعض صفات السحاب فى آيات القرآن الكريم.

أ ـ السحاب المسخر بين السماء والأرض: سمى السحاب سحابا لانسحابه فى الهواء والمسخر أى المذلل وتسخير السحاب بعثه من مكان إلى مكان والسحاب مسخر بأمر وقدرة الله وقد روى عن أبى هريرة رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: **«بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماء فى حرة، فإذا شرجه من تلك الشراج وقد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له يا عبدالله ما اسمك؟ قال فلان الاسم الذى تسمع فى السحاب، فقال له يا عبدالله لم تسألنى عن اسمى؟ فقال: إنى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه اسق حديقة باسمك، فماذا تصنع فيها؟ قال أما إذ قلت هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثه، وأرد فيها ثلثه»** وفى رواية أخرى **«واجعل ثلثه فى المساكين والسائلين وابن السبيل»**.

وصلاة الاستسقاء التى شرعت عند طلب المطر عند القحط أو عند الجفاف وما يتبعه من هلاك الحياة واستجابة الله الفورية وإنزال المطر لدليل عملى ملموس على تسخير السحاب. وكان ﷺ إذا رأى الغيم والريح عرف ذلك فى وجهه، فأقبل وأدبر فإذا أمطر سرى عنه، وذهب عنه ذلك، وكان يخشى أن يكون فيه العذاب. قال الشافعى وروى عن سالم بن عبدالله عن أبيه مرفوعا أنه كان إذا استسقى قال: **«اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا قريعا غدقا مجللا عاما طبقا سحا دائما، اللهم أغثنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إن بالعباد والبلاد والبهائم والخلق**

من اللأواء والجهد والضنك مالا نشكوه إلا إليك، اللهم انبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء، وانبت لنا من بركات الأرض، اللهم ارفع عنها الجهد والجوع والعرى، واكشف عنا من البلاء مالا يكشفه غيرك، اللهم إنا نستغفرك، إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا».

السحاب بين الإثارة والبسط:

تبين علميا أن للرياح مركبتين، مركبة أفقية تسوق السحاب وهى المسؤولة عن عملية البسط والانتشار، ومركبة رأسية وهى المسئولة عن عملية الرفع للسحب «أقلت سحابا» ففى سورة الأعراف تقل المركبة الرأسية السحاب، وتقابلها فى سورة الروم الآية ٤٨ تلك الرياح التى تثير السحاب.

فالمركبة الرأسية للرياح هى المسئولة عن إثارة السحاب وإظهاره حيث يبرد الهواء الصاعد، وبذلك يتكثف بخار الماء غير المرئى فتتكون قطرات الماء فتظهر السحاب.

أما المركبة الأفقية فهى المسئولة عن البسط والانتشار.

يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾** الأعراف: آية ٥٧.

ويقول الله تعالى: **﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾** الروم: آية ٤٨.

ب ـ أنواع السحب:

السحب نوعان: السحب البساطية (Stratiform)، والسحب الركامية (Cumulatiform). ويشير القرآن الكريم إلى السحب البساطية.

يقول سبحانه وتعالى: **﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله﴾** الروم: آية ٤٨.

وأيضا فى قوله تعالى: **﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما﴾** النور: آية ٤٣.

وتتكون السحب الركامية من ثلاث طبقات:

١ ـ الطبقة العليا وتتكون من بلورات الثلج والبرد.

٢ ـ الطبقة الوسطى وتتكون من خليط من نقط الماء فوق المبرد وبلورات الثلج.

٣ ـ الطبقة السفلى وتتكون من نقط الماء النامية.

وتتكون السحب الركامية بالنمو الرأسى بسمك يتراوح من ١٥ ـ ٢٠ كم ودرجة حرارة من ٦٠°م إلى ٧٠°م. والسحب الركامية تكون جبال البرد التى تتكون من طبقات من الجليد وهو ماء رقيق يتجمد ويشبه صفحة الماء أو المرآة، تتبادل مع طبقات من الجمد، وهو قطع الثلج الذى يشبه القطن المندوف.

ويتراوح حجم قطع البرد النازل من السماء من حبات فى حجم بيض الحمام إلى قبضة اليد.

وغاية الإعجاز العلمى تتجلى فى سورة النور آية ٤٣ وحيث تذكر مراحل تكون السحب الركامية على الترتيب التالى:

١ ـ إزجاء السحاب **«يزجى سحابا»**.

٢ ـ التأليف بين السحاب **«ثم يؤلف بينه»**.

٣ ـ جعل السحاب ركاما **«ثم يجعله ركاما»**.

٤ ـ خروج قطرات الماء النامى من خلال السحاب **«فترى الودق يخرج من خلاله»**.

٥ ـ تكون الجبال البرد فى السماء ونزول بعضه **«وينزل من السماء من جبال فيها من برد»**.

٦ ـ الآثار الخطيرة للإصابة بالبرد على الإنسان والمنشآت والمزروعات».

٧ ـ تكون البرق والرعد.

الدين والعلم والأخلاق فى شعر حافظ

شاعر النيل شاعر عربى أصيل طالما عايش أمته، وأحس بآمالها وآلامها فهو دائما يوجه الأمة إلى التعليم والعلم، فما من مناسبة تمر بالوطن إلا ويبادر شاعر النيل بتوجيه الأمة إلى الأخلاق والعلم، فمن ذلك قصيدته التى أنشدها عند تأسيس مدرسة للبنات فى مدينة بورسعيد فى ١٩ مايو سنة ١٩١٠م ومنها:

أ.د. محمد مصطفى سلام

إنى لتطربنى الخلال كريمة
طرب الغريب بأوبة وتلاقى
وتهزنى ذكرى المروءة والندى
بين الشمائل هزة المشتاق
فإذا رزقت خليقة محمودة
فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال وذا
علم، وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدخره محصنا
بالعلم كان نهاية الإملاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده
مالم يتوج رَبُّه بخلاق

يدعو الشاعر الكبير إلى التمسك بالأخلاق، لأنها من مبادئ الدين الحنيف، وقد حث عليها رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - فقال: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**، وقال الله تعالى ماد حا رسوله الكريم بقوله تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**القلم: آية ٤، وقد تأثر الشاعر بما حث عليه ديننا الحنيف - ولذا نراه يهاجم الذين تجردوا من الأخلاق، واهتموا بذاتهم فيقول:

كم عالم مدَّ العلوم حَبائلا
لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظلَّ يرْصد فقهه
لمكيدة أو مستحل طلاق
يدعونه عند الشقاق ومادروا
أن الذى يدعون خدن شقاق
وطبيب قوم قد أحل لطبه
مالا تُحلُّ شريعة الخلاق

هاجم الشاعر هؤلاء الذين لا يفيدون وطنهم لأنهم استهانوا بالأخلاق ولم يتمسكوا بها كما أمر ديننا الحنيف بالتمسك بالأخلاق، فهذا العالم الذى جعل علمه للقطيعة والوقيعة والفراق والفقيه الذى يجعل فقهه لمكيدة أو يستحل طلاق، وبذلك يكون بعيدا عن الأخلاق والشرع، وطبيب تجرد من

الأخلاق وأحل لنفسه مالا تحل شريعة الخلاق.

ومهندس للنيل بات بكفه
مفتاح رزق العالم المطراق
تندى وتيبس للخلائق كَفَّه
بالماء طوع الأصفر البراق
وأديب قوم تستحق يمينهُ
قطع الأنامل أو لظى الإحراق
يلهو ويلعب بالعقول بيانه
فكأنه فى السحر رُقية راقى
فى كفه قلم يمُجُّ لعابه
سُمًّا وينفثه على الأوراق
يرد الحقائق وهى بيض نُصَّعٌ
قدسية علوية الإشراق
فَيرُدها سودا على جنباتها
من ظُلمة التَّمويه ألف نطاق

لقد أبدع الشاعر فى نقده لهؤلاء الذين ينحرفون، وتنهار أخلاقهم فهم نكبة على أمتهم لا همَّ لهم إلا كل ما يخصهم، لا يفكرون فيما يفيد أمتهم وينفع وطنهم، فهذا مهندس النيل يمنع الماء عن عباد الله نظير أتاوة يأخذها ممن هم فى حاجة إلى الماء، وهذا ينافى الأخلاق التى حثَّ عليها الدين وأمر بها.

ثم تحدث عن الأديب الذى لا يفيد وينفع بقلمه وفى يده قلم يقلب به الحقائق البيض فيردها سودا من التمويه والإملاق ثم يتحدث شاعر النيل عن تربية البنات ورعايتهن وإعدادهن ليكن أمهات مثاليات يخدمن وطنهن بإعداد جيل عظيم من الشباب الذى يحب وطنه ويفديه بروحه فيقول:

من لى بتربية النساء؟ فإنها
فى الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا
بالرِّىِّ أورق أيما إيراق

ثم يقول:

ربوا البنات على الفضيلة إنها
فى الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم أن تستبين بناتكم
نور الهدى وعلى الحياء الباقى

لقد أبدع الشاعر فى بيان مكانة الأم وإعلاء قدرها، فهى مربية الأجيال ومُعِدَّة الأبطال وهى المدرسة الأولى لكل زعيم أو بطل خدم وطنه وقدم له كل تضحية وفداء، وهذا كله من التمسك بمبادئ الدين والأخلاق التى يحث عليها الشاعر ويدعو إلى التمسك بها ثم نراه يحثنا على رعاية الأطفال الذين لا عائل لهم وهذه القصيدة أنشدها فى الحفل الذى أقامته جمعية رعاية الأطفال فى ٨ أبريل سنة ١٩١٠م فيقول:

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال؟
لا، بل فتاة بالعراء حيالى
أمست بمدرجة الخطوب فما لها
راعٍ هناك ومالها من والى
دانيتها ولصوتها فى مسمعى
وقع النبال عطفن إثر نبال
وسألتها: من أنت؟ وهى كأنها
رسم على طلل من الأطلال
فتململت جزعا وقالت: حامل
لم تدر طعم الغمض منذ ليالى
قد مات والدها، وماتت أمها
ومضى الحمام بعمها والخال
وإلى هنا حبس الحياء لسانها
وجرى البكاء بدمعها الهطَّال
فعلمت ما تخفى الفتاة، وإنما
يحنو على أمثالها أمثالى

فى هذه القصيدة يظهر الشاعر مدى عطفه ورعايته للبائسين والبائسات من أمته التى عايشها بإحساسه ووجدانه متألما ومواسيا حزينا باكيا لكل من يراه فى محنة، فهذه الفتاة البائسة الحزينة التى أصبحت بلا عائل يرعاها ويهتم بشئون حياتها يقف الشاعر منها موقف الراعى الأمين الذى يهتم بها ويرعى شئونها، وقد أخذها الشاعر وذهب بها إلى «دار رعاية الأطفال» فيقول:

وطرقت باب الدار لا مُتَهيِّبا

أحدا ولا مترقبا لسؤال

وإذا بأيدٍ طاهرات عُوِّدت

صنع الجميل تطوعت فى الحال

جاءت تسابق فى المبرَّة بعضها

بعضا لوجه الله لا للمال

ماذا نقول؟ وبم نصف موقف هذا الشاعر العظيم الذى عايش أبناء وطنه وبنات أمته يحس بإحساسهم ويتألم لآلامهم فكأنهم بنوه وأهله وهذا هو شاعر النيل ابن مصر الأصيل الذى ما ضنَّ يوما بشعره عن أبناء أمته فى الرعاية والتوجيه - لقد أحس الشاعر بما يعانيه أبناء شعبه وبناته، فوجه شعره إلى الأغنياء يحثهم على التبرع لرعاية المحتاجين ومواساتهم - كما أمر ديننا الحنيف برعاية أصحاب الحاجة الذين هم فى حاجة إلى من يرعاهم ويساندهم أمام أحداث الأيام، ونوائب الدهر.

أما العلم فقد اهتم به الشاعر غاية الاهتمام، لأنه طريق رقى الأمم وسبيل بناء حياتها وإعداد شبابها ليكون عدتها فى المستقبل فيقول فى الحث على بناء الجامعة، التى تكون منارة للوطن ونبراسا يهدى السائرين فى درب الحياة فيقول فى قصيدة أنشدها فى حفل أقيم فى ٨ مايو سنة ١٩٠٨م.

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا

إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا

ولا حياة لكم إلا بجامعة

تكون أما لطلاب العُلا وأبا

تبنى الرجال وتبنى كل شاهقة

من المعالى وتبنى العز والغلبا

ضعوا القلوب أساسا لا أقول لكم

ضعوا النضار فأنى أصغر الذهبا

وابنوا بأكبادكم سورا لها ودعوا

قيل العدو فإنى أعرف السببا

إن شاعر النيل مصرى غيور على وطنه، يريد له الرقى والرفعة، ولذا نراه يسخر شعره لخدمة وطنه والرقى به إلى أسمى درجات العلا، فيشارك فى افتتاح مدرسة ويسهم بشعره فى الحث على انتشار العلم وخاصة تعليم البنات، ثم يوجه نظر الأمة إلى إنشاء جامعة تكون عدة لبناء الأجيال وتحمل رسالة الوطن وتبنى مستقبله، وقد تكلم فى شعره مرارا عن أهمية العلم ومكانة العلماء فيقول فى قصيدته «مصر» تتحدث عن نفسها على لسان مصر:

قد وعدتُ العلا بكل أبىٍّ

من رجالى فأنجزوا اليوم وعدى

وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق

فالعلم وحده ليس يجدى

وتواصوا بالصبر، فالصبر إن

فاق قوما فما له من مَسدٍّ

واستبينوا قصد السبيل، وجدوا

فالمعالى مخطوبة للمجدٍّ

رحم الله شاعر النيل العظيم ابن مصر الغيور عليها وعلى مكانتها فنرى شعره منصبا على التوجيه وعلى النصح والاهتمام بشئون وطنه الذى أحبه وعايشه بحب وإخلاص، ولذا نراه قد عاش فى قلوب أمته وفى وجدانها ومشاعرها شاعرا عربيا له مكانته المرموقة وسيبقى ذكره خالدا ما بقى الجديدان.

أضواء على قادة الصف الثانى فى حركة الفتوح الإسلامية (١)

١ ـ مقدمة

حركة الفتوح الإسلامية التى غطت معظم سنوات فترة الخلافة الراشدة، هذه الحركة واحدة من أكثر الحركات المماثلة نجاحا وتوفيقا، بل إنها توضع فى الصدارة بين الحركات المماثلة على الإطلاق.

وقد تحققت لحركة الفتوح الإسلامية مكانتها المتميزة هذه انطلاقا من عدة اعتبارات في مقدمتها الاعتبار الديني، فالاعتبار الحضاري ثم تأتى بعد ذلك عدة اعتبارات بعضها جاء عوضا مثل الاعتبار السياسى أو الاقتصادى وغير ذلك.

وقد أشاد جميع الدارسين بحركة الفتوح الإسلامية حتى أولئك المستشرقون الذين يحرصون على تشويه الانجازات الإسلامية، لم يستطيعوا أن يكابروا ويضعوا هذه الحركة فى غير المكان الذى يلائمها، وخاصة من زاوية أنها حركة غيرت مجرى التاريخ، أو غيرت ثوابت الخريطة الدينية والسياسية فى منطقة شاسعة من عالم القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى).

د/ حامد غنيم أبوسعيد

إن التحولات الجوهرية التى أحدثتها حركة الفتوح الإسلامية قد دعت الكثيرين لدراسة كبار القادة الذين نيط بهم إنجاز هذه المهمة، قام بذلك باحثون مسلمون، كما قام به أيضا دارسون من غير المسلمين.

والدراسات التى تناولت كبار القادة قد أسهمت كثيرا فى إلقاء الضوء على هؤلاء الرجال، لاسيما أنهم لم يدرسوا فى كليات عسكرية، ولم يتخرجوا فى معاهد أو مؤسسات تعنى بالتخطيط العسكرى وتنفيذ العمليات القتالية، وهذه بلا مراء أحد وجوه العبقرية فى كبار قادة حركة الفتوح من أمثال أبى عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد، وسعد بن أبى وقاص، وعمرو بن العاص ـ رضى الله تعالى عن الجميع.

وأحرى بنا كدارسين ألا نحاول مزاحمة من سبقونا فى التركيز على كبار قادة الفتح، وأن نصرف اهتمامنا بدلا من ذلك إلى أولئك الذين يمكن أن نسميهم قادة الصف الثانى على أمل أن نفى للقادة من هذا المستوى ببعض مالهم علينا من حقوق.

والمقصود بقادة الصف الثانى: هم أولئك القادة الذين كانت توكل إليهم قيادة فصائل أو كتائب فى داخل الجيش الكبير، ويعملون تحت قيادة وإشراف القائد العام والذى يمكن إدراجه هو وأمثاله تحت عبارة كبار القادة أو الرعيل الأول من القادة.

وقبل الدخول فى صميم الموضوع أرى لزاما

على أن أقدم عدة نقاط تساعدنا فى تحقيق المزيد من التعرف على قادة الصف الثانى.

أولاها: كان تعيين القائد العام فى معركة من معارك الفتوح يتم من قبل الخليفة مباشرة، أما قادة الصف الثانى ففى بعض المعارك كانت أسماؤهم تحدد من قبل الخليفة، وفى بعضها الآخر كانت هذه المهمة تترك للقائد العام.

وثانيتها: كانت خطة المعركة فى إطارها العام ترسم من قبل الخليفة عمر بن الخطاب، أما الخطة التفصيلية فكان يتم وضعها من قبل القائد العام، ويشترك معه فى ذلك قادة الصف الثانى.

وثالثتها: من المستحسن أن يكون معروفا أن كثيرين من قادة الصف الثانى كانوا من ناحية السن أكبر من قادة الصف الأول، وذلك لأن اختيار القادة الكبار كان محكوما باعتبارات منها بلاؤه فى الدعوة الإسلامية ومنها علاقته المباشرة بالرسول ﷺ.

ورابعتها: من بين قادة الصف الثانى من أتيحت له الفرصة وانتقل إلى مستوى قادة الصف الأول، ومنهم من بقى دوره محصورا فى ذات الدائرة، دائرة قادة الصف الثانى.

وخامستها: لم يسجل التاريخ لأى من قادة الصف الثانى، ولاسيما أولئك الذين أبلوا بلاء حسنا فى المعارك الكبرى - لم يسجل لأى منهم أنه حاول تزكية نفسه والتعريف بدرجة إسهامه فى الانتصار الذى تحقق، وهذا يعنى أن خلق إنكار الذات شكل القاعدة التى ارتكزت عليها انجازات هؤلاء القادة.

٢- أهمية قادة الصف الثانى

وجود قادة فرعيين فى أى جيش أمر ضرورى - إذ لا يتصور لجيش مكون من بضعة آلاف، فما بالك بعشرات الألوف، أن يقوده رجل واحد هو القائد العام، مهما كانت المواهب والقدرات التى يتحلى بها هذا القائد.

وفى إطار الموازنة يرى البعض أن قادة الصف الثانى لهم أهميتهم الكبيرة فى تحديد مسار أية معركة، بل إن البعض يقول إن أهميتهم لا تقل عن أهمية القائد العام، وذلك لأن القائد العام يشرك معه قادة الصف الثانى فى وضع خطة المعركة، أما التنفيذ فعبؤه الأكبر يقع على كواهل قادة الصف الثانى، ونجاح أية معركة يرتبط بالأمرين متكاملين، التخطيط والتنفيذ، بل وقد يحدث أن يقدم أحد قادة الصف الثانى على تنفيذ حركة قتالية لم يسبق تدارسها أثناء وضع الخطة العامة، وتؤدى هذه الحركة إلى تغيير مسار المعركة لصالح المجاهدين.

وأبرز الأمثلة على هذه الصورة الأخيرة ما حدث أثناء فتح مدينة طرابلس سنة اثنتين وعشرين، فقد شكلت دفاعات هذه المدينة عقبة كبيرة أمام المجاهدين تحت قيادة عمرو بن العاص، وفى هذه الظروف الصعبة أقدمت إحدى كتائب الجيش الإسلامى ودون استشارة القائد العام على تنفيذ عملية هجومية لم تكن قد درست أثناء التخطيط، وبهذه المغامرة المحسوبة تداعت دفاعات طرابلس، وتم بالتالى فتحها.

وإلى جانب الأهمية المباشرة والمتصلة بتنفيذ العمليات العسكرية، فإن لقادة الصف الثانى أهميتهم القصوى من زاوية أخرى، زاوية التواصل والاستمرار، إذ لو اقتصر الأمر على قادة الصف الأول دون الالتفات إلى إعداد أجيال قيادية تالية فإنه يخشى على الدولة فى وقت لاحق أن تصبح بلا قادة عسكريين، كما نخشى عليها إذا فتحت عليها عدة جبهات ألا تجد من يتولى القيادة هنا أو هناك.

ثم إن التطوير فى الرؤية، وفى التخطيط والتنفيذ، لا يمكن أن يتحقق فى حالة عدم وجود قادة من الصف الثانى وما يليه من صفوف.

فى ضوء الاعتبارات السابقة، ولأن ميادين

الفتوح الإسلامية تعددت وتفرعت وتباعدت، كان حتميا وجود عدد كبير من قادة الصف الثانى، وأيضا الصف الثالث، وهذا الأمر يؤكد عبقرية العقلية الإسلامية، إذ أنها تعاملت مع حركة الفتوح الإسلامية ومن الزاوية العسكرية البحتة، من منظور مستقل ولكنه يتفق مع الأسس العسكرية السابقة.

٣ ـ جبهات وأسماء

معروف أن حركة الفتوح الإسلامية انطلقت، وفى وقت واحد، على عدة جبهات، جبهة الفرس، وجبهة الروم، وبعد أن تحققت المرحلة الأولى من الفتوح على هاتين الجبهتين انقسمت جبهة الفرس إلى جبهتين رئيسيتين، وكذلك الحال بالنسبة لجبهة الروم، فقد انقسمت جبهة الفرس إلى واحدة شرقية وأخرى شمالية، وغدت قاعدة انطلاق الأولى هى مدينة البصرة بينما صارت الكوفة قاعدة انطلاق الثانية، وفى داخل هاتين الجبهتين أخذت تظهر جبهات فرعية.

أما جبهة الروم فقد انقسمت، وبعد معركة اليرموك، إلى جبهتين كبيرتين الأولى شمالية والثانية جنوبية، ثم تفرعت الشمالية إلى عدة جبهات صغيرة وتطور الأمر، بعد تطهير بلاد الشام، إلى عمليات توغل فى صميم الأرض الرومية.

وفى الوقت نفسه تطورت الجبهة الجنوبية، ومن فلسطين انتقل عمرو بن العاص إلى القارة الإفريقية، وهناك برزت أيضا عدة جبهات فرعية.

حدث هذا التطور الهائل فى فترة زمنية قياسية فى قصرها، فترة لا تتجاوز عقدين من الزمان، وفى إطار هذا التطور السريع كان ضروريا وجود أعداد كبيرة من القادة، وخاصة على مستوى الصف الثانى، والذين نيطت بهم تحقيق الأهداف الإسلامية فى القارتين الآسيوية والإفريقية.

والموقف لا يسمح لنا بتقديم إحصاء دقيق وشامل لقادة الصف الثانى، ولذا فإنه يكفى أن نقدم أسماء عدد من هؤلاء القادة، مع الإشارة إلى الجبهة الأساسية التى ارتبط بها نشاط كل واحد منهم.

ففى جبهة الفرس وما تفرع عنها برز عدد من قادة الصف الثانى منهم أبناء مقرن المزنى النعمان ونعيم ومعقل وسويد، ومنهم القعقاع بن عمرو التميمى وأخوه عاصم.

وفى ذات الفترة، ولكن مع تأخر نسبى، وفى هذه الجبهة أيضا برزت أسماء عدة قادة منهم راشد بن عمرو الجديعى، وعتبة بن فرقد، وحذيفة بن اليمان، والبراء بن عازب، وعياض بن غنم القهرى، وسهيل بن عدى، وعبدالله بن عتبان، ومجزأة بن ثور السدوسى ـ رضوان الله تعالى على الجميع.

وفى جبهة الروم تألق عدد من القادة من أمثال عبادة بن الصامت، وميسرة بن مسروق العبسى، والأشتر بن مالك النخعى، وعبدالله بن الزبير، وعقبة بن نافع، وعقبة بن عامر.

الظاهرة جديرة بالدراسة إذن، ولا أقصد بالدراسة مجرد القراءة السريعة العابرة، إذ أن أجيالنا تعانى من القصور فى الفهم الحقيقى والعميق للكثير من معطيات تاريخنا الإسلامى، وهذا القصور يمثل إحدى السلبيات التى يعانى منها واقعنا المعاصر، ومثل هذه الدراسة تتطلب مئات الصفحات.

وفى داخل الظاهرة التى تطلق عليها قادة الصف الثانى فى حركة الفتوح الإسلامية توجد ظاهرة أخرى أكثر استدعاء للتأمل والمتابعة، وأعنى بهذه الظاهرة الداخلى اشتهار عدد من الأسر فى إطار القيادة على مستوى الصف الثانى، ومن هذه الأسر أبناء مقرن المزنى والأخوان عاصم والقعقاع ابنى عمرو التميمى، والأخوان سهل وسهيل ابنى عدى.

الحياة الدينية فى جمهورية أوزبكستان

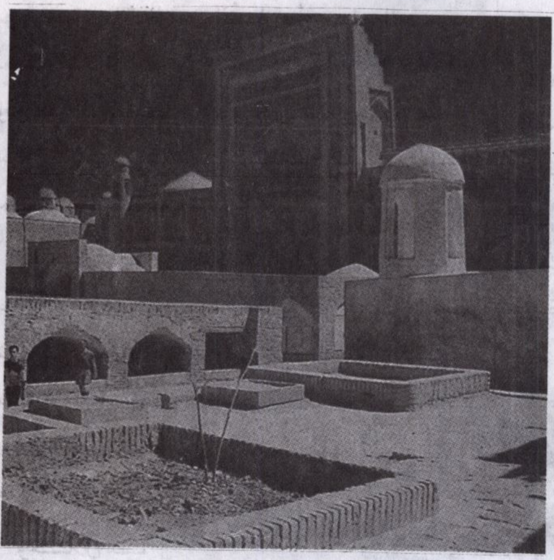

بختيار عبدالصادق

يدل الموقع الجيوسياسى لآسيا الوسطى على أنها كانت دائما ملتقى للأديان المختلفة، وعاش فى هذه المنطقة ممثلو القوميات العديدة.

وبما أن جمهورية أوزبكستان هى واحدة من الجمهوريات الواقعة فى آسيا الوسطى فإن سكانها الذين يبلغ عددهم ٢٥ مليون نسمة يمثلون ما يزيد على ١٢٠ قومية، وينتمى ممثلو هذه القوميات إلى ١٥ دينا وطائفة دينية. وبعبارة أخرى فإن أوزبكستان هى الآن جمهورية متعددة الأديان والقوميات.

ويشكل المسلمون نسبة ٨٢ فى المائة من سكانها. وهم فى أكثريتهم الساحقة سنيون من المذهب الحنفى. ويعتنق جميع الأوزبك الإسلام. ولذا تهتم حكومة الجمهورية بشئونهم اهتماما كبيرا.

ويجب القول هنا إن سنوات العهد السوفييتى السابق قد شهدت حرمان المسلمين من أبسط حقوقهم الدينية، إذ أن الدين كان من الجبهات الأساسية للصراع العقائدى الذى خاضته الحكومة السوفييتية، ولم تمل السلطات آنذاك الكلام عن أن الدين كما لو كان يفتح الطريق أمام النزعة القومية والشوفينية ويعرقل التطور الاجتماعى والاقتصادى ويمنع استقرار نمط الحياة الاشتراكية والمعنوية الشيوعية، وكانت العلوم الاصطناعية مثل «الإلحادية العلمية»، و«الشيوعية العلمية»، و«تاريخ الحزب الشيوعى السوفييتى»، تستهدف إملاء الفراغ فى قلوب الناس، وترسيخ العقائد الجامدة فى عقول الشعب، وألقيت فى المؤسسات التعليمية والعلمية والإنتاجية

محاضرات حول مواضيع «إن المجتمع السوفييتى هو مجتمع خال من الأديان» أو «على الجميع معرفة أضرار القرآن»، وغيرها، إلا أن كل هذا لم يؤثر فى قلوب المسلمين فى أوزبكستان بل بالعكس رسخ إيمانهم ودفع بهم إلى المحافظة على القيم الروحية ومعتقداتهم الدينية.

وكان لاستقلال أوزبكستان فى ١ من سبتمبر عام ١٩٩١م أهمية كبيرة للغاية فى حياة الشعب الأوزبكى الذى يحتفل فى هذه السنة بالذكرى السنوية العاشرة لهذا الحدث العظيم.

الدستور فى أوزبكستان أعاد إلى المنظمات الدينية الحق فى امتلاك المنشآت والمشاريع الاجتماعية والتمثيل القانونى للمسلمين

وخلال ما يقرب من ١٠ سنوات أعقبت الاستقلال تم فى البلاد تحقيق إنجازات كبيرة للغاية فى شتى المجالات بما فيها مجال الدين.

وينص دستور جمهورية أوزبكستان على أن المنظمات والاتحادات الدينية مفصولة عن الدولة ومتساوية أمام القانون وأن الدولة لا تتدخل فى شئون الاتحادات الدينية.

فى عام ١٩٩١ أقر فى أوزبكستان قانون «حول حرية الضمير والمنظمات الدينية» الذى غير دور المنظمات الدينية ووضعها القانونى تغييرا نوعيا.

وقد أعيد إلى المنظمات الدينية الحق فى الملكية مثل امتلاك المنشآت والمشاريع الاجتماعية والإنتاجية والخيرية والأموال النقدية. كما منحت الحق فى التمثيل القانونى للمسلمين.

وفى شهر مايو عام ١٩٩٨م أقر «عالى مجلس» (البرلمان) لجمهورية أوزبكستان نصا جديدا للقانون «حول حرية الضمير والمنظمات الدينية». وجاء التأكيد فيه على أن المنظمات الدينية يمكن أن يرأسها كقاعدة مواطنو جمهورية أوزبكستان الذين سبق لهم وأن حصلوا على التعليم الدينى الخاص.

وقد تم إدخال التعديلات الخاصة على الوثائق التشريعية الأخرى أيضا. ومنح المواطنون وفقا للقانون الحق فى اعتناق الدين وأداء الطقوس الدينية ومناسك الحج على أساس فردى وجماعى.

ويؤدى مناسك الحج فى الأماكن الإسلامية المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة سنويا عدد كبير من المسلمين فى أوزبكستان ما يزيد على ٤٠٠٠ شخص. كما يؤدى ٤٠٠٠ شخص آخرين العمرة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن عدد الحجاج الأوزبك فى العهد السوفييتى السابق لم يزد على ثلاثة أشخاص سنويا، وبالمناسبة يجب القول إن القرار حول تمكين المسلمين من أداء فريضة الحج قد اتخذ فى سنة ١٩٩٠م. وكان هذا القرار الذى وقع عليه الرئيس ـ إسلام كريموف ـ والذى لم

يسبق له مثيل جريئا للغاية. إذ كانت أوزبكستان آنذاك تدخل فى كيان الاتحاد السوفييتى السابق، وخلال السنوات ما بين ١٩٩١ - ٢٠٠١م أدى فريضة الحج ٣١٠٥٧ مسلما.

ورغم أن دستور جمهورية أوزبكستان ينص على أن المنظمات والاتحادات الدينية مفصولة عن الدولة إلا أن الدولة بنفسها بادرت إلى توفير إمكانية أداء فريضة الحج. وتقدم حكومة أوزبكستان للراغبين فى زيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة كل المساعدات الضرورية فى تسهيل الإجراءات المرتبطة بالوثائق وتنظيم الرحلات الجوية وحجز الأماكن فى الفنادق.

وافتتح فى بلادنا خلال ١٠ سنوات ماضية أكثر من ٢٠٠٠ مسجد وجامع. وكان عددها قبل الاستقلال لا يزيد على ٨٠ مسجدا فقط.

وتقوم بتنسيق أعمال جميع المساجد والجوامع إدارة المسلمين لأوزبكستان، ويرأس هذه الإدارة المفتى.

وتوجد لدى إدارة المسلمين مدرسة «مير عرب» الدينية بمدينة بخارى والمعهد الإسلامى العالى بطشقند، وللإدارة دار «ما وراء النهر» للطباعة والنشر التى تصدر مجلة «هدايت» وجريدة «إسلام نورى».

جامعة طشقند الإسلامية:

وبهدف دراسة التراث الإسلامى الغنى ومؤلفات العلماء ورجال الدين البارزين أسس فى طشقند فى عام ١٩٩٥م مركز دولى للأبحاث الإسلامية، وفى ٣ من سبتمبر عام ١٩٩٩م افتتحت جامعة طشقند الإسلامية التى أصبحت أول جامعة من هذا القبيل فى منطقة آسيا الوسطى، وكانت قد تأسست بمرسوم صادر عن رئيس جمهورية أوزبكستان إسلام كريموف يوم ٧ من شهر إبريل عام ١٩٩٩م وذلك فى إطار الجهود المبذولة للحفاظ على التراث المعنوى الثقافى الغنى للشعب الأوزبكى وإحياء ودراسة وتحليل المؤلفات والأفكار العلمية للعلماء العظام بصورة عميقة من جميع النواحى وتعريف الشعوب عليها ودراسة خبرات المؤسسات التعليمية العالية فى الدول الأخرى وإقامة العلاقات معها وإعداد الكوادر المؤهلة ذات الكفاءة العالية وتوفير الظروف الضرورية لها.

وتضم الجامعة التى تتوسع من سنة إلى أخرى كليتين: الأولى كلية تاريخ الإسلام وفلسفته، والثانية كلية الفقه والاقتصاد والعلوم الطبيعية.

وإلى جانب ذلك يدرس الطلاب الأوزبك العلوم الدينية فى عدد من المعاهد العالية والجامعات خارج البلاد. ومنها جامعة الأزهر الشريف.

الوحدة الوطنية فى أوزبكستان:

وقد ذكر آنفا أنه يقطن بالجمهورية الآن ممثلو الأديان المختلفة، ويسود بينهم الوفاق والسلام، وتقوم الدولة بالمحافظة عليهما أيضا، وذلك عن طريق تنظيم مؤتمرات وندوات دينية مختلفة وإجراء حوار بين الأديان، وعلى سبيل المثال عقد فى طشقند عام ١٩٩٥م مؤتمر إسلامى مسيحى مشترك تحت شعار «لنتعايش تحت السماء الواحدة». وشارك فيه ممثلون من المؤسسات الدينية الإسلامية والمجلس العالمى للكنائس وعدد من الكنائس الخارجية الأخرى.

وفى شهر نوفمبر عام ١٩٩٦م تم الاحتفال فى أوزبكستان بالذكرى السنوية ١٢٥ للإدارة الأسقفية لكنيسة الروم الأرثوذكسية الروسية.

وفى شهر ديسمبر عام ١٩٩٦م احتفلت الطائفة اللوثرية الإنجيلية فى أوزبكستان بالذكرى السنوية المائة للكنيسة اللوثرية الوحيدة فى آسيا الوسطى.

وفى شهر مارس عام ١٩٩٩م افتتح فى مدينة سمرقند معبد لكنيسة الروم الكاثوليكية. وكان المعبد قد وضع تحت تصرف الكنيسة فى شهر ديسمبر عام ١٩٩٧م.

وفى شهر سبتمبر عام ٢٠٠٠م عقد فى عاصمة أوزبكستان مدينة طشقند تحت رعاية منظمة «يونسكو» مؤتمر دولى خاص بالحوار بين الأديان حول موضوع «أديان العالم: على طريق ثقافة السلام».

ويشارك فى الاحتفالات التى تقيمها المنظمات الدينية ممثلو الأديان المختلفة فى الجمهورية.

إحياء التراث:

إلى جانب ذلك أقيم فى أوزبكستان عدد من المؤتمرات والندوات الدولية بمناسبة إحياء ذكرى العلماء ورجال الدين المشهورين الذين قدمتهم أرض هذا البلد للعالم: أمثال الإمام البخارى وأحمد الفرغانى، وبهاء الدين نقشبند، ونجم الدين كوبرى، ومحمود الزمخشرى، وبرهان الدين المرغنانى، وأبى منصور الماتريدى وغيرهم. وأعيد بناء أضرحتهم التى حولت إلى مزارات يزورها الآن الملايين من المسلمين من شتى أنحاء العالم.

ومكن الاستقلال المسلمين الأوزبك من ممارسة الشعائر والطقوس الدينية ومناسك شهر رمضان المبارك بحرية تامة وأعلن اليوم الأول من عيدى الأضحى والفطر المباركين يوما للراحة فى أوزبكستان.

ومنذ الأيام الأولى للاستقلال تجرى فى شهر رمضان المبارك بجميع الجوامع والمساجد فى بلادنا صلاة التراويح وختم القرآن الكريم. ويدعى إلى أوزبكستان بمناسبة هذا الشهر رجال الدين والحفظة والمقرئون من مختلف البلدان الإسلامية الذين يشاركون إخوتهم فى الدين فى أوزبكستان فى ختم القرآن الكريم.

الاستقلال مكن المسلمين الأوزبك من ممارسة الشعائر والمناسك الدينية بحرية تامة

إن كل هذا قد تم تحقيقه تحت رئاسة الرئيس إسلام كريموف رئيس جمهورية أوزبكستان خلال مدة تاريخية قصيرة نسبيا، وكان الطريق الذى قطعته الدولة الفتية فى هذا الاتجاه غير سهل، إذ واجهت ولاتزال تواجه القوى التى تحاول تحييد البلاد عن هذا الطريق وجرها إلى الهوة معلنا سعيها إلى الإطاحة بالنظام الدستورى فى البلاد وإنشاء خلافة فى منطقة آسيا الوسطى، وتتلقى هذه القوى الدعم من الخارج.

وفى الختام يجب القول إن السنوات العشر الماضية قد أظهرت من هو الذى يخدم شعبه ويحظى بالتأييد والاستحسان لديه ومن هو الذى باع نفسه وقام ضد وطنه وشعبه واعتدى عليهما. وجاء فى الأثر «إن حب الوطن من الإيمان».

كاتب المقال الأستاذ بختيار عبدالصادق
بسفارة جمهورية أرزبكستان بمصر

المكتبة الإسلامية

- التراث العربى ومناهج البحث العلمى (عيون الأخبار لابن قتيبة)
- حائط البُراق (الذى سماه اليهود ظلما وعدوانا حائط المبكى)

قراءة جديدة في كتاب قديم

التراث العربى ومناهج البحث العلمى

دراسة تحليلية لمقدمة كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة

مصطفى كامل خطاب

إن كتاب «عيون الأخبار» لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية هو أحد مصنفات التراث العربى القيمة، ومراجعه الهامة، فى المأثور من آداب العرب وأشعارهم وأمثالهم وحكمهم التى صاغوا بها آراءهم وأفكارهم، فى أروع عبارة، وأوضح بيان، عن شتى قضايا ومشكلات الحياة الإنسانية.

وليس الهدف من هذا الحديث تناول أبواب الكتاب أو بعضها بالشرح والتحليل، إنما هو إعطاء فكرة أعمق، ونظرة أبعد، عن أهمية هذا المصنف العظيم ومكانته بين كتب التراث، كأحد معالمه البارزة، والتى تمثل مرحلة من مراحل تطور هذا التراث الثمين، وتبرز مدى دقة وسلامة المنهج العلمى الذى التزمه ابن قتيبة فى وضع وتبويب هذا الكتاب وتوضيح أثره الكبير فى مؤلفات المتأخرين.

فقد مر التراث العربى بثلاث مرحل : ـ

أولها : مرحلة الخلق والإنشاء والإنتاج، التى أبدع فيها العلماء والشعراء والأدباء روائعهم وشوامخهم الخالدة فى شتى فروع الفكر والثقافة، ومجالات العلوم والفنون والآداب، والتى نقل خلالها بعضهم إلى العربية الكثير من نتاج الفرس والهند واليونان، ونجحوا فى إحداث التزاوج بين التراثين: الأصيل والمكتسب.

وتتمثل المرحلة الثانية فى محاولة جمع وحفظ هذا النتاج الغزير الوفير، لينتفع الخلف بما تركه السلف من كنوز الفكر ونفائس العلم، اقتداء بما تم بالنسبة لعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف.

ولكن ضخامة هذا التراث، وتعدد ضروبه واتجاهاته، جعل من العسير الإحاطة به واحتوائه حتى على المتفرغين من المتخصصين، فظهرت مرحلة الانتقاء والاختيار، التى لايعدو دور الكاتب فيها، أن ينتخب أجود ماقيل من وجهة نظره فى مناسبة أو مسألة ويدرجه تحت عنوان أو باب فى مصنفه ليسهل الرجوع إليه عند الحاجة.

وتأتى أهمية الكتاب «عيون الأخبار» فى أنه يعتبر نموذجا حيا لهذه المرحلة الثالثة، بل إنه يمثل طورا متقدماً من أطوارها للاعتبارات الآتية:

١ ـ أن ابن قتيبة كان منتقيا وناقلا لامنشئا نرى ذلك فى مقدمة «عيون الأخبار» حيث يقول إنها لقاح عقول العلماء، ونتاج أفكار الحكماء، وزبدة المخض، وحلية الأدب وأثمار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء، وفطن الشعراء، وسير الملوك وآثار السلف.

٢ ـ كان جل هم رواد هذه المرحلة انتخاب النصوص واختيار الأقوال فقط وسوقها متفرقة،

ودون عناية بالربط الموضوعى بينها، هكذا فعل الجاحظ فى البيان والتبيين.

والمبرد فى الكامل، بينما اتبع ابن قتيبة أسلوبا علميا دقيقا فرتب المختارات وبوبها ووضع ماتشابه منها تحت عنوان واحد، مبتدئا بذلك طورا جديدا فى مرحلة تراث الاختيار وأفصح عن العلة فى ذلك أيما إفصاح، استمع إلى قوله فى هذا المقام وهذه عيون الأخبار نظمتها... وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدراس حفظها وعلى الناشر طلبها.

٣ ـ ظهر أثر ثقافة ابن قتيبة الواسعة واطلاعه الشامل على آداب العرب والعجم وذوقه الفنى الرفيع فى حسن انتقائه للنصوص العربية، واستشهاده بما يقابلها أو يعارضها من أقوال عند العرب موضحا رأيه فى عالمية الثقافة وشيوع مصادر العلم والاجتهاد والتواضع فى طلبه على امتداد العمر، قائلاً واعلم أنَّا لم نزل نتلقط هذه الأحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السمة والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب فى فصول من كتبهم وعمن هو دوننا غير مستتكفين أن نأخذ عن الحديث سنا لحداثته ولا عن الصغير قدرا لخساسته، ولا عن الأمة الوكعاء لجهلها فضلا عن غيرها، فإن العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نفعه ولن يزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تستنبط من الكاشحين، ولاتغير الحسناء أطمارها ولابنات الأصداف أصدافها ولا الذهب الإبريز مخرجه من كبار، ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمر مر السحاب أما الوجه الثانى لأهمية كتاب عيون الأخبار، فهو منهجه العلمى الدقيق في تصنيفه وتبويبه مطالع ذلك بجلاء فى مقدمته التى بدأها بمثل ما كان يبدأ به غالبية كتاب التراث مؤلفاتهم فى عبارات تكاد تتطابق ماهيتها ومعانيها وإن اختلفت ألفاظها ومبانيها بدأها بحمد الله الذي يعجز بلاؤه صفة الواصفين وتفوت آلاؤه عدد العادّين وتسع رحمته ذنوب المسرفين والذى لاتحجب عنه دعوة، ولا تخيب لديه طلبة ولا يضل عنده سعى ، الذى رضى عن عظيم النعم بقليل الشكر وغفر بعقد الندم كبير الذنوب ومحا ـ بتوبة الساعة خطايا السنين، الذى ابتعث فينا البشير النذير، السراج المنير، هاديا إلى رضاه وداعيا إلى محابته ودالا على سبيل جنته. وهذه الظاهرة تشير إلي حقيقة لامرية فيها وهى أن التراث العربى الأصيل من ينبوع مقدس هو كتاب الله وسنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وان فكرة العلم والتدوين كانت مرتبطة فى أذهان أصحابه بالعقيدة والدين.

ولكن ابن قتيبة تفرد فى هذه المقدمة بتفصيل طريقته، وبذ أقرانه في بسط منهجه وتفوق علي إخوانه فى بيان الأسباب التى دعته إلى وضع هذا الكتاب والغاية والهدف منه مما ألقى الضوء على ماجمعه فى كل باب حتى ليكاد القارىء يلم بمحتوياته قبل أن يقرأ صفحاته.

ولابأس من تحليل سريع لهذه المقدمة للتعرف علي أبعاد هذا المنهج وتلك الطريقة :

أولا : بيّن ابن قتيبة أن نشر العلم النافع فريضة على العالم وجعل من ذلك قضية منطقية مقنعة فى قوله «إن لله فى كل نعمة أنعم بها حقا،

وعلى كل بلاء أبلاه زكاة فزكاة المال الصدقة، وزكاة الشرف التواضع، وزكاة العلم نشره، وخير العلوم أنفعها، وأنفعها أحمدها مغبة، وأحمدها مغبة ما تُعلم وعُلَم لله، وأريد به وجه الله تعالى.

ثانيا : كشف ابن قتيبة عن أسباب تأليف «عيون الأخبار» عاطفا على الغاية والهدف فى عبارة رقيقة دقيقة قائلاً : «وإنى كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتبا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تبينت شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة سوق الأدب حتى عفا ودرس، وبلغت به فيه همة النفس وثلج الفؤاد، وقيدت عليه به ما أطرفنى الإله ليوم الإدالة، وشرطت عليه مع تعلم ذلك تحفظ عيون الحديث ليدخلها فِى تضاعيف سطوره متمثلا إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور.

فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعلمت له فى ذلك عمل من طب لمن حب بل عمل الوالد الشفيق للولد البر ورضيت منه بعاجل الشكر وعولت على الله فى الجزاء والأجر.

ثالثا : كان ابن قتيبة أول من نادى بأن الأدب والفن والثقافة هى دعامات قوية فى بناء الإنسان السوى نطالع ذلك فى مقدمة «عيون الأخبار» حيث يقول «جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثقافها وتخلصها من مساوئ الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها، وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم، وتصل بها كلامك إذا حاورت وبلاغتك إذا كتبت وتستنجح بها حاجتك إذا سألت، وتتلطف فى القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن العذر إذا اعتذرت، فإن الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل أدابها فى صحبة سلطانك وتسوية ولايته ورفق سياسته وتدبير حروبه. وتعمر بها مجلسك إذا جددت أو هزلت وتوضح بأمثالها حججك وتبذ باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن صورة وتبلغ الإرادة بأخف مؤنة وتستولى على الأمد وأنت وادع.

رابعا : سبق ابن قتيبة غيره من أصحاب التراث فى تحديد المخاطبين بكتابه وترغيبهم فى تصفح كل أبوابه، بأسلوب ذكى أخاذ، يدل على مدى احاطته بنزعات النفس البشرية، وبما يصلح أحوالها من ترغيب وترهيب، وشدة ولين، وجد وفرح، وأن لكل ذلك حدا حيث يقول «ولم أر صوابا أن يكون كتابى هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة، ولا على خواص الناس دون عوامهم وعلى ملوكهم دون سوقتهم فوفيت كل فريق منهم قسمه، ووفرت عليه سهمه، وأودعته طرفا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا، وذكر فجائعها والزوال والانتقال ومايتلاقون به اذا اجتمعوا ويتكاتبون به إذا افترقوا وفى المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين، وأشباه ذلك، لعل الله يعطف به صادقا ويأطر على التوبة متجانفا، ويردع ظالما ويلين برقائقه قسوة القلوب، ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة، وفطنة لطيفة، وكلمة معجبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهب يسلكة السالكون وعروض أخذ فيها القائلون ولا روح بذلك عن القارئ من كد الجد، وإتعاب الحق، فإن الأذن مجاجة، والنفس حمضة، والمزح إذا كان حقا أو مقارباً، ولأحايينه وأوقاته

وأسباب أوجبته مشاكلا ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله.

خامسا : يفرق ابن قتيبة بوعى سلامة نظر بين المنهج العلمى الذى يتبع عند التأليف فى علوم الدين والمنهج الذى يتبع فى تصنيف الكتب الأخرى ككتاب «عيون الأخبار» فيقول إنه إذا كان ابن عباس رضى الله عنه قد قال : «خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير الرامى، فهذا يكون فى كتاب يبحث فى آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام، والحسن لايلتبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان، فأما علم الدين والحلال والحرام فأنما هو استعباد وتقليد، ولايجوز أن تأخذه إلا عمن تراه لك حجة، ولا تقدح فى صدرك منه الشكوك.

سادسا : ويبلغ ابن قتيبة ذروة الأمانة فى عرضه لمنهجه حين يجد القارئ أن مختاراته فى قسم من الأقسام كانت دون المستوى، وأنها فى باب من الأبواب كانت غير متبعه فيقول «وإن مر بك خبر أو شعر يتضع عن قدر الكتاب، ومابنى عليه، فاعلم أن لذلك سببين أحدهما قلة ماجاء فى ذلك المعنى مع الحاجة إليه والثانى أن الحسن إذا وصل بمثله نقص نوراهما، ولم يتبين فاضل بمفضول، واذا وصل بما هو دونه أراك نقصان أحدهما من الآخر الرجحان.... ويستطرد بعد هذا التعليل الجميل - قائلا وإن وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مشبعا فلا تقض علينا بالإغفال حتي تتصفح الكتب كلها، فانه رب معنى يكون له موضعان. وثلاثه مواضع، فتقسم ماجاء فيه على مواضعه، كالتطلف فى القول يقع فى كتاب السلطان، وفى كتاب الحوائج، وكالبخل يقع فى كتاب الطبائع، وفى كتاب الطعام وهكذا.

أما الوجه الثالث لأهمية كتاب عيون الأخبار، فهو الأثر البالغ الذى تركه لدى كتاب تراث الاختيار، وخاصه فيما يتعلق بمنهج تأليفه، وقواعد الاختيار عنده، حتى بلغ الأمر حد المحاكاة والتقليد فى أسماء الكتب وعناوين الأبواب وإن غمطه المقلدون حقه، وأنكروا عليه فضله، مكتفين فِى بعض الأحيان بالتلميح عنه فى كتبهم دون التصريح، وإن لم يخف ذلك على العين الفاحصة والضمائر المنصفة، فهذا كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب الأمالى لأبى على القالى وغيرهما شاهد صدق على مانقول.

وأخيراً لا أجد - فى نهاية حديثى المقتضب عن مقدمة عيون الأخبار، خيرا مما أوضح به ابن قتيبة هدفه من منهجه العلمى الدقيق في تصنيف الكتاب وتسميته وسبب ظهور مرحلة الاختيار فى تراثنا العربى إذْ يقول «فهذه أبواب الكتاب جمعتها لك فى صدر أولها، لأعفيك من كد الطلب، وتعب التصفح، وطول النظر، عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعتها، ولتقصد فيما زيد إلى موضعه فتستخرجه بعينه أوماينوب عنه، ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار والأشعار، وإن كانت عيونا مختارة أكثر من أن يخاطر بها أو يوقف من ورائها، أو تنتهى حتى ينتهى عنها فما أروع وأرق هذا المنهج فى التأليف والتصنيف.

وبعد - فهذه هى المقدمة التى تضع أمام كل من يعتزم إعداد بحث أو تأليف كتاب - هذا المنهج العلمى والعملى العظيم الذى اهتدى إليه ابن قتيبة من دراسته المتعمقة لمصنفات السلف الذين خلفوا للبشرية تراثاً خالدا يشهد بأن الإسلام دين العلم النافع هو طريق الإنسان إلى التطور والتقدم حتى آخر الزمان.

حائط البراق

(الذى سماه اليهود ظلما وعدوانا حائط المبكى)

إعداد: أ. د. زينب عبدالعزيز عرض وتحليل: كمال عبدالوهاب

قد يكون من «قدر» الأمة العربية والإسلامية، أن تجد نفسها فى صراع دموى خطير.. امتد لأكثر من نصف قرن، ولايزال.. صراع مع دولة - أو عصابة - برعت فى السطو والإفك والبهتان! كل ما يصدر عن هذه الدولة من «فعل» يعبر عن نزعة عدوانية.. شاذة وماكرة.. عدوانية لم نسمع عنها من قبل، أو لم نر لها مثيلا!

- اعتداء على الزمان والمكان!
- افتراء على الحق والحقيقة!
- انتهاك للأرض والعرض!
- طرد وهدم.. وتشريد وترويع!
- قتل بالرصاص - دون رحمة - للصبى بين يدى أبيه، وللرضيع فى حضن أمه، وللشيخ والشيخة أمام الأبناء والأحفاد!

أما «القول».. فنسمع عجبا عندما يقف هذا المعتدى (الجزار) أمام العدسات، مخاطبا العالم المتحضر.. زاعما فى استكانة: أنه يدافع عن وجود له مشروع! وأن الدماء التى تخضب يديه هى دماؤه هو، وليست دماء ضحاياه!!

نعم.. هذا هو أسلوب دولة الأكاذيب والادعاءات الباطلة! ومن المؤسف استمرار بعض دول الغرب - المتمدين! - فى انحيازه الكامل لهذه الشرذمة، يساندها بكل أنواع الدعم والعون، ولا يسمع إلا لها وحدها، ويصم أذنيه تماما عن سماع أى صوت أو أنين للشعب الفلسطينى، كما يغض الطرف عن رؤية مواكب شهدائه من زهرة شباب أبنائه وأطفاله!.. ومن المفارقات العجيبة والمحيرة أن هذا الغرب ذاته ملأ الدنيا كلها - ومازال - بالحديث الملول عن حماية حقوق الإنسان.. بل والحيوان أيضا!

والكتاب الذى نقلب صفحاته معا، هو بعنوان: «حائط البراق (الذى سماه اليهود ظلما وعدوانا حائط المبكى).. من إعداد أ. د. زينب عبدالعزيز - أستاذ الحضارة بالجامعات المصرية - وتقديم أ. د. على جمعة (أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر).. والكتاب يقع فى ١٩٦ صفحة (من القطع المتوسط).. الطبعة الأولى - إصدار سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. وهذا الكتاب يحكى قصة القدس، وقصة الحرم، وقصة الحائط الغربى.. حائط البراق الذى أسماه اليهود حائط المبكى. وهو يحكى بالوثائق التى جمعتها المؤلفة حقائق تاريخية ثابتة ومهمة.

قدم لهذا الكتاب - كما ذكرنا - أ. د. على جمعة حيث أشار فى كلمة - موجزة وصريحة - إلى ما يلى:

- أن القدس عزيزة، والحرم مقدس، وفلسطين أرضنا.. وأننا لن ننسى أو نتخلى عن قضيتنا.

- إن هيئات الأمم المتحدة أصدرت قرارات لا حصر لها حول القدس منذ ١٩٤٧م، تدين كلها إسرائيل، وتؤكد أن القدس عربية، ولذلك فإن السيادة العربية يجب أن تعود إليها، خاصة القدس الشرقية التى هى عين القضية، ومراد اليهود.

- إنه لن يكون هناك سلام، حيث أن الصهاينة يريدون تصفية جسدية للعرب والمسلمين.

- إن تسامح المسلمين مع اليهود - الذى استمر أربعة عشر قرنا - لم يفلح، وذلك على الرغم من سماحنا لهم بالنواح والبكاء والولولة على خطاياهم فى حق الله والناس أجمعين عند حائط البراق الشريف.

- وأخيرا.. فإنه لا مفر من الجهاد فى سبيل الله.

ثم تولت المؤلِّفة استعراض مادة الكتاب بعرض للقضية، حيث ركزت على جزئية محددة وردت فى مقترحات الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون»، والمتعلقة بالمسجد الأقصى، إذ طرح - فى مبادرة له - ثلاث خيارات (هى فى جوهرها شىء واحد، وإنما هو تلاعب بالألفاظ والعقول والمصائر!)، الخيارات هى:

١ - سيادة فلسطينية على الحرم القدسى الشريف، وسيادة إسرائيلية على الحائط الغربى والمناطق المقدسة، وتعتبر جزءا منه.

٢ - سيادة فلسطينية على الحرم القدسى الشريف، وإسرائيلية على الحائط الغربى قدس الأقداس الذى يعتبر جزءا منه.

٣ - سيادة فلسطينية على الحرم القدسى الشريف وإسرائيلية على الحائط الغربى مع سيادة وطنية مشتركة فيما يتعلق بالحفريات أسفل الحرم القدسى الشريف أو وراء الحائط واتفاق مشترك على أية عمليات حفر، ويتعهد الطرفان بعدم الحفر تحت الحرم.

ومؤدى هذه الخيارات الثلاثة هو: منح الكيان الصهيونى السيطرة على المنطقة السفلى من الحرم، بما فيها حائطه الغربى المعروف تاريخيا باسم «حائط البراق»، وهو نفس الجدار الذى يطلقون عليه زورا وتدليسا «حائط المبكى».

كما تمنح هذه المقترحات الكيان الصهيونى الحق فى القيام بحفريات أسفل الحرم، أو وراء ذلك الحائط الغربى، مع مراعاة أن تكون «بقرار مشترك» بين سلطة الصهاينة والسلطة الفلسطينية.

وتعقب المؤلفة - متعجبة - لتناسى الرئيس الأمريكى عجرفة ذلك الكيان وعربدته بكل القرارات الدولية، حتى إنه يتصور أن هؤلاء القتلة سيأخذون رأى الفلسطينيين قبل هدم المسجد، خاصة بعد أن أصبح معلوما - لدى الجميع - بالعبارات المكتوبة والصور المنشورة، أنهم قد أعدوا «هيكل سليمان»، ولم يبق سوى هدم المسجد الأقصى لإقامته! (وسوف نعاود الكلام بتفصيل - حول ماسبق - بعد الإشارة سريعا إلى عدد من الملفات التاريخية).

نمضى مع المؤلفة حيث تعرض علينا ملفا يحوى ملخصا مؤرخا للقضية الفلسطينية بدءا من سنة ١٨٩٧ - ١٩٩٧م(١). (وهو يوضح مدى النشاط اليهودى المكثف البعيد تاريخيا).

كما تعرض علينا ملفا ثانيا عن تسلسل لأحداث تاريخ القدس بدءا من سنة ١٩٠٠(ق.م) - ١٩٧٩م(٢).. (وهو يكشف مدى عبث الحروب

الدائمة وسفك الدماء التى لطخت المدينة المقدسة).

كذلك تعرض المؤلفة ملفا ثالثا عن القدس فى قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧م، وقد استعرضت المؤلفة مقتطفات من ثلاثة عشر قرار تدين جميعها كل ما من شأنه المساس بوضع القدس الشريف، وشجب جميع الإجراءات المتخذة لتغيير معالم المدينة المقدسة، مع ضرورة حماية البعد الروحى والدينى الفريد للأماكن المقدسة فيها.

أيضا.. عرضت المؤلفة ملفا رابعا يضم دور الأزهر الشريف من القضية الفلسطينية من سنة ١٩٤٨م - ١٩٨٨م، وكذلك القضية الفلسطينية فى مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية، وقد تضمنت كل القرارات والتوصيات الصادرة عنهما دعم الجهاد الفلسطينى وإدانة جميع القوى الاستعمارية التى تقف وراء العدو الصهيونى، مع رفض أى حل لا يعيد الأراضى المحتلة إلى العرب، وفى مقدتها مدينة القدس بكاملها - سيادة وإدارة - ورفض أيضا فكرة تدويل القدس بأية صورة من الصور.

إضافة إلى ما سبق، فقد عرضت المؤلفة عددا من الفتاوى منها - على سبيل المثال - فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف (الأحد ١٨ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ، تقضى بتحريم الصلح مع الكيان الإسرائيلى ووجوب الجهاد).

وجدير بالذكر.. أن عرض مثل هذه الملفات يُظهر أبعاد المخطط الصهيونى المبيَّت وخطورته، وأن القائمين على وضعه مستمرون فى سياستهم التوسعية - خطوة بعد خطوة - بهدف ضم أكبر مساحة ممكنة من الأرض العربية وتهديدها، والاستيلاء على ما عليها من مقدسات إسلامية أو مسيحية.

وهذا يقودنا إلى الحديث عن أساليب إسرائيل وما تقوم به بالفعل من محاولات دؤوبة لطمس الهوية الحضارية للمدينة المقدسة وتغيير معالمها، وذلك يذكرنا بتلك المؤامرة الصهيونية على «حائط البراق» ومحاولة تحويله إلى «حائط المبكى»، وقبل أن نستطرد فى تفاصيل هذه المؤامرة علينا أن نلقى الضوء على هذا الحائط الدينى التاريخى الشهير.

«حائط البراق» هو جزء من الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف فى القدس وطول الحائط ٤٧ مترا، وارتفاعه ١٧ مترا، ويرى المسلمون: أنه المكان الذى ربط فيه رسول الله ﷺ البراق، ومنه دخل إلى المسجد الأقصى ليلة الإسراء.

ويزعم اليهود: أن هذا الحائط من بقايا أحد الهياكل التى بنيت عبر التاريخ القديم، وهو كلام لا حجة لهم عليه إلا الوهم، فالهيكل - إن كان هناك هيكل - بعيد عن ساحة الحرم الشريف، ومسكن داود وسليمان - عليهما السلام - كان عند «قلعة القدس» بعيدا عن المسجد، وإذا كان داود وسليمان - عليهما السلام - قد صليا فى المسجد الأقصى، فإنما كان المسجد موجودا قبل أن يقيم داود عليه السلام «المملكة اليهودية» سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد.

والحائط الذى يزعمون أنه من الهيكل، ويقفون للبكاء عنده، وسموه «حائط المبكى» هو جزء من «الحرم الشريف» وهو ملك المسلمين الخاص. كما أن الرصيف الذى يقف اليهود عليه عند قيامهم بالزيارة وقف إسلامى من أوقاف أبى مدين الغوث، أنشئ هو والأملاك المجاورة فى زمن صلاح الدين لمنفعة المغاربة من المسلمين.. ومؤيدة وقفيته بصكوك محفوظة لدى دائرة الأوقاف.

وتذكر المؤلفة أن اليهود يتخذون الحائط فى هذه الإيام معبدا لهم، ولم يكن فى أى وقت من الأوقات جزءا من الهيكل اليهودى. ولكن التسامح

الإسلامى هو الذى مكن اليهود من الصلاة أمام هذا الحائط. كما أن «التوراة» عندما تتحدث عن الحائط الغربى للهيكل، فإنها لا تشير أبدا إلى الحائط الغربى لجبل البيت، وكذلك فإن هذا الحائط لم يكن موقع عبادة عند اليهود حتى القرن السادس عشر الميلادى. ثم صار الحائط الغربى جزءا من التقاليد الدينية اليهودية حوالى سنة ١٥٢٠م نتيجة للهجرة اليهودية من أسبانيا وبعد الفتح العثمانى سنة ١٥٧١م.

وعليه، فإن اليهود بشهادتهم يتخذون من «حائط البراق» أو الحائط الغربى مكانا للصلاة منذ القرن السادس عشر فقط، وقد أصبح لهذا الفعل ارتباط وثيق بالأطماع السياسية الصهيونية العالمية التى كشفت عن أطماعها فى القرن التاسع عشر.

وقد تكررت محاولات اليهود للاستيلاء على هذا الحائط فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين إلى أن وقعت «ثورة البراق» بتاريخ ١٩٢٩/٨/٢٣م، والتى قتل فيها العشرات من العرب واليهود، وتمخضت الأحداث عن تشكيل لجنة دولية لتحديد حقوق العرب واليهود فى «حائط البراق». وبعد تحقيق قامت به هذه اللجنة وضعت تقريرا فى سنة ١٩٣٠م أيدت فيه حق المسلمين الذى لا شبهة فيه بملكية «حائط البراق». وقال التقرير: إن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى، ولهم وحدهم الحق العينى فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف؛ وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام حارة المغاربة لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الإسلامى.

ولكن السلطات الإسرائيلية فى عام ١٩٦٧م استولت على «حائط البراق» بعد أن هدمت «حارة المغاربة» ووضعت يدها على باب المغاربة (أحد أبواب الحرم الشريف).

إن فرية »حائط المبكى» المزعوم، مثلها مثل كل الفريات الصهيونية، بما فيها عملية غرس نفس ذلك الكيان، قد تمت بنظام التسلل التدريجى حتى لا ينتبه أحد إلى حقيقة ما يحاك، وقد بدأت هذه الأساليب التدريجية التى عمدت إليها الصهيونية لتغيير الوضع الراهن عن ذلك الحائط بعد الحرب العالمية الثانية.

وتوضح المؤلفة هذه الأساليب التسللية، حيث تتلخص فى جلب الكراسى والمصابيح والستائر من قبل المصلين، وذلك على غير عادتهم السابقة منذ هدم الهيكل، ووضع هذه الأدوات أمام الحائط وتركها حتى يحدثوا سابقة تمكنهم من التقدم إلى الادعاء بحق ملكية الأرض التى يضعون عليها هذه المعدات.. ويزداد التسلل ليضاف إلى هذه الفرية أن ذلك المكان يمثل: قدس أقداس الهيكل.

ومما يؤكد فرية الصهاينة فى ملكية «حائط البراق» أن مكان نواح اليهود قديما كان على «جبل الزيتون»، حيث كان باستطاعة المصلين مشاهدة أطلال الهيكل عن بعد أو بالقرب منه، بل حتى الوعد المشئوم الذى وقعه «بلفور» فى نوفمبر ١٩١٧م ينص على عدم المساس بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين الآن.. (بغض النظر عن اعتبار الفلسطينيين طائفة من الطوائف المقيمة فى فلسطين).

ثم ننتقل مع المؤلفة لنرى بأعيننا أحد الأساليب العملية لتنفيذ المؤامرة على هذا الحائط الإسلامى.. ونتابع معا كيف يدبرون ولا ييأسون، وينفذون ولا يتراجعون، ولعلنا نتعلم نحن أن نفعل ما نقول، أو نعمل بأكثر مما نتكلم!.

إن من أخطر ما أقدم عليه الإسرائيليون بعيد سقوط البلدة القديمة للقدس فى يد قوات

الاحتلال، أنه فى اليوم الرابع (فى ١١/٦/١٩٦٧م)، بدأت الجرافات ومعاول الهدم الإسرائيلية بالتمهيد للوصول إلى أى أثر يقود إلى «الهيكل» المزعوم، بل إلى الشروع فى عملية التهويد الكبرى لموقع القدس التاريخى، فهدموا «حارة المغاربة» التى أمام «حائط البراق»، ثم جانبا مهما من الأبنية التاريخية فى حارة السلسلة المجاورة، ثم قاموا بحفر المنطقة الجنوبية للمسجد الأقصى المبارك الملاصقة للجدار الجنوبى للمسجد، فتولد نتيجة ذلك انبعاج إلى الخارج بسبب التفاوت والخلل الناجم عن ارتفاع المنسوب الداخلى عن المنسوب الخارجى بعشرة أمتار؛ لأن الجدار ليس مسلحا بل هو جدار حجرى تاريخى مقام على قاعدة وأساسات ترابية، ثم تابعوا ذلك إلى الجهة الغربية أمام «حائط البراق» لعدم وجود أبنية مقامة فوق هذه المنطقة.

بدئ بحفر النفق عام ١٩٦٨م من نهاية «حائط البراق» بطول ٤٧ مترا وبعمق ١٥ مترا ممتدا إلى الشمال وصولا إلى باب الغوانمة بطول ٤٥٠ مترا دون تحديد لعرض قناة الحفر حسب طبيعة الأرض وقابليتها للحفر، حيث تمكنوا من الوصول إلى قناة رومانية قديمة بطول ٤٨ مترا.

وسّع الإسرائيليون حفرهم للقناة الرومانية إلى أن وصلوا إلى بركة رومانية قديمة مملوءة بالمياه، وهى بركة مزدوجة موجودة فى «دير راهبات صهيون» الذى يقع فى «طريق الآلام»، اصطدموا بجدار هذه البركة ولم يتمكنوا من متابعة الحفر، وقد بلغ طول هذا النفق مع مواصلة الحفر ٤٤٩ مترا، وله باب واحد يبدأ من نهاية «حائط البراق»، (وهو الباب الكبير الذى يدخله المتعصبون من المتدينين اليهود لممارسة شعائرهم الدينية فيه، ثم الجلوس فى المنطقة التى تمت توسعتها وإعدادها»).

فى نهاية شهر سبتمبر من عام ١٩٩٦م تم فتح باب ثان لهذا النفق (النفق تحت المسجد الأقصى) من جهة المدرسة العمرية، وهذا الباب يساعد فى إدخال الهواء إلى النفق مما يسهل عملية مد الكهرباء ويمكن سلطات الاحتلال الإسرائيلى من السيطرة نهائيا على هذه المناطق المقدسة، وتحويل هذه المواقع إلى محطات سياحية مجردة من القدسية.

أما من الناحية الحضارية العمرانية، فإن العمارة والأبنية التاريخية الإسلامية باتت عرضة للانهيار والتداعى، ومن أبرزها: «رباط كورد» والمدرسة النيكزية و«بيت الشهابى»، و«مأذنة الغوانمة».. وغيرها.. كما أن هناك أبنية أخرى إسلامية هى عرضة أيضا للأخطار لدى حدوث أية هزة ولو ضعيفة (حتى لو كانت مفتعلة). والهدف من كل هذا التدمير المخطط له بإحكام هو تحويل هذه المنطقة إلى ساحة يهودية صرفة للإيحاء بأن هذه المنطقة كانت أصلا ملكا لليهود وعليها بنى الهيكل!

هذا ما جرى ـ ومازال يجرى ـ من تزييف وتزوير وخداع!

ثم ماذا بعد..؟ أقول بيقين: «إن الأمم العظيمة لا تصنعها ـ عادة ـ إلا محنٌ عظيمة»! وما تعرضت له أمتنا فى هذا الصراع المأساوى هو ابتلاء عظيم، علينا أن نتقبله برضا.. ولنصطبر.. وليكن «الجهاد المقدس» ـ شعارنا وصيحتنا وسبيلنا ـ بالروح والدم.

بالمال والولد.. بالعلم والفن.. بالفكر والقلم.. بكل ما أوتينا من قوة ورباط حتى يتحقق وعد الله، ونسترد كل ما ضاع منا من مقدسات.. ومعها كرامة شعب وقيمته ودوره فى التاريخ والحياة.

الهوامش

١ ـ أعد هذا الملف د. إبراهيم أبو عرقوب، قسم الاجتماع، الجامعة الأردنية.

٢ ـ نقلا عن كتاب (الإسلام والسلام العالمى)، تأليف د. آن مارى شيمل، جامعة هارفارد، الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة محمد عبدالعظيم على، يوليو ١٩٩٦م.

شخصيات إسلامية

- إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- حُجْر بن عدى (صاحب الموقف البطولى)
- هل كان الرشيد صاحب دنيا فقط؟
- القاضى أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم

إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سجل التاريخ سيَر بعض عظماء الرجال الذين فرضوا على التاريخ أن يدون حياتهم ومواقفهم البطولية فى كثير من الأحداث التى غيرت مجرى الحياة فى مجتمعاتهم، وتركوا للأجيال التى أتت من بعدهم على مر العصور والأزمان تراثا غاليا، ودروسا مملوءة بالعبر والمواعظ والمواقف الشجاعة ينتفعون بها فى مجالات الحياة المختلفة.

فضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف

ومن هؤلاء الرجال الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذى أعز الله به الإسلام والمسلمين حين هداه الله للإسلام فاعتنقه دينا آمن به، نابذا وتاركا عبادة الأوثان والأصنام، معلنا فى شجاعة وجرأة وبصوت قوى عال فى مكة وعلى الملأ من قريش دخوله الإسلام.

ولقد دخل فى الإسلام قبله الكثير من الرجال والنساء والصبيان، من الأحرار والعبيد، من سادة القوم وعامتهم، غير أنهم لم يحدثوا فى مجتمع الشرك فى مكة الأثر القوى الذى أحدثه إسلام عمر بن الخطاب الذى فرق بإسلامه بين الحق والباطل فاستحق أن يلقبه رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بالفاروق.

ولكى نستوعب وندرك أثر الانقلاب الذى أحدثه إسلام عمر بن الخطاب فى مجتمع الشرك فى مكة، والإفراج الذى حدث للمسلمين بإسلامه، نذكر أمثلة مما كانت قريش تفعله بالرسول ﷺ وبمن آمن معه من الأذى والاضطهاد، والعذاب والتنكيل، والسخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب.

فبعد أن أمر الرسول ﷺ بالجهر بالدعوة بعد أن ظلت الدعوة ثلاث سنين سرية وفردية.

وبعد أن رأت قريش أن جميع الأساليب التى اتبعتها لكف محمد عن الدعوة إلى الدين الجديد لم تفلح، قررت بقيادة أبى لهب استعمال القوة والقسوة بلا رحمة ولا شفقة ضد محمد ومن آمن معه، وكان ذلك فى بداية السنة الرابعة بعد النبوة، وكان أبو لهب قد زوّج ولديه: عتبة، وعتيبة بنتى رسول الله ﷺ: رقية، وأم كلثوم - قبل البعثة - فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة حتى طلقاهما.

وكانت امرأة أبى لهب - أم جميل أروى بنت حرب بن أمية - أخت أبى سفيان - لا تقل عن زوجها فى عداوة النبى ﷺ، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه فى طريق النبى - عليه الصلاة والسلام - وعلى بابه ليلا، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربا شعواء على النبى ﷺ، ولذلك وصفها القرآن الكريم بحمالة الحطب.

كان أبو لهب يفعل كل ذلك وهو عم رسول الله ﷺ وجاره، كان بيته ملاصقا لبيته، كما كان غيره من جيران رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يؤذونه وهو فى بيته.

روى البخارى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبى ﷺ كان يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجىء بسلا جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم «وهو عقبة ابن أبى معيط» فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبى لله وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغنى شيئا لو كانت لى منعة ـ قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على «أى يتمايل بعضهم على بعض مرحا وبطرا»، ورسول الله ﷺ ساجد، لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، وقال: وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: اللهم عليك بأبى جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن أبى ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن معيط ـ وعد السابع فلم يحفظه ـ فو الذى نفسى بيده لقد رأيت الذى عدّ رسول الله ﷺ صرعى فى القليب، قليب بدر.

وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزة ولمزة وفيه نزل: ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾.

وإذا كانت هذه الاعتداءات تقع على النبى ﷺ مع ما لشخصيته من وقار وجلال فى نفوس العامة والخاصة، ومع ماله من منعة عمه أبى طالب، فماذا كان يحدث لمن آمن معه ـ لاسيما الضعفاء منهم ـ إن الأمور كانت تسير على أقسى من ذلك بكثير، فقد كانت كل قبيلة تقوم بتعذيب من دان منها بالإسلام، ومن لم تكن له قبيلة سلطت قريش عليه السفهاء لتعذيبه والسخرية به.

كان عمّ عثمان بن عفان يلفه فى حصير من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته.

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشا فتخشف جلده تخشف الحية.

وكان بلال مولى أمية بن خلف، فكان أمية يضع فى عنقه حبلا ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به فى جبال مكة، حتى كان يظهر أثر الحبل فى عنقه، وكان أمية يشده شدا ثم يضربه بالعصا، وكان يلجئه إلى الجلوس فى حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع، وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له أمية: لا والله لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول بلال ـ وهو فى ذلك ـ : أحَدٌ أحَدٌ، حتى مرّ به أبوبكر رضي الله عنه وهم يصنعون ذلك به فاشتراه واعتقه.

وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه مولى لبنى مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون ـ وعلى رأسهم أبو جهل ـ يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بِحرِّها، ومرّ بهم النبى ﷺ وهم يعذبون فقال: صبرا آل ياسر! فإن موعدكم الجنة، فمات ياسر فى التعذيب، وطعن أبو جهل سمية ـ أم عمار ـ فى قلبها بحربة فماتت وهى أول شهيدة فى الإسلام، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة، وبوضع الصخر أحمر على صدره أخرى، وبالتغريق أخرى، وقالوا: لا نتركك حتى تسب محمدا، أو تقل: فى اللات والعزى خيرا، فوافقه على ذلك مكرها، وجاء باكيا معتذرا إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأنزل الله: ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا منْ أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ النحل: آية ١٠٦، وغير ذلك كثير وقائمة المعذبين فى الله طويلة ومؤلمة جدا، وكان هذا العذاب الأليم الذى يتعرض له المسلمون من كفار مكة سببا فى أن أذن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ للمسلمين بالهجرة الأولى والهجرة الثانية إلى الحبشة.

وخلال هذا الجو الملبد بسحائب الظلم والطغيان أضاء برق نور للمقهورين والمعذبين ألا وهو إسلام عمر بن الخطاب - بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة - رضى الله عنهما - فى ذى الحجة سنة ست من النبوة، وكان النبى - عليه الصلاة والسلام - قد دعا الله لإسلامه فقال: «اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل عمرو بن هشام» فكان أحبهما إلى الله عمر ﷺ.

كان ﷺ معروفا بحدة الطبع وقوة الشكيمة وقوة الشخصية، وطالما لقى المسلمون منه ألوان الأذى - قبل أن يعتنق الإسلام - والظاهر أنه كانت تصطرع فى نفسه مشاعر متناقضة بين احترامه للتقاليد التى سنها الآباء والأجداد، واسترساله مع شهوات السُكر واللهو التى ألفها، وبين إعجابه بصلابة المسلمين واحتمالهم البلاء فى سبيل عقيدتهم، ثم الشكوك التى كانت تساوره - كأى عاقل - فى أن ما يدعو إليه الإسلام قد يكون أجل وأزكى من غيره، ولهذا ما إن يثور حتى يخور.

جاء ليلة إلى الحرم ودخل فى ستر الكعبة، والنبى ﷺ يصلى وقد استفتح سورة «الحاقة» فجعل عمر يستمع إلى القرآن ويعجب من تأليفه، قال عمر: فقلت - أى فى نفسى - هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ **﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون﴾** الحاقة: الآيتان ٤٠، ٤١، قال. قلت: كاهن. قال: **﴿ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾ تنزيل من رب العالمين﴾** الحاقة: الآيتان ٤٢، ٤٣، إلى آخرة السورة. قال:فوقع الإسلام فى قلبى.. لكن النزعات الجاهلية والعصبية التقليدية والتعاظم بدين الآباء كانت غالبة على الحقيقة التى كان يهمس بها قلبه، فبقى مُجدا فى عمله ضد الإسلام غير مكترث بالشعور الذى يكمن فى داخله.

خرج يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء. فلقيه نُعيم بن عبدالله فقال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا هذا الصابئ، الذى فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسبّ آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا! فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك! فقال نعيم: أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأى أهل بيت؟ قال: خَتنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر إلى أخته وختنه، وعندهما خباب ابن الأرت معه صحيفة فيها: «طه» يقرئهما إياها فلما سمعوا حسّ عمر، تغيب خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت، وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، فلما دخل عمر قال: ما هذه الهينمة التى سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئا، قال: بلى والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه فاطمة لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وزوجها: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله وبرسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطوني هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا انظر ما هذا الذى جاء به محمد؟ قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردّنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت له: ياأخي إنك نَجَس على شركك، وأنه

لايمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها «طه» فقرأها، فلما قرأ منها صدرا، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه فقال له: يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه، فإني سمعته أمس يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله ياعمر.

فقال عمر له: فدلّنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فنظر من خلال الباب فرآه متوشحا السيف، فرجع إلي رسول الله ﷺ ـ وهو فَزِعٌ ـ فقال يارسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف، فقال حمزة بن عبدالمطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: إئذن له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ حُجْزته «موضع شد الإزار» أو بمجمع ردائه، ثم جذبه جذبة شديدة وقال: ما جاء بك ياابن الخطاب؟ فو الله ما أري أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يارسول الله، جئت لأؤمن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن عمر قد أسلم فكبّروا تكبيرة سمعها أهل المسجد.

وقد أثار إسلام عمر بن الخطاب ضجة كبرى فى صفوف المشركين والمسلمين تباينت فى رد الفعل بالنسبة لكل منهما.

فقد أصيب المشركون بالذلة والهوان، وحرص عمر رضي الله عنه على أن يعوض الفترة التى مضت ـ وهو على الشرك ـ بكسر أنف قادة الشرك وغيظهم، روى ابن اسحق بسنده عن عمر قال: لما أسلمت تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة، قال: قلت: أبا جهل، فأتيت حتى ضربت عليه بابه فخرج إلىّ وقال: أهلا وسهلا ما جاء بك، قال: جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدقْت بما جاء به، قال: فضرب الباب فى وجهى وقال: قبّحك الله وقبّح ما جئت به.

أما بالنسبة للمسلمين فقد كسا إسلام عمر بن الخطاب المسلمين شرفا وسرورا، وأعطاهم قوة وعزة، فقد روى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب، لأى شىء سميت الفاروق، قال: أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام ـ ثم قصّ عليه قصة إسلامه وقال فى آخره ـ قلت: (أى حين أسلمت) يارسول الله! ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى والذى نفسى بيده، إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قال: قلت: ففيم الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق لنخرجن، فخرجنا فى صفين، حمزة فى أحدهما، وأنا فى الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إلىّ قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسمانى رسول الله ﷺ يومئذ «الفاروق».

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، وقال أيضا: إن إسلام عمر كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة.

رضى الله تعالى عن سيدنا عمر بن الخطاب، وجزاه خيرا الجزاء على ما قدم للإسلام والمسلمين.

المراجع:

مختصر سيرة ابن هشام لأبى محمد المغافرى.

الرحيق المختوم، دار الريان للتراث.

فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى.

من شهداء الإسلام

حُجْر بن عدىّ

«صاحب الموقف البطولىّ»

علقت بذهنى شخصية حُجْر بن عدىّ فى وقت مبكر من طفولتى الأدبية، إذ شاءت المصادفات أن تكون رواية (غادة كربلاء) للمرحوم جورجى زيدان من أوائل قراءاتى، وقد تحدثت عن حجر حديثا بطوليا رائعا يتفق مع ما سجله التاريخ له من شجاعة جريئة، وزاد المؤلف الكبير فأضاف إلى شخصية البطل الشهيد شخصية والده عدىّ، ومع أن التاريخ الرسمى قد سكت أو كاد عن رسم وقائعه فإن جورجى زيدان قد جعله أحد أبطال قصته، فهو يلحق الأب الثاكل بشجعان الأساطير تارة، ويدرجه بين القديسين والنساك تارة أخرى، ومع أن القصة التاريخية تتحدث عن مصرع الحسين، فتصور مأساة تفتت الجماد وتذيب الصخور مما يعقل أن تطغى بفجائعها المذهلة على كل شخصية أخرى فى الرواية حقيقية أو متخيلة.

د. محمد رجب البيومى

مع ذلك كله فقد ظلت شخصية والد عدىّ كما حددها المؤلف تملأ نواحى القصة حياة ودهشة! وأنا فى حاجة إلى أن أشير إليها، لأوضح ما يستطيعه الكاتب الفنان حين يفرض على التاريخ شخصا كبيرا ينطقه باللفظ ويدفعه للعمل ويمنحه المعجزات، حتى يستحيل فى ذهن القارئ شيئا ذا بال، بل شيئا معجزا يتعجب منه وله! والمؤلف من وراء ابتكاره الأسطورى، يخدم الحقيقة التاريخية فى كثير فهو مضطر إلى أن يصور مشاعر الانتقام والثأر، ويتحدث عن نيران الحفيظة والغيظ، ويرسم أحابيل الدهاء والمكيدة،فإذا استطاع أن يبلغ ما يريد محتميا بشخصية يفرضها على الناس روايته البديعة، فقد عرض جانبا هاما من ألوان الصراع بين النفوس البشرية كما كان أو كما يمكن أن يكون!

ماذا أريد أن أقول!

أريد أن أسجل أنى انتبهت إلى تاريخ حياة حجر البطل الحقيقى من خلال ما قام به والده الأسطورى من خوارق تفتح عنها ذهن الكاتب الكبير جورجى زيدان! فهو مرآته شيخ يروع بغرابة هيئته وخشونة لباسه، إذ كان من الشيخوخة بحيث لم يبق فى رأسه ووجهه شعرة سوداء حتى يخيل إلى الناظر إليه عن بعد أن عمامة بيضاء قد برز منها أنف وعينان سوداوان أحدق بحدقتيهما قوس الشيخوخة، يعلوهما جبين متجعد وهو بعد

لا يمشط شعره، ولا يغسل وجهه، يصحبه كلبه لايفارقه، ولايرتدى غير ثوب كمسوح الرهبان، لا يعرف له لون لقدم عهده، وما رأى من تقلبات!

ومن غرائبه أنه لا يأوى إلى غرفة ينام فيها، بل يتوسد الزوايا المختلفة وآونة يبيت فى الغوطة على بعض الأشجار أو تحت بعضها، على أنه لا يذوق اللحم ولا الخبز، ولا يأكل غير الفاكهة، يجمعها من أطراف الشجر بالبساتين، حيث لا يعترضه معترض تهيبا له!

وهو فى سنه المعمرة يقوم بما يقوم به الشباب، فيتسلق الأشجار، ويحمل بعض أحبائه على ظهره إذا تحتم أن ينقذه من كارثة! ويشق الصحراء ويعبر البحار، ويقطع الليالى سيرا على قدميه من قطر إلى سواه! أما كيف تنكر هذا الجبار فى ثوب الراهب، فلأنه كما يرى المؤلف والد حجر الصريع، هاله أن يقتل نجله غدرا بيد معاوية، وأن يفارق الكوفة إلى الأبد ليقبر فى دمشق، وأحس الوالد حنانا إلى ملازمة القبر! وكيف وأنى! وعشرات الحراس يرتقبون، لابد أن يتنكر ليأتى القبر كما شاء، وليقول الناس: راهب مخبول يأتى الخلوات، وينام بين الأضرحة، ولا يضر أحدا من الناس! أما هذا الراهب العجيب فقد جعله المؤلف يدس السم فى طعام يَزيد أمير المؤمنين بعد أن قصرت مكيدته عن معاوية فى حياته، وإذ ذاك يشتفى صدره، لأنه أدرك الثأر، ولم ينم على وضيم واهتضام! وقد كشف عن نفسه فى نهاية الرواية فقال:

(أما سبب تكتمى فذلك أنى حين أصبت بمقتل حجر، لم يعد يحلو لى البقاء، وظل قلبى عالقا بالانتقام، فعللت نفسى بموت معاوية ومبايعة الحسين، وجعلت مقامى فوق قبر ابنى فى غوطة دمشق، أستنشق ترابه وأتنسم ريحه، فلما لم يظفر الحسين بالبيعة وتولى الخلافة - يزيد - صبرت فى انتظار الفرج أو الموت، وظللت أكاتم أمرى وأخفى وجهى حتى لا يعرفنى أحد، وقد عاهدت الله منذ مقتل حجر ألا أقص شعرى، ولا آكل غير الفاكهة، ولا آوى إلى المنازل، حتى شفيت غليلى وثأرت من يزيد!

هذه الشخصية الأسطورية، أتحدث عنها الآن تمهيدا شائقا لشخصية حقيقية. قامت بدور بطولى ختم بالاستشهاد، وإذا نجحت الأسطورة فى تقريب حقائق التاريخ وتلوينها، فقد ضمت لها مكانة بارزة فى دنيا الأدب والفن! ونحن بعد فى شوق إلى أن نتحدث عن عدى بن حجر حديث المؤرخ فنقول عنه معجبين:

حين تمت كلمة الله وأشرق نور الإسلام فى فجاج الأرض وفد على رسول الله ﷺ شاب قوى فى ملاء من قومه، يتقد حمية، ويلتهب فتوة ونشاطا، فتلقى أصول الإسلام وسمع من صاحب الشريعة، ثم رجع إلى قومه، وهو مشغوف بالدين الجديد، فأخذ يتعمق أسراره ومبادئه، ويستظهر قرآنه وأحاديث نبيه حتى أصبح من دعاته الغير، وحماته الذادة، وكان الذى يوقد أحزانه ويؤجج شجونه أنه لم يسلف يدا سابغة فى نصرة دينه أيام بدر وأحد والأحزاب وتبوك وخيبر، ففاز غيره بمثوبة الجهاد، وفرحة النصر، بينما قعد به الحظ والسن معا، فجاء فى مؤخرة الركب بعد أن أشرقت الشمس وعم الضياء!

وما كادت جيوش الإسلام تتقدم غازية مجاهدة، حتى أسرع حجر بن عدى فانضم إلى كتائب الشام، وأبدى من ضروب البسالة وأفانين البطولة ما أثلج صدره، وأسكن قلقه، وتقدمت

الجيوش الظافرة فى طريق النصر، حتى بلغت القمة، وأوفت على الغاية، والبطل الشاب لا يقنع بنصيبه الممتاز فى الجهاد والجلاد، بل يطير إلى بلاد فارس فيعسكر فى نهاوند، ويبعث فى قلوب أصحابه الحمية والعزيمة، حتى تعلو كلمة الله، وتنهار معاقل المجوسية، وبذل جهده المدخر فى سيطرة الحق واستعلاء كلمة الرحمن.

كان حجر بن عدى جرىء اللسان كما كان جرىء القلب سواء بسواء، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى قومه، حتى هابه أصحابه، وقدموه فى الرأى والمجلس، ونزلوا على حكمه فى أمورهم الخاصة والعامة، وهو لا يحيد عن دينه فى قضية، ولا يخالف قرآنه فى مذهب وكانت خلافة عثمان رضي الله عنه مرحلة هدوء واطمئنان بالنسبة إليه، فلبث بالكوفة زعيما مسالما فى قومه، لم يرفع سيفا فى حومة، أو يركب جوادا فى ميدان! ولكن الخليفة الراشد عثمان يذهب شهيدا إلى ربه، وتتجه الأنظار إلى الخلافة الإسلامية، فيحوزها إمام الحق، وينازعه جماعة فى أمره، فيضطرب حبل الفتنة وتتسع شقة الخلاف، ويتفرق المسلمون طرائق قددا، لكل وجهة وإمام، وحجر بن عدى يستعرض الحوادث ويزن الشخصيات، ثم يتعمق الأمور، فيسبر المطامع والأهواء ويرى الحق مؤتلقا فى جبين الإمام علىّ ـ كرم الله وجهه ـ فيسارع بالانضمام إلى معسكره، ولم يشأ أن يعتزل الناس حتى تنجلى السحب وينقشع الضباب فرأى المشاركة الفعلية واجبا حتما تفرضه الرجولة، ويوجبه الدين فى مساندة الحق وإزهاق الباطل، وكانت عقيدته تدفع به إلى التضحية فى نصرة صاحبه، فهو ـ كرم الله وجهه ـ ابن عم الرسول، وزوج المطهرة البتول، وفارس الإسلام فى مأزقه وخطوبه، وعلم التشريع والفقه والقضاء، وصاحب الخلق المحمدى النقى، فهو أحق من يتولى أمر الإسلام، دون أن يوزن به أحد تحمله الأرض وتظله السماء!!

وقد تحول إكباره لعلىّ إلى هيام عنيف ملك عليه مشاعره، فاتجه معه إلى معارك الجمل وصفين والنهروان، وناضل وكافح فى نطاق خاص رسمه الإمام، إذ أنه كان يؤثر العافية ما استطاع، ولولا ذلك لماجت سيول الدماء بالبطاح والكثبان، وكلما تأزم الموقف بعلىّ وتكاثفت أمامه الحوائل والموانع تأسف حجر والتاع، وعجب لدنيا غادرة تملى لذوى الأطماع، وتنكل بالأحرار، وكان مصرع الإمام الشهيد ـ كرم الله وجهه ـ نارا مشتعلة تأججت فى أحشائه، فقرحت جفونه، وأسهدت ليله وأسلمته إلى همّ مقعد، وحزن مقيم!!

ثم ولى الأمر معاوية، واستوطن حجر الكوفة، بعد أن قاطع الحسن غاضبا لاستسلامه، وهاله أن يسمع اللعنات القاسية تصوب إلى علىّ فوق المنابر دون خجل واستحياء، والقوم مطرقون لا يتناهون عن منكر سمعوه، فصاح بالخطيب مقاطعا منكرا، وانضم إليه نفر من معشره، ووجد الحق نصيره فى حجر، بعد أن ماتت الرجولة، وغاضت ينابيع الوفاء.

وكان المغيرة بن شعبة والى الكوفة فى خريف حياته، فلم يشأ أن ينكل بحجر، وما لبث أن أخذ مكانه زياد بن أبيه، فأكثر من الوعيد والتهديد، وأرسل الخطب الضافية محذرا منذرا، وحجر بن عدىّ أمامه كالصخر الجاثم لا يتزحزح عن موقف يعلم فيه العدالة والحق، وقد اصطنع زياد بادئ ذى بدء شيئا من الرفق واللين مع حجر، وآثر أن يستميله بعرض زائل، وعارية مستردة، ولكن هيهات، فقد رسم لنفسه طريقا سويا وأنّى له أن

يحيد؟ ولم يكتف بالاحتجاج الصارخ على سب عليّ، بل انتقد الوالى الظالم فى شئونه المجحفة بالعدالة، ووقف أمامه يجلجل بالنذير، ويعترض الباطل فى مده السريع، وقد قتل عربى ذميا، فاكتفى زياد بالدِّية دون أن يرضى بها ولى الدم، وأصر حجر على القصاص تنفيذا لشريعة الله، فأذعن زياد مكرها، وطوى الضلوع على حقد متأجج وغيظ مرير، وكان أمر زياد مع حجر عجبا أى عجب!! فقد سلخا معا حقبة طويلة يعملان فى جند عليّ، ويقاتلان بسيفه ويبذلان دمهما تحت رايته، ثم لوت الدنيا عنق زياد إلى معاوية، فانتسب إلى غير أبيه، وشرفه الخليفة الداهية بأخوة مزعومة، دون أن يسنده نص فى كتاب، أو شهادة من ثقة عادل!! وإذ ذاك غره الغرور فاندفع إلى الجهة اليسرى يحارب أصدقاء الأمس، ويتبرم بحجر ويضيق بمذهبه السياسى أعنف ضيق، وأكبر الظن أنه كان يعانى عقدة نفسية من استلحاقه الجرىء، فأصحابه يتهكمون به فى صدورهم، وألسنة السوء تترامى به فى الأصقاع النائية، ولابد من المضى فى سبيله الجديد مهما ازداد التهكم وكثر اللغط عليه فى الحديث، وعليه أن يبدأ بحجر هذا، فقد أمسى لا يطيق له منظرا أو يسمع عنه حديثا، وذات يوم صعد إلى المنبر، وتعمد أن يطيل فى غير طائل، حتى ضجر الناس، وصاح حجر: «الصلاة! الصلاة!» وصاح معه أصحابه، فقطع الخطبة مكرها ونزل إلى الجماعة، وقد أضمر فى نفسه أسوأ ما يضمر رجل لرجل، ثم أخذ يتمتم فى طريقه: (ويل أمك يا حجر بن عدى!! لقد وقع العشاء بك على سرحان!!).

لقد تأزم الموقف بين الرجلين، فهل نكل حجر عن موقفه الجرىء؟ كلا ثم كلا. فهو لا محالة يلعن من لعن إمامه الشهيد، ويشغب عليه واليا كان أو خليفة أو أميرا، حتى هجمت عليه شرطة زياد مدججة بالسلاح، فاقتادته إلى غريمه الحاقد، وقد قذف به إلى السجن مع ثلاثة عشر رجلا من أصحابه، بعد خطوب دامية، وكوارث رهيبة، وأخذ يجيل الفكر فى إبادتهم إبادة ساحقة. ولابد من افتراء أكاذيب فاحشة تبرر القتل والاستئصال فى أعين الناس، فأخذ يجمع أهل الكوفة، ويستمع إلى خصوم عدى فى أمره، فكان أعنفهم لايزيد عن أنه نال من معاوية إذ نالوا من على!! وذلك أمر لا يوجد إبادة واستئصالا فى منطق الإسلام، وإن كان جريمة شنعاء فى منطق زياد، وخطيئة تتزلزل لها الأطواد وتتفجر البراكين!!

ماذا يصنع ابن أبيه فى غريمه العنيد؟ إنه أجبر أبا بردة بن أبى موسى الأشعرى فكتب له شهادة (بأن حجرا وأصحابه قد خلعوا الطاعة، وفارقوا الجماعة، وبرئوا من خلافة معاوية وهموا بإعادة الحرب جذعة فكفر كفرة صلعاء!!)، ثم أمضاها كثير من الشهود يزيدون على السبعين، وفيهم أناس من أبناء المهاجرين والأنصار، وأفحش زياد فذكر عدة أسماء لم يشهد أصحابها على افترائه، ثم بعث بكتابه الآفك إلى معاوية كوثيقة كافية للإدانة، وكان شريح القاضى ممن ذكر اسمه دون أن يعلم، فجزع جزعا شديدا، وكتب إلى معاوية، يزكى حجرا، ويتبرأ من دمه. فأسرها فى خاطره وأضمر فى نفسه غدرا أى غدر، ثم سار إليه ركب حجر بالسلاح والجنود، فتمكن من غريم قوى عيوف، وطفق يمهد لإعدامه، ويتخذ من كتاب زياد دعامة يتكئ عليها فى إدانته، فهو يقرؤه على أصحابه مستهولا مكثرا، ويتلو أسماء الشهود مكررا، ثم يستشير الحاضرين كأن ليس له نية سابقة فى الغدر والإعدام. فيسمع من يشير عليه

بالحبس أو النفى، وكلاهما دون مافى نفسه، فهو حريص على إراقة الدم دون أى عقاب، وقد شفع أهل الشام فى سبعة أشخاص ممن حق عليهم القول فى رأيه، فقبل شفاعتهم، وجاء إليه من يشفع فى حجر، فغضب أعنف الغضب، ورفض رفضا لم يدع مجالا للاستبقاء، ثم تقدم إلى الأسير المكبل يسأله عن علىّ، فأثنى عليه أجمل ثناء، وأدركته بطولة اللسان، وجراءة القلب، وهو يرى السيوف اللامعة، والأكفان المنشورة، فندد بما أحدث معاوية من أمور لا تتفق ومبادئ الإسلام، ثم تقدم إلى الموت مع من بقى من أصحابه، مبتهجا بالشهادة، واثقا من القصاص الحق، وطارت إلى السماء روح أبيّه صادقة لتتبوأ مقعدها الخالد بين أناس عرفوا الحق فاتبعوه، وحسن أولئك رفيقا.

وما كاد مصرع حجر يدوى فى آفاق الدولة الإسلامية، حتى بلغ السخط مداه على معاوية، ففزعت عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ وبكى عبدالله بن عمر بالمدينة، وتذمر معاوية بن خديج بمصر، وقام الربيع بن زياد فى خرسان بمأتم نائح، واعتكف مالك بن هبيرة بمنزله بالشام، أما الكوفة عرين الأسد الصريع فقد قامت بها المنائح الجازعة، رغم سطوة زياد وجبروته، وفاض الشعر بمراثيه الحزينة، فسجل زفرات تحرق الأكباد، وإنك لتستشعر اللوعة حين تسمع من تقول:

ألا يا ليت حجراً مات موتاً
ولم ينحركما نحر البعير
تجبرت الجبابر بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
فإن يهلك فكل زعيم قوم
من الدنيا، إلى هلك يصير

وقد أدرك الخليفة الأموى زلته الخاطئة، وعرف موقعها الأليم من النفوس، فأخذ يستميل أقارب حجر بالمال تارة، وبالقدر والقضاء تارة أخرى، وقد اعتزله مالك بن هبيرة فى منزله، فبعث إليه بمائة ألف درهم، وقال له: (إن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك فى ابن عمك لا إشفقة عليك وعلى أصحابك، أن يعيدوا لكم حربا أخرى، فيكلفك الشخوص إليه، ويكون فى ذلك من البلاء ما يكون)، وهو تبرير مخجل، وتمحل بغيض، شفعت له النقود، فأغمضت عين مالك، وقطعت لسانه إلى حين.

على أن معاوية وقد أسكت مالكا لم يستطع أن يسكت نفسه بتبرير صادق لموقفه، فقد استباح ـ وهو إمام المسلمين ـ دماء أناس عصمها الله أن تراق دون أن يسمع لهم أو يأذن فى الدفاع لمن ألصقت بهم التهم الزائفات، وقد أكدوا له أنهم ثابتون مع الجماعة على بيعته، فانهارت بذلك كل دعامة يمكن أن تسنده فى بطشه، وجاء من الأمر مالا نقبل فيه شبهة واعتذار.

وقد ظل بعد ذلك حائرا قلقا يتصل بالعلماء، كعبدالرحمن بن أبى ليلى فيصارحونه بالخطيئة والمعصية فى قتل حجر وأصحابه، وتراه زوجته وهو يصلى ذات مساء فيطيل الصلاة، فتقول: ما أحسن صلاتك، لولا أنك قتلت حجرا، ثم يأتيه أجله فيكون مما يردده فى احتضاره: (ويلى منك يا حجر، إن يومى معك لطويل).

لقد استشهد حجر بن عدىّ، فضرب المثل لمن بعده فى شجاعة الرأى وقوة العزيمة، وأشهد التاريخ أن الإسلام قد أنجب أبطالا لايؤثرون الشهادة على الحياة، دون أن تخضع نفوسهم لبهتان، أو لتستنيم أرواحهم إلى الضلال.

تصور بعض كتب التاريخ والأخبار هارون الرشيد على أنه رجل لا همَّ له إلا الانغماس فى الشهوات والملذات، والانصراف إلى متع الدنيا من شراب ونساء ولهو وغناء، وأن المطالع لهذه الأخبار يعجب كيف تكون هذه حياة رجل آلت إليه خلافة المسلمين فى أزهى عصور الإسلام، وكانت دولة الإسلام فى أيامه صاحبة الكلمة العليا فى العالم وباعثة الحضارة والرقى فى الشرق والغرب فكيف يتسنى هذا لدولة على رأسها رجل منغمس فى الشهوات والملذات من رأسه إلى أخمص قدميه.

هل كان «الرشيد» صاحب دنيا فقط؟

أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى

ولكن هذه الصورة الظالمة لهذا الرجل لا تلبث أن تزول حينما يمضى الإنسان فى استطلاع كتب التاريخ وتلك التى تهتم بتراجم الرجال ذوى المكانة والتأثير فى مسيرة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، فإن هذه الكتب تقدم إلى القارئ صورة مضيئة لشخصية هارون الرشيد بما تقدمه من التزام بالقيم الدينية واعتصام بأخلاق الإسلام، وما تنطوى عليه من خشية لله ومراعاة دقيقة لما يلتزم به الرجل التقى الذى يرعى الله فيما يفعل وما يذر من الأمور.

وكيف يتقبل إنسان له عقل يفكر به أن رجلا كانت حياته موزعة بين الجهاد والحج، فكان يحج سنة ويغزو سنة وأنه كان حريصا على لقاء العلماء والزهاد والاستماع إليهم وطلب النصيحة منهم والتأثر بمواعظهم حتى تسيل دموعه على خديه خشية لله وخوفا من عقابه.

وتحدثنا الكتب أيضا أن مجلس هارون الرشيد كان مجلس علم وبحث ودرس وتقبل للعظة والنصيحة من ذوى الصلاح وأهل التقوى، وأن رجلا يجمع مجلسه سفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ومن على شاكلتهما من أهل العلم والتقوى كيف يكون مجلسه مجالا للهو والغناء والعبث والشراب؟!

إن هذا أمر يحتاج من القارئ أن يتأمل فيما يقرأ وأن يقارن الأخبار بعضها ببعض، لأنه لا يمكن أن يجتمع خوف من الله وخشية له وتوزيع الحياة بين الحج والجهاد مع اللهو والعبث والغناء والجوارى والانغماس إلى الأذنين فى حياة اللهو والغناء فقد روت الكتب أنه كان يعرف للعلماء قدرهم ومكانتهم، ويفرق بين ما يتميز به كل منهم

من علم أو زهد وورع، ومن ذلك ما رواه عنه النضر ابن شميل قال: سمعت هارون الرشيد يقول: ما رأيت فى العلماء أهيب من مالك، ولا أروع من الفضيل، ولذلك من يتتبع أخبار هذا الخليفة العظيم يجده كثير الحديث والحوار مع العلماء والزهاد يأخذ عنهم ويتزود منهم بالموعظة ويعمر مجالسه بحضورهم، فقد جرى بينه وبين الفضيل ابن عياض حوار تعجب فيه من زهد الفضيل قائلا له: ما أزهدك؟

فقال له الفضيل: أنت أزهد منى.

قال هارون: وكيف ذلك؟

قال الفضيل: لأنى أزهد فى الدنيا وهى فانية، وأنت تزهد فى الآخرة مع أنها باقية.

وكان يدعو العلماء والزهاد إلى مجلسه يستمع إليهم ويطلب نصيحتهم ويتقبلها بقلب راض ونفس مطمئنة، فقد حدَّث سفيان بن عيينة قال: دعانا هارون الرشيد، فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعا رأسه بردائه وقال لى: يا سفيان، أيهم أمير المؤمنين؟

فقلت: هذا وأومأت إلى الرشيد.

فقال له: يا حسن الوجه، أنت الذى أمر هذه الأمة فى يدك وعنقك، لقد تقلدت أمرا عظيما.

فبكى الرشيد ثم أتى لكل منا ببدرة (هدية من النقود تقدر بعشرة آلاف درهم) فقبلها كل منا إلا الفضيل، فلاطفه الرشيد وألح عليه فى قبولها فاستعفاه.

ولما خرجا قال سفيان له: هلا أخذتها وصرفتها فى أبواب البر قال سفيان: فأخذ بلحيتى ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد وتغلط مثل هذا الغلط؟ لو طابت لأولئك لطابت لى.

أما الموقف المثير الذى يدل على أن الرشيد كان رجلا يرعى ربه، ويحافظ على دينه، ويتقبل الموعظة ويقدر العلماء، ويتأثر بعظاتهم، فرواه الفضل بن السبيع وزير الرشيد قال: حج أمير المؤمنين، فأتاني، فخرجت مسرعا، فقلت: ياأمير المؤمنين، لو أرسلت إلىّ أتيتك.

قال: ويحك. قد حاك فى نفسى شىء، فانظر لى رجلا أسأله.

فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة.

قال: امض بنا إليه،

فأتيناه، فقرعنا الباب، فقال: من ذا؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعا، فقال: ياأمير المؤمنين، لو أرسلت إلىّ أتيتك فقال: خذ لما جئناك له، رحمك الله، فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، قال: أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا، قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئا، انظر لى رجلا آخر أسأله.

قلت: هاهنا عبدالرزاق بن همام.

قال: امض بنا إليه.

فأتيناه، فقرعنا الباب، فخرج مسرعا، فقال: من هذا؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: ياأمير المؤمنين، لو أرسلت إلىّ أتيتك.

فقال: خذ لما جئنا له.

فحادثه ساعة، ثم قال له: عليك دين.

قال: نعم. قال: أبا عباس اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئا، انظر إلىّ رجلا أسأله.

قلت: هاهنا الفضيل بن عياض.

قال: امض بنا إليه.

فأتيناه، فإذا هو قائم يصلى، يتلو آية من القرآن يرددها.

فقال: اقرع الباب، فقرعت الباب، فقال: من هذا؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: مالى ولأمير المؤمنين.

فقلت: سبحان الله، أما عليك طاعة.

فقال: أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال: ليس للمؤمن أن يذل نفسه، ثم نزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا، فجعلنا نجول بأيدينا، فسبقت كف هارون قبلى إليه.

فقال: يالها من كف، ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله عز وجل فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام من قلب نقى فقال له: خذ لما جئناك فيه رحمك الله.

فقال: إن عمر بن عبدالعزيز لما ولى الخلافة، دعا سالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظى، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنى قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علىّ، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم بن عبدالله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخا، وأصغرهم عندك ولدا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

وإنى أقول لك: إنى أخاف عليك أشد الخوف يوما تزلّ فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله مثل هذا أو من يشير عليك بمثله هذا؟

فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين.

فقال: ياابن الربيع تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟

ثم أفاق الرشيد، فقال له: زدنى رحمك الله.

فقال: ياأمير المؤمنين: بلغنى أن عاملا لعمر بن عبدالعزيز شكا إليه، فكتب إليه عمر: «ياأخى أذكرك طول سهر أهل النار، مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد، وانقطاع الرجاء».

فلما قرأ الكتاب طوى البلاد، حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز، فقال له: ما أقدمك؟

قال: خلعت قلبى بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل.

فبكى الرشيد بكاء شديدا، ثم قال له: زدنى رحمك الله. فقال: ياأمير المؤمنين، إن العباس عم المصطفى ﷺ، جاء إلى النبى ﷺ فقال: يارسول الله أمّرنى على إمارة، فقال له النبى ﷺ: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت ألا تكون أميرا فافعل.

فبكى هارون بكاء شديدا، ثم قال: زدنى رحمك الله. فقال: يا حسن الوجه، أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار، فافعل، وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غشٌّ لأحد من رعيتك؛ فإن النبى ﷺ قال: **«من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة»**، فبكى هارون، وقال له: عليك دين؟

قال: نعم، دين لربى لم يحاسبنى عليه، فالويل لى إن سألنى، والويل لى إن ناقشنى، والويل لى إن لم ألهم حجتى.

قال: إنما أعنى من دين العباد.

قال: إن ربى لم يأمرنى بهذا، إنما أمرنى أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال عز وجل: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون۞ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون۞ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾** الذاريات: الآيات ٥٦- ٥٨.

فقال له: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها على عيالك، وتقوّ بها على عبادتك.

فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق الجنة، وأنت تكافئنى بمثل هذا!! سلمك الله ووفقك.

يقول ابن الربيع: ثم صمت، فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب، قال هارون: إذا دللتنى على رجل، فدلنى على مثل هذا، هذا سيد المسلمين.

فدخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال لها: مثلى ومثلكم، كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: فدخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج، فجلس فى السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينما نحن كذلك، إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف رحمك الله فانصرفنا.

هذا نموذج فذ من الرجال لم تلهه الدنيا ولم تشغل قلبه عن الآخرة، ولم تمنعه مكانة الخليفة وسلطانه من أن يتوجه إليه بالنصيحة والموعظة منبها له على مسئوليته أمام الله، وأن الناس سيسألون كل عن عمله أما هو فسيسأل عن هؤلاء الناس جميعا الذين يمثلون رعيته من فقير عار، ومريض مؤرق، وشيخ كبير، وصاحب عيال ليس عنده ما يكفيه ويكفى عياله، ومظلوم يتضرع إلى الله أن يأخذ له بحقه من ظالمه، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

ما أحوج الأمم والمجتمعات إلى هذه النماذج التى تذكرها بالله، والتى تتعالى عن الدنيا وشهواتها وترقب ما عند الله.

ولئن أعطانا هذا الحوار نموذجا فذا من الرجال الذين لا يخافون فى الله لومة لائم، والذين يطلقون كلمة الحق رجاء أن تجد لها محلا فتصلح قلوب الحاكمين وتسهل الحياة على المحكومين، فإنه قدم إلينا صورة حقيقية عن شخصية هارون الرشيد الذى يخاف الله ويستشعر مسئولياته، ويذكر موقفه أمام الله يسأله عمن وكل إليهم القيام بشئونهم فتنطلق عبراته ويهتز كيانه ويتكشف ذلك الموقف عن رجل يرعى حق الله عليه، ويخشى عاقبة التقصير، وليست الصورة الأخرى التى صورتها بعض الكتب عن حياة غارقة فى اللهو، مليئة بالشهوات، رحم الله الفضيل وهارون فما أحوج الدنيا إلى عالم مثل الفضيل وإلى حاكم مثل هارون.

شخصيات لنا فيهم قدوة

القاضى أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم

(١١٣ - ١٨٢هـ)

مدخل لسيرة أبى يوسف:

فأبو يوسف كنيته، واسم ولده الأكبر «يوسف» والقاضى لاشتهاره بمهنة «القضاء»، ولأنه صاحب أول لقب يلقب فى الإسلام بـ«قاضى القضاة»، فذاع صيته رحمه الله بهذه التسمية حتى كاد أن ينسى اسمه الحقيقى إلا عند أهل العلم.

أ. د / آمنة محمد نصير

وأبو يوسف هو: يعقوب بن إبراهيم بن سعد ابن حُبْتة الأنصارى، وسعد هو أول جد من أجداد أبى يوسف فى الإسلام، أصابته دعوة النبى ﷺ وبركته بمسح يده على رأسه - فمن حديث العباس بن أحمد بن الفضل الهاشمى متصلا بأبى يوسف قال: أتى بجدى سعد إلى النبى ﷺ يوم الخندق فاستغفر له ومسح برأسه، فتلك المسحة فينا إلى يوم الساعة، قال: وكان أبو يوسف إذا نظرت إليه فكأنه أدهن من تلك المسحة(١).

فى الكوفة: ولد أبو يوسف القاضى، ونشأ فى تلك المدينة التى ضمت فيها كثيرا من أجناس البشر، والقبائل المختلفة من قبائل العرب الجنوبية والشمالية الذين هاجروا إليها وقت إنشائها، وأصبحت تزخر بمباهج الحياة الحضارية المستلهمة من حواضر العالم التى اتصل بها العرب آنذاك، كما اكتظت المدينة بمختلف الأحزاب السياسية من خوارج وموال وشيعة وأعاجم وأصحاب ملل وعقائد شتى.

شهد أبو يوسف نهضة عمرانية وثقافية، وأقيمت فى الكوفة الأسواق والقصور، وانتشرت فيها حياة اللهو والبذخ والمتعة المادية التى انغمس فيها كثير من المسلمين وبخاصة فى العصر العباسى، وبجانب هذا التيار نشأ تيار

الزهد أيضا فى اتجاه مضاد للأول.

ورغم ما ساد فى عصر أبى يوسف من هذا الرواج والبذخ إلا أن أبا يوسف نشأ فى كنف أبوين فقيرين، ولهذا يفترض أنه قضى فترة شبابه فى فقر وشظف فى العيش.

وكَبِر أبو يوسف، وأصبح شابا وتزوج ورزق أولادا، وثقلت عليه أعباء الحياة، كما ازداد انقطاعه عن العمل بسبب انجذابه الشديد لمجالس أستاذه أبى حنيفة، الذى وقف بجواره ومده بالمال والعون ، وذات يوم عاد أبو يوسف إلى البيت، وطلب ما يأكله، فأحضرت له امرأته غضارة مغطاة، فكشفها فإذا فيها دفاتر، فقال: ما هذا؟ قالت: هذا ما أنت مشغول به نهارك أجمع فكل منه ليلا، فبات جائعا.

طلبه العلم:

تعلق أبو يوسف بطلب العلم فى مجالسة شيوخه خاصة ابن أبى ليلى، حيث كانت المساجد جامعة عامرة بمختلف العلوم والفنون حيث كانت حلقات القرآن وتفسيره والحديث والفقه والشعر واللغة من مفردات وقواعد هذه المعارف الدينية التى حظيت بالعناية فى العصر الأموى وأصبحت الكوفة من المراكز الفكرية النشطة فى العصر العباسى، وتذكر المصادر أن أبا يوسف صحب أستاذه عبدالرحمن بن أبى ليلى مدة سبع سنوات ثم تحول إلى مجلس أبى حنيفة. الذى ظل ملازما له حتى آخر حياته ولا مجال لذكر جميع من أخذ عنهم وروى فى كتابه «الخراج»، وقد ساق الكوثرى طائفة من الأسماء التى عدها بعض شيوخ أبى يوسف فى العلوم فساق أكثر من مائة رجل دون أن يعرف منهم من حملة العلم من أهل العراق والحجاز وسائر البلدان من بينهم يذكر بضعف أو بوضع من بعض النقاد من الرواة(٢).

وجمع أبو يوسف أحاديث كثيرة قبل اجتماعه بأبى حنيفة، وفى أثناء ملازمته له أيضا، ولقى من أهل العلم نوعا من التسامح فى الرواية عنه لم يلقها شيخه نفسه الإمام أبو حنيفة، فهو صاحب سنة كما يقول عمرو الناقد: «ما أحب أن أروى عن أحد من أصحاب الرأى إلا عن أبى يوسف، فإنه صاحب سنة»(٣).

ووقفه يحيى بن معين حين قال: «ليس أحد من أصحاب الرأى أثبت عندى من أبى يوسف، ولا فى أصحاب أبى حنيفة أحفظ للفقه عندى منه»(٤).

بقى أبويوسف فى الكوفة بعد وفاة شيخه أبى حنيفة، وظل فترة من الزمان يعلم الناس دينهم ويفقههم فيه، وقد بلغ مبلغا عظيما ومكانة مرموقة فى الحديث والفقه، حتى جمع فقه الرأى وفقه الحديث، وقد عد أبو يوسف أحد المجتهدين المستقلين لما له من فضل وآراء فقهية خاصة وإن غلب عليه الاجتهاد فى المذهب الحنفى، فأدلته فى غالبها هى أدلة أبى حنيفة نفسها، وهى فى جملتها تؤلف منهج التأليف والتقريب بين المدرستين ـ مدرسة أهل الرأى (المدرسة العراقية) ومدرسة أهل الحديث (المدرسة الحجازية).

آراء أبى يوسف فى مسألة احياء موات الأرض:

اعتنى أبو يوسف عناية فائقة شأنه فى ذلك شأن بعض فقهائنا الأوائل وإبراز أهمية احياء الأرض الخربة أو أرض الموات وبيان قيمة إحيائها وتنميتها وشروط التملك لها، وأهمية عائدها على حياة الإنسان المستخلف فى الأرض، فكان له آراء سديدة فى هذا الميدان ما أحوجنا بالاقتداء بها فى هذا العصر الذى كثر فيه تعداد البشر، وقلت الموارد الغذائية التى تفى بحاجاتهم، وأصبح الآن يسيطر على معظم الشعوب الخوف من قلة الموارد التى ستؤدى إلى الجوع والهلاك للأمم.

يستند أبو يوسف فى حديثه عن أرض الموات فيما جاء عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحيا أرضا مواتا فهى له».

قال أبو يوسف: حدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضى الله عنها - عن رسول الله ﷺ قال: «من أحيا أرضا ميتة فهى له، وليس لعرق ظالم حق».

قال: وحدثنى ليث عن طاووس قال: قال رسول الله ﷺ: «عادىّ الأرض لله وللرسول ثم لكم من بعد، فمن أحيا أرضا ميتة فهى له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين».

هذه الروايات السابقة للحديث الشريف كانت الزاوية التى اجتهد حولها أبو يوسف وعرف الأرض الموات التى تحق لمن أحياها تملكها بالشروط الآتية، حتى لا تصير الفوضى والسطو على الأرض بدون وجه حق كما يحدث بين البشر على مر العصور والأزمان قال: الأرض التى افتتحت عنوة أو صولح عليها أهلها، وفى بعض قراها أرض كثيرة لا يُرى عليها أثر زراعة، ولا بناء لأحد، ولم تكن فيئا لأهل القرية ولا مسرحا ولا موضع مقبرة، ولا موضع محتطبهم، ولا موضع مرعى دوابهم وأغنامهم، وليست بملك لأحد ولا فى يد أحد فهى موات فمن أحياها أو أحيا منها شيئا فهى له، ولك أن تقطع ذلك من أحببت ورأيت، وتؤاجره، وتعمل فيه بما ترى أنه صلاح، وكل من أحيا أرضا مواتا فهى له(٥).

ولكن شيخه أبو حنيفة يضيف إلى ذلك شرطا أساسيا لهذا الامتلاك لأرض الموات يقول: من أحيا أرضا مواتا، فهى له إذا أجازه الإمام، ومن أحيا أرضا مواتا بغير إذن الإمام فليست له، وللإمام أن يخرجها من يده، ويصنع منها ما رأى من الإجارة والاقطاع وغير ذلك(٦).

ويعود أبو يوسف لاستحسان رأى شيخه أبى حنيفة ويقول: فإنما جعل أبو حنيفة اذن الإمام فى ذلك هاهنا فضلا بين الناس، فإذا أذن الإمام فى ذلك لإنسان كان له أن يحييها، وكان ذلك الإذن جائزا مستقيما، وإذا منع الإمام أحدا كان ذلك المنع جائزا ولم يكن بين الناس التشاحن فى الموضع الواحد ولا الضرار فيه مع إذن الإمام ومنعه، وليس ما قال أبو حنيفة يرد الأثر، إنما رد الأثر أن يقول: وإن أحياها بإذن الإمام فليست له.

فأما من يقول هى له فهذا اتباع الأثر ولكن بإذن الإمام ليكون إذنه فصلا فيما بينهم من خصوماتهم وأضرار بعضهم ببعض(٧).

ويستطرد أبو يوسف فى الدفاع عن رأى شيخه أبى حنيفة والتوفيق بينه وبين نص الحديث الشريف فيقول: أما أنا فأرى إذا لم يكن فيه ضرر على أحد ولا لأحد فيه خصومة أن إذن رسول الله ﷺ جائز إلى يوم القيامة، فإذا جاء الضرر فهو على الحديث «وليس لعرق ظالم حق».

وينتقل بعد ذلك أبو يوسف إلى قضية هامة لزماننا هذا وهى المتاجرة فى الأراضى دون زراعتها أو تعميرها بالعمران وانتقالها من تاجر إلى تاجر دون إنمائها بالصورة التى تعود على المجتمع والاقتصاد بالازدهار والتقدم، قال: وحدثنى محمد بن اسحاق عن الزهرى عن سالم ابن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر «من أحيا أرضا ميتة فهى له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين»، وذلك أن رجالا كانوا يحتجرون من الأرض مالا يعملون.

ثم يصنف الأرض بالحقوق التى تؤدى عنها لبيت المال مقابل امتلاكها للفرد فى معرض تفسيره فيما حدث به سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: من أحاط حائطا على أرض فهى له.

قال أبو يوسف: معنى هذا الحديث عندنا على الأرض الموات التى لا حق لأحد فيها ولا ملك، فمن أحياها وهى كذلك فهى له: يزرعها ويزارعها ويؤاجرها ويكرى منها الأنهار ويعمرها بما فيه مصلحتها، فإن كانت فى أرض العشر أدى عنها العشر، وإن كانت فى أرض الخراج أدى عنها الخراج، وإن احتفر لها بئرا أو استنبط لها قناة كانت أرض عشر.

ويتحدث أبو يوسف عن نوع آخر من أنواع أرض الموات التى تخلفها الحرب فيقول: وأيما قوم من أهل الحرب بادوا فلم يبق منهم أحد وبقيت أرضوهم معطلة ولا يعرف أنها فى يد أحد ولا أن أحدا يدعى فيها دعوى وأخذها رجل فعمرها وحرثها وغرس فيها وأدى عنها الخراج والعشر فهى له.

ثم يؤكد على مسألة هامة انفرد بها عن شيخه، بأنه ليس للإمام أن يخرج شيئا من يد أحد إلا بحق ثابت معروف، وللإمام أن يقطع كل موات، وكل ماكان ليس لأحد فيه ملك وليس فى يد أحد، ويعمل فى ذلك بالذى يرى أنه خير للمسلمين وأعم نفعا.

وبين أبو يوسف مسألة هامة حول أرض تخص قوم من أهل الحرب بادوا فلم يبق منهم أحد، وبقيت أرضوهم معطلة ولا يعرف أنها فى يد أحد ولا أن أحدا يدعى فيها دعوى وأخذها رجل فعمرها وحرثها، وغرس فيها وأدى عنها الخراج والعشر فهى له.

ويؤكد أبو يوسف على سلطات الإمام فى هذا المجال: وللإمام أن يقطع كل موات وكل ما كان ليس لأحد فيه ملك، وليس فى يد أحد ويعمل فى ذلك بالذى يرى أنه خير للمسلمين وأعم نفعا، ومن أحيا أرضا مواتا مما كان المسلمون افتتحوه مما كان فى أيدى أهل الشرك، وقد كان الإمام قسمها بين الجند الذين افتتحوها وخمسها فهى أرض عشر لأنه حين قسمها بين المسلمين صارت أرض عشر، فيؤدى عنها الذى أحيا منها شيئا العشر، كما

يؤدى هؤلاء الذين قسمها الإمام بينهم، وإن كان الإمام حين افتتحها تركها فى أيدى أهلها، ولم يكن قسمها بين من افتتحها كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ترك السواد فى أيدى أهله فهى أرض خراج يؤدى عنها الذى أحيا أرضا من أرض الموات ـ من أرض الحجاز أو أرض العرب التى أسلم أهلها عليها وهى أرض عشر، وإن كان يستطيع أن يسوق الماء إليها من الأنهار التى كانت فى أيدى الأعاجم فهى أرض خراج ساقه أو لم يسقه.

ثم يخص أرض العرب فى مخالفتها لأرض العجم من ناحية أن العرب يقاتلون على الإسلام لا تقبل منهم الجزية، ولا يقبل منهم إلا الإسلام، فإن عفى لهم عن بلادهم فهى أرض عشر، وإن قسمها الإمام ولم يدعها لهم فهى أرض عشر.

ويربط أبو يوسف امتلاك الأرض بالعقيدة، فيقول: وليس يشبه الحكم فى العرب الحكم فى العجم لأن العجم يقاتلون على الإسلام، وعلى إعطاء الجزية، والعرب لا يقاتلون إلا على الإسلام فإما أن يسلموا وإما أن يقتلوا، ولا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدا من أصحابه ولا أحدا من الخلفاء من بعده أخذوا من عبدة الأوثان من العرب جزية، إنما هو الإسلام أو القتل، فإذا ظهر عليهم بسبى النساء والذرارى كما سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ذرارى هوازن ونساءهم، ثم عفا عنهم بعد، وفعل هذا بأهل الأوثان منهم، أما أهل الكتاب من العرب فهم بمنزلة الأعاجم تقبل منهم الجزية، كما أضفى عمر رضي الله عنه على بنى تغلب الصدقة عوضا عن الخراج.

نخلص من هذه الإطلالة السريعة على فقيهنا أبى يوسف بما يستفيد به أهل زماننا فى مسألة تمليك من أحيا أرضا مواتا، التى وردت فى الحديث الشريف، وما وضعه هذا الفقيه العظيم من بحث وتأصيل لهذه المسألة، بأننا يمكن للحاكم أن يوظف نشاط وحيوية الألوف من الشباب العاطل عن العمل إلى أراضى الموات فى سيناء وبعض مناطق الوادى الجديد التى مازالت فى هذه المناطق المساحات الشاسعة محتاجة لهذه الأيدى الفتية والممتلئة بالصحة والعافية، مع نفوس تتوق للعمل وبناء المستقبل وتأمينه، وتنسحب هذه الأمنية إلى كل شبر فى مصر معطل عن الإنتاج والتعمير، ويوضع لهذا المشروع هيئة كاملة التخصيص والعطاء الصادق لتضع التخطيط والقوانين ومد سبل الحياة لها وعندها لن نجد متطرفا ولا عاطلا، وليس هذا فحسب بل سيسود التعمير الذى يصحبه الأمن الغذائى والسياسى والحربى للمناطق المتاخمة للمتحفزين والمتربصين لتسديد أى شر أو إيذاء لمصر ولأرضها وأبنائها من أى حدب أو صوب.

والله المستعان على ما يصفون.

الهوامش:

١ ـ العيسوى ـ أخبار أبى حنيفة وأصحابه ص٩٠، ابن عبدالبر القرطبى ـ الاستيعاب فى أسماء الأصحاب جـ٢ ص٥٢.

٢ ـ انظر: الكوثرى ـ حسن التقاضى ص١٧ ـ ١٨.

٣ ـ البغدادى ـ تاريخ بغداد جـ١٤ ص٢٥٣.

٤ ـ المصدر السابق جـ١٤ ص٢٥٩.

٥ ـ الخراج ـ ص٦٣.

٦ ـ الخراج ٦٣ ـ ٦٤.

٧ ـ المصدر السابق.

الطفولة فى الإسلام

الإسلام هو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ولذا لا عجب أن نجد أن كل أطوار ومراحل ومشاكل وتقلبات المسلمين مذكورة فى الكتاب المبين، والإسلام نظرته كلية للأمور، ولذا حين نتحدث عن الطفولة فى الإسلام فلابد من أن نأخذ فى الاعتبار المسلمات الآتية:

الإنسان خليفة الله فى الأرض، وإن من ضمن هدف الخلق إعمار الأرض، ولذا نجد العديد من الآيات والأحاديث التى تحث على الزواج.

قال الله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾، والآية تحض على ضرورة تكوين الأسرة، قال الله تعالى: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ النور: آية ٣٢.

د. محمد حسن غانم

- قال رسول الله ﷺ «**تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة**».

- «**من أحب فطرتى فليستن بسنتى وإن من سنتى النكاح**».

- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال**».

لذلك رفض الرسول ﷺ إقرار من عزم على الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج، وأعلن أن حياة الأسرة من سنته «**فمن رغب عن سنتى فليس منى**» فى صحيح البخارى.

- كما أوضح القرآن فى العديد من آياته أن الأنبياء - عليهم السلام - هم أصحاب السلوك الأمثل لأنهم ارتبطوا بالأسرة بل وطلبوا من الله خاشعين أن يرزقهم بالذرية.

فهذا زكريا عليه السلام يقول: ﴿**رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى**﴾ إبراهيم: آية ٤٠،

- ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾ الفرقان: آية ٧٤، وهو توجيه بالبحث عن الحياة الطيبة فى رحاب الأسرة.

- وتأكيد الإسلام على الزواج لأنه أساس الفطرة وسبب إعمار الأرض ﴿**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين**﴾ التوبة: آية ١٠٩.

- كذلك قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه «**من كان فقيرا فعليه بالزواج**» إذ كانوا يرون أن الزواج فاتحة خير، وإن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله.

ـ ولذلك يرفض الإسلام أى دعاوى وأى أعذار تمنع الإنسان من عدم الإقدام على إشباع غريزته الفطرية بصورة آمنة ومستقرة وسوية.

ـ ولذلك فإن الهدف من الزواج فى الإسلام تحقيق الأهداف الآتية:

١ ـ **شرع الله الزواج لبقاء النوع الإنسانى:** قال رسول الله ﷺ: **«تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».**

٢ ـ **تحقيق السكينة للنفس:** قال الله تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الروم: آية ٢١.

٣ ـ **تحقيق المودة والرحمة بين الزوجين:** قال الله تعالى: **﴿وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الروم: آية ٢١.

٤ ـ **جعل الإسلام الزواج سببا من أسباب الغنى وسعة الرزق:** قال رسول الله ﷺ **مسكين، مسكين، مسكين، رجل ليست له امرأة قالوا: يارسول الله وإن كان غنيا من المال؟ قال: وإن كان غنيا من المال، وقال: مسكينة، مسكينة، مسكينة امرأة ليس لها زوج، قالوا يارسول الله: وإن كانت غنية من المال، قال: وإن كانت غنية من المال»** رواه الطبرانى.

ـ وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ يشكو إليه الفاقة فأمره أن يتزوج.

٥ ـ **شفاعة النسل للمرء عند الله:** قال ﷺ: **«لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار، فقالت امرأة عند رسول الله: يارسول الله أو اثنتين فقال أو اثنتان»** رواه مسلم جـ٤ ص٦٩١.

٦ ـ **بقاء العمل بعد الموت:** قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدصالح يدعو له»** رواه مسلم.

٧ ـ **إشباع الغريزة الجنسية بطريقة مشروعة:** ويأخذ أجرا على ذلك، وحين سأل الصحابة الرسول متعجبين: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال ﷺ: **«أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى حلال».**

٨ ـ **توثيق الصلات بين الأفراد بعضهم البعض:** قال الله تعالى: **﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾** الفرقان: آية ٥٤.

ثانيا: التأكيد على ضرورة أن يكون الاختيار سليما وصحيحا:

أكد الإسلام على ضرورة أن يكون هناك العديد من الشروط الواجب توافرها فى الزوجة وكذا الزوج:

أ ـ الشروط الواجب توافرها فى الزوجة المسلمة:

أكد الإسلام على ضرورة أن تكون الفتاة تتمتع بسلامة العقيدة، ومكارم الأخلاق، واستقامة السلوك، وطهارة النفس من الحقد والحسد، وكافة النوازع التى تدمر النفس، ولن تكون الفتاة كذلك إلا إذا كانت قد نشأت فى بيئة صالحة وهيئتها لاكتساب هذه السمات.

ـ قال رسول الله ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»** صحيح البخارى.

ـ قال رسول الله ﷺ: **«لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء ذات دين أفضل»** رواه ابن ماجه.

ـ قال رسول الله ﷺ: **«ماستفاد المؤمن بعد**

تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله» رواه الحاكم.

٥ ـ الشروط الواجب توافرها فى الزوج المسلم:

قد ركز الإسلام على سلامة العقيدة والصلاح والتقوى، ونقاء الضمير وكرم الأخلاق وطهارة النفس، والسلوك المستقيم والقدرة على تحمل المسئولية، وأن يكون الزوج قادرا على حماية عرضه وشرفه والذود عنه.

ـ قال رسول الله ﷺ: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»**، فقالوا: يارسول الله، وإن كان فيه (أى فقر) فقال ﷺ: **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ثلاث مرات»** رواه الترمذى.

كذلك يشترط الإسلام أن يكون هناك تقارب فى السن، وأن يكون الرجل خاليا من العيوب والأمراض، فقد خطب أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فاطمة بنت محمد فقال لهما الرسول ﷺ: **إنها صغيرة، فخطبها على فزوجها منه»**. رواه النسائى.

ثالثا: الإسلام يحض على عدم زواج الأقارب:

يرغب الإسلام ـ حفاظا على النسل وصحته ـ من الزواج من غير الأقارب ومن الأفضل أن تكون الزوجة بعيدة النسب عن الزوج، ومن العجيب أن العلم الحديث قد أثبت هذه الحقيقة، إذ أن زواج الأقارب يؤدى إلى نسل ضعيف، مصاب بالعديد من الأمراض والاضطرابات.

ـ قال رسول الله ﷺ: **«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»**.

ـ وقال ﷺ: **«اغتربوا لا تضووا»**.

ـ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا»**.

رابعا: دور الزوج والزوجة كما تحدده الشريعة الإسلامية:

ـ قال رسول الله ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته»** رواه البخارى.

أ ـ دور الزوج:

أن ينفق على زوجه من حلال وأن يوفر لها المسكن والطعام والدواء والكساء.

ـ قال رسول الله ﷺ **«ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن»** رواه الترمذى وابن ماجه،

ـ بل إن الإسلام أحل للمرأة أن تأخذ من مال زوجها البخيل وفى حدود معقولة لكى تنفق هى وابنها، قال رسول الله ﷺ: **«إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف»** فى صحيح البخارى.

اضافة إلى احترام ملكيتها الخاصة فى أموالها، وألا ينفق منه إلا بإذنها وألا يظلمها أو يسىء إليها، وأن يتبسط معها من خلال الاستماع إلى حديثها وعليه أيضا عدم إيذاء الزوجة ولو بالعبوس فى وجهها أو توجيه كلمة نابية أو بالتعالى عليها أو الحط من شأنها، كما أن الشريعة قد أعطته السلطة فى التعامل مع نشوز الزوجة وعلى مراحل.

ب ـ دور الزوجة:

يحث الإسلام على طاعة الزوجة لزوجها لدرجة استئذانه فى أداء بعض العبادات (النوافل).

- قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة من غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره»** البخارى.

وكذلك لا تخرج من بيته إلا بإذنه، قال رسول الله ﷺ: **«إذا خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب»** رواه البيهقى.

وكذلك حفظ كرامة الزوج، وألا تقع عيناه أو أنفه أو أذنه إلا على كل ماهو طيب وجميل.

- كذلك عدم إفشاء أسرار الزوج أو عيوبه أو الشكوى منه وإن كان هذا واجبا على الطرفين، وخاصة عدم إفشاء ما يدور بينهم من أمور جنسية، وقد شبه الرسول من يفعل ذلك بشيطانين قد أفضيا إلى بعضهما البعض على قارعة الطريق وقد شاهدهما الجميع.

خامسا: إشباع الغريزة الجنسية بطريقة مشروعة:

إذا لم يهمل الإسلام التعرض لعلاقة الغريزة بين الزوجين لأنها هدف من أهداف الزواج لا ينبغى إغفاله أو تجاهله.

- قال الله تعالى: **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** البقرة: آية ٢٢٣.

- وقال تعالى: **﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾** المؤمنون: الآيتان ٦،٥، حتى لا يحدث كبت أو تضييق.

- بل على الطرفين أن يتجملا ويستعدا لهذا الأمر، وأن يستعيذا بالله من الشيطان الرجيم، وضرورة المداعبة قبل المواقعة - كما يقول الرسول الكريم قبل أن يكتشف هذه الحقائق علماء الجنس والنفس - ولابد من إضفاء الحنان والوفاق والانسجام بين الطرفين حتى يشعرا بالأمان والارتواء، ألم يقل الرسول ﷺ: «إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها».

سادسا: حقوق الأبناء على الوالدين:

أ - نهى الإسلام عن تفضل إنجاب الذكور على الإناث لأن مسألة الإنجاب إنما هى قدر من الله سبحانه وتعالى، صحيح أن علماء الوراثة قد اكتشفوا أن الرجل يحمل نوعين من الجينات س، ص وأن المرأة تحمل نوعا واحدا من الجينات (س، س) وأنه إذا أتحد (س) الرجل مع (س) المرأة فإنها تلد بنات، وإذا اتحد (ص) الرجل مع (س) المرأة فإن المرأة تلد ولدا إلا أن كل ذلك مرهون بمشيئة الله سبحانه وتعالى، ووصفه القرآن بأنه (هبه) وحين جاء الإسلام وجد الناس يفضلون الولد على انجاب البنات، وقد وصف القرآن الكريم هذا المشهد قائلا: **﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون﴾** النحل: الآيتان ٥٨، ٥٩.

- ومن هنا جاءت أحاديث الرسول لتؤكد هذه الحقائق بأنه لا فرق بين الولد والبنت، وقد تكون البنت أبر بوالديها من الولد لأننا لا نعرف أين الخير.

- قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة».**

- وقال ﷺ: **«من كانت له ابنة فأدبها وأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة»** رواه الطبرانى.

- كذلك قول الإمام أبى حامد الغزالى: لا يجب

على المسلم أن يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فإنه لا يدرى الخير، له فى أيهما، فكم من صاحب ابن يتمنى أن يكون بنتا بل السلامة منهم أكثر والثواب فيهم أجزل».

ب - أن يسمى ابنه أو بنته اسما حسنا: كى لا يتأذى به إن كان كريها، وهذا من حقوق الولد، على والده، وقد أدرك هذا المغزى علماء النفس والطب النفسى دلالة الأسماء وما قد تقود إليه من اضطرابات إذ قد يكون الاسم غير مميز لجنس الشخص، أو قد يكون اسما ليس له أى معنى، أو قد يشير إلى أسماء تاريخية أو أدبية أو غيرها، وبما أن الاسم هو أول صفة من صفات الذات لدى الشخص إذن لابد أن يكون مقبولا، وأن الرسول يقول: خير الأسماء ما حمد و عبد، كما أننا نذكر الرجل الذى جاء يشكو إلى عمر بن الخطاب من ولده، فلما استمع رضي الله عنه إلى الطرفين عنف الوالد لأنه لم يراع حقوق الابن، وكانت أبرز الأشياء على الاطلاق هو أنه قد سمى ابنه أى اسم غير مستحب.

جـ - الانفاق على الطفل من حلال: إذ أن الطفل طالما هو عاجز عن العمل هنا لابد من مسئولية الأب فى الإنفاق على ابنه، وليس من أى مال بل لابد أن يتحرى الحلال، لأن المال الحرام لا يفيد بل قد يذهب بالبركة.

- قال رسول الله ﷺ: **«وابدأ بمن تعول، يقول الولد أطعمنى إلى من تدعنى»** رواه البخارى.

- وقال الرسول ﷺ: **«كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت** (أو يعول)» رواه أبو داود والحاكم وأحمد فى مسنده، والإعالة تشمل توفير كافة المطالب المادية الخاصة بالإطعام والكساء والمسكن وتوفير اللعب للطفل.

- كما تشمل أيضا الرعاية المعنوية والمتمثلة فى إعطاء الطفل حقه من الحب والرحمة.

قدم ناس من العرب على رسول الله ﷺ فسألوا: تقبلون صبيانكم؟

فقالوا: نعم.

فقالوا: لكنا والله لا نقبل.

فقال النبى ﷺ: **«أو أملك إن كان الله قد نزع من قلوبكم الرحمة»** رواه الشيخان.

ولذلك تمتد الرعاية والإعالة لتشمل الجانبين معا: توفير الاحتياجات المادية وأيضا - وبنفس القدر توفير الرعاية المعنوية القائمة على إشعار الطفل بالحب، وأنه مرغوب فيه ومحبوب من قبل الوالدين أو الآخرين بصفة عامة، وقد أثبت علم النفس الحديث أهمية ذلك، كما أن سفر الآباء - أحدهما أو كلاهما - والاكتفاء فقط بإرسال مبالغ مالية كثيرة لأولادهم - حتى وإن كانوا كبارا فى السن - إنما يكون دافعا لهم إلى الانحراف، صحيح أنهم يلبون كل احتياجاتهم المادية، لكن الإحساس بالحب، والتقدير والتوجيه مفتقد مما يجر بهؤلاء الشباب إلى الانحراف فى دروب من السلوكيات المدمرة.

ولعل ذكر العديد من المواقف التى كان الرسول ﷺ يلاطف الحسن والحسين، بل لا ينهض من صلاته وهو راكع خشية إزعاجه، مثال واضح على مدى الرعاية التى يوليها الإسلام للطفل، بل أستطيع أن أغامر بالقول: إن الرعاية التى يقدمها الآباء للأبناء تغنيهم عن عدم توفير بعض المطالب المادية غير المتاحة..

يروى جابر رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى طعام، فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب فى الطريق مع صبيان، فأسرع النبى ﷺ **أمام القوم ثم بسط يده فجعل الحسين هاهنا وهاهنا فيضاحكه رسول الله حتى أخذه فجعل احدى يديه فى ذقنه والأخرى**

بين رأسه وأذنيه ثم اعتنقه وقبله ثم قال: **حسين منى وأنا منه، أحب الله من أحبه»** رواه الطبرانى.

د ـ العلم والتأدب: إذ لابد من التدريب على شعائر الدين أو إعطاء القدرة فى ذلك، إذ من غير المعقول أن تتصور الأب يعلم ابنه ويهتم بذلك والأب نفسه غير مهتم وألا يؤدى الصلاة، بل الأفضل أن يكون الوالدان قدوة وأن يقوما بنفس الأفعال الطيبة التى يريدان من الطفل الالتزام بها.

ـ قال رسول الله ﷺ: **«مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع»** رواه الطبرانى.

ـ وقال ﷺ: **«أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»** رواه ابن ماجه.

وقال أيضا: **«من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه»** رواه البيهقى.

ـ أما المنهج التربوى للطفل فقد جاءت فى سورة لقمان النصائح الآتية:

ـ **﴿يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾** لقمان: آية ١٣.

ـ **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾ وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا﴾** لقمان: آية ١٤، ١٥.

ـ **﴿واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾** لقمان: آية ١٥.

ـ **﴿وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾** لقمان: آية ١٧.

ـ **﴿ولا تصعر خدك للناس ولاتمش فى الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور ﴿واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** لقمان: الآيتان ١٨، ١٩.

هـ ـ المساواة بين الأطفال فى كل شىء: لأن التمييز بين الأبناء يخلق الحقد ويفسد الصلة بين الإخوة.

ـ قال رسول الله ﷺ: **«اعدلوا بين أبنائكم فى النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف»** رواه الطبرانى.

ـ كذلك ذكر القرآن نموذجا من صور تفضيل الأب لأحد أبنائه وكيف أن ذلك قد أشعل نار الحقد والحسد بين الأشقاء فدبروا مكيدة للتخلص من هذا الشقيق (موضع الإعجاب من قبل الأب)، وقد جاء ذلك فى سورة يوسف **﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين﴾ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾** يوسف: الآيتان ٨، ٩.

وليس هذا فحسب بل إن القرآن قد نبه على الآباء والأمهات خاصة، أن يفطموا الطفل خلال عامين قد يقل عن العامين قليلا لكن لا يجب أن يزيد عن ذلك، وأن تكون الرضاعة طبيعية، وقد أثبتت الأبحاث العلمية الطبية والنفسية تأثير: الارضاع من اللبن الصناعى على نفسية الطفل، أو زيادة فترات الرضاعة وما يترتب عليها من تنمية لسمات الاعتماد وعدم القدرة على تحمل المسئولية ويظل الفرد طول حياته لا يسعى إلا إلى الحصول على اللذة وتجنب الألم.

أما عن مدة الرضاعة فقد أشار إليها القرآن فى قوله تعالى: **﴿وفصاله فى عامين﴾** لقمان: آية ١٤، والتعبير بقوله تعالى **﴿فى عامين﴾** يفيد الجزئية، بمعنى أن عملية الفصال أى منع الطفل من الاستمرار فى الرضاعة تتم فى خلال عامين وليست مدتها عامين فقط، أو أقل من ذلك قليلا، ومن ثم فهذه الآية توضح ضرورة عملية الرضاعة الطبيعية وتحدد الفترة المثلى لها. والإسلام لا يفرق فى ذلك بين البنت والولد، أى أنه يطالب بالمساواة فى كل شىء.

احتياجات الطفل من الألعاب المفيدة

و ـ توفير الألعاب والإجابة على كافة تساؤلاته بصورة مبسطة: إذ من المعروف ـ كما اكتشف علم النفس حديثا ـ فائدة اللعب والذي يلعب دورا ضروريا في النمو من الناحيتين الجسمية والشخصية، ففي اللعب يجد الأطفال الشروط المناسبة لنمو وتحسين أنشطتهم الحركية، وتصبح الحركة هنا غاية في حد ذاتها، كما أن اللعب يساعد الطفل على إدراك العالم الذي يعيش فيه والتحكم فيه، والتعرف على الألوان والأحجام والأشكال، كما أنه يتدرب على مهارات الأخذ والعطاء، وينتقل من التمركز حول الذات إلى النشاط الجماعي، إضافة إلى العديد من الفوائد التربوية للعب حيث أن اللعب يفتح أمام الطفل المجال لاستخدام الحواس، فيلاحظ ويتساءل ويكتشف، فترتيب الطفل ـ مثلا ـ للمكعبات يجعله يقوم بدور من أدوار الحياة، كما تم الاكتشاف حديثا أن اللعب له فوائد علاجية لأن اللعب وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها الشخص للتعبير عن ذاته، ويكشف من خلاله عن مشاعره، ويعطي مؤشرا لمدى ثقته بنفسه لأنه يكون في حاجة إلى التخفيف من المخاوف والتوترات التي توجدها الطفولة وأساليبها المفروضة عليه من بيئته، ولا عجب أن نجد الآن العديد من عيادات الأطفال النفسية مملوءة بالألعاب، ويترك الطفل على سجيته ثم من خلال ملاحظته لطريقة ألعابه يتم تشخيص حالاته والتعرف على مشكلاته وهل هي مشكلات تتعلق بالذات، أم بالآخر أم بالاثنين معا، إضافة إلى أن الألعاب لها العديد من الفوائد الإبداعية مثل:

أ ـ إن الألعاب تساعد الطفل من خلال الإجابة عن تساؤلاته في فهم أفضل للعالم الخارجي وتنمي لديه الإبداع والخيال.

ب ـ إن الطفل في هذه المرحلة يكون مولعا بالقصص والحكايات، ولذلك نجده يصغي إليها بشغف، وفي هذه الأحوال يمكن للوالدين أو من يحل محلهما لفترات قصيرة، أن ينميا هذه المهارة من خلال سرد القصص والحكايات.

جـ ـ توفير الفرص للاستفادة من التطورات التقنية الحديثة، من خلال توفير الألعاب الإلكترونية والأجهزة التي تعمل بالحاسب الآلي مثل ألعاب «الأتاري» والبرامج الأخرى والتي تساعد على تنمية العديد من المهارات الذهنية لدى الطفل.

ومن المعروف أن الطفل في سنواته الأولى أحب شيء إليه هو اللعب، ومن خلال اللعب تنمو طاقاته العقلية والنفسية، والبدنية، وقد كان النبي ﷺ يشارك أحفاده اللعب بنفسه، ولا يستنكف من ذلك، كما لا عجب أن نجد احدى نظريات علم النفس، وتسمى نظرية التحليل التبادلي تنهض على حقيقة مؤداها أن كل إنسان بداخله ثلاث مستويات أو أدوارهن: الوالد، الراشد، الطفل، معتبرا أن الشخصية تتكون من هذه المستويات الثلاث، وأن الطفل موجود بداخل كل منا، وأحيانا ما يتضايق من سجنه واستبعاده عن حيز الشعور والفعل، ولذلك لا عجب أن نجد بعض تصرفات الرجال بها تصرفات أطفال.

ط ـ أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم لأنهم شاءوا أو أبوا سيقلدهم أولادهم، ولذا لابد للوالدين أن يكونا على حذر في كل أقوالهم وأفعالهم، فلا يقولوا شيئا ثم يفعلون عكسه، اضافة إلى عدم جعل المنزل ساحة للتنابذ بالألقاب أو العراك، لأن العديد من الدراسات النفسية قد أثبتت أن ذلك يؤثر في نفوس الأطفال ويجعلهم عرضة للوقوع فريسة في كافة الأمراض والانحرافات السلوكية.

الدعوة والدعاة

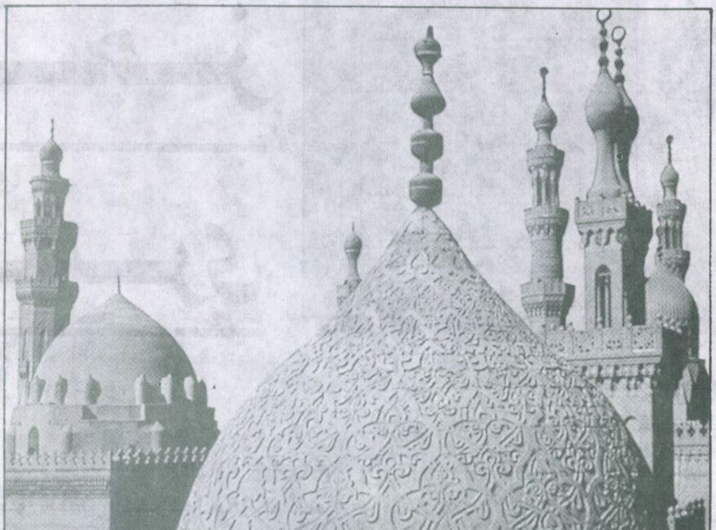

- آيات التحدى والعجز البشرى
- متى تطلق زوجة المحبوس؟

آيات التحدى والعجز البشرى

تنتشر آيات التحدى فى القرآن الكريم مبينة أن المساواة بين بنى الإنسان ليست فى التبعات فحسب، وإنما هى أيضا فى القدرة المحدودة للإنسان بحدود التكوين العقلى والنفسى والجسدى، وأن هذه القدرة وإن عظمت فإنما هى عاجزة عن إيجاد شىء من العدم، أو محو شىء خلقه الله وقدره، أو تبديل حالته وتغيير أصله وإن صغر!! إن مساواة العجز هنا قائمة ومستمرة منذ وجد الإنسان على هذه الأرض.

أ. د/عبدالرشيد سالم

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم(١) وقال شركاؤهم(٢) ما كنتم إيانا تعبدون﴾ فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾ كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾(٣) قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾**يونس: الآيات ٢٨ ـ ٣٥.

وهكذا اختلف الناس واختلفت الأزمان واختلفت الأرباب المعبودة من دون الله، ولكن التحدى الإلهى قائم وثابت لم يرد عليه تغيير، ولم يطرأ عليه تعديل، فعبدة النار عرفوا أنها مخلوقة، وعبدة الكواكب أدركوا أنها مسيرة، وعبدة الأصنام تيقنوا بأنها من صنع أيديهم، وعبدة الحيوانات عرفوا أنها فوق عجمتها فانية زائلة، وعبدة الرموز بدلوها وغيروها حسب رغبتهم وأهوائهم، وبقيت عبادة الإله الحق خالق الأشياء والإنسان ثابتة تشهد عليها قدرته وفعله، خلق السموات والأرض وما فيهن، وجعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل فاختلف الليل والنهار، هذه الظواهر البارزة التى تلمس الحس، وتوقظ القلب لو تفتح وتدبرها تدبر الواعى لأدرك أن الله الذى خلق هذا ودبره هو الذى يليق أن يكون ربا يدين له البشر بالعبودية ولا يشركون به شيئا من خلقه.

إن هذا الكون الهائل سماواته وأرضه، وما فيهما من أمم ومن سنن ومن نبات ومن طير ومن

حيوان ومن حشرات، هذه الخلائق الذاهبة الآيبة فى تدافع وانطلاق، وهذه الأرحـام التى تدفع والقبـور التى تبلع، والذبول والنماء، والميلاد والممات، والحركة الدائبة فى هذا الكون الهائل التى لا تنى ولا تتوقف لحظة من ليل أو نهار تدل على أن خالقها ومدبرها هو الذى يستحق الربوبية والعبادة وحده!! قدرته فيها مفردة، وتصرفه فيها مطلق، وعجز الإنسان عن احتوائه دائم.

وإن وقفة أمام الحبة والنواة، تخرج منهما النبتة والنخلة، أو أمام البيضة والبويضة يخرج منهما الفرخ والإنسان لكافية لاستغراق حياة الإنسان فى التأمل.

أين كانت تكمن السنبلة فى الحبة؟ وأين كان يكمن العود؟ وأين كانت تلك الجذور والساق والأوراق؟ وأين فى النواة كان يكمن اللب واللحاء والساق والعراجين والألياف؟ وأين كان يكمن الطعم والنكهة واللون والرائحة، والبلح والتمر والرطب؟ وأين فى البيضة كان الفرخ؟ وأين كان يكمن العظم واللحم، والزغب والريش؟ وأين فى البويضة كان الكائن البشرى العجيب؟ أين كانت تكمن ملامحه وسماته المنقولة عن وراثات موغلة فى الماضى متشعبة المنابع والنواحى؟ أين كانت نبرات الصوت ونظرات العين ولفتات الجيد واستعدادات الأعصاب ووراثات الجنس والعائلة والوالدين؟ وأين كانت تكمن الصفات والسمات والطبائع.

ومازال البشر يكشفون من أسرار الموت وأسرار الحياة، وإخراج الحى من الميت وإخراج الميت من الحى، وتحول العناصر فى مراحل إلى موت أو حياة ما يزيد مساحة السؤال عمقه وشموله كل يوم وكل لحظة.

إن تحول الطعام الذى يموت بالطهى والنار إلى دم حى فى الجسم الحى، وتحول هذا الدم إلى فضلات ميتة بالاحتراق لأعجوبة يتسع العجب منها كلما زاد العلم بها. وهى بعد كائنة فى كل لحظة آناء الليل وأطراف النهار.

إن الحياة لأعجوبة غامضة مثيرة تواجه الكينونة البشرية كلها بعلامات استفهام لا جواب عليها كلها إلا أن هناك إلها.. هو الذى يهب الحياة، ويدبر أمرها، وينظم حركتها على هذا النحو الدقيق، ويسيطر عليها فتمضى فى طريقها المرسوم بهذا النظام العميق.

يقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء﴾** الروم: آية ٤٠.

﴿أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ القصص: آية ٦٢.

﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد﴾ الأنعام: آية ١٩.

﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا﴾ الفرقان: آية ٤٥.

﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلاله﴾ النحل: آية ٤٨.

﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ يوسف: آية ٣٩.

﴿ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾ آل عمران: آية ٧٠.

كان المشركون عند نزول القرآن لا ينكرون وجود الله، ولا ينكرون قدرته وتدبيره لهذا الكون، ولكن انحراف الفطرة كان يقودهم مع هذا الاعتراف إلى الشرك بالله فيتوجهون بالشعائر إلى سواه، كما يتبعون شرائع لم يأذن بها الله، يحيدون عن الطريق الموصل إلى الإيمان، ويجحدون المقدمات التى فى الأصل ويصرفون أنفسهم عن الدلائل المشهودة أمامهم، فجاءت آيات التحدى تقرع آذانهم وتدق على رءوسهم بمعاول الحق الذى لا ينكرونه، وتثير فى وجدانهم منطق الفطرة القويمة التى فطر الله الناس عليها إن من خلق الخلق لايصح أن يكون له شريك، وإن كان له شريك فماذا فعل وأين دلائل صنعه؟ وهل رب

واحد قهار أقرب للعقل والفطرة أم أرباب مختلفون متشاكسون؟ إنكم معشر الخلائق لا تجدون مفرا من التسليم للخالق، وأهل الكتاب من بينكم يشهدون بذلك ويقرون به، ولكنهم يعاندون ويكابرون فيما أنزل على محمد لأن لهم غايات شخصية، ومآرب دنيوية رسمها لهم هواهم وأسلمتهم إليها مطامعهم: **﴿ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾** آل عمران: آية ٧٠، والشهادة على آيات الله فى الكون لا تحتاج إلى نظريات ومعادلات وبراهين إنها ماثلة أمام كل عين!! ترى فى الفضاء والهواء والسحاب، فى الشمس والقمر والنجوم والكواكب، فى البحار والأنهار والعيون والثوابت فى الزرع والضرع، فى الإنسان والحيوان، فى الطير والحشرات والهوام فى كل ماهو كائن، معلوم لنا أو مجهول، مدرك أو غير مدرك، فكيف لإنسان أن يجحد ذلك؟..

يقول صاحب كتاب: الإنسان لا يقوم وحده (العلم يدعو إلى الإيمان) يبعد القمر عنا مسافة مائتين وأربعين ألفا من الأميال، ويذكرنا المد الذى يحدث مرتين تذكيرا لطيفا بوجود القمر، والمد الذى يحدث بالمحيط قد يرتفع إلى ستين قدما فى بعض الأماكن، بل إن قشرة الأرض تنحنى مرتين نحو الخارج مسافة عدة بوصات بسبب جاذبية القمر ويبدو لنا كل شىء منتظما لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة التى ترفع مساحة المحيط كلها عدة أقدام، وتحنى قشرة الأرض التى تبدو لنا صلبة للغاية..

والمريخ له قمر، قمر صغير، لا يبعد عنه سوى ستة آلاف من الأميال، ولو كان قمرنا يبعد عنا خمسين ألف ميل مثلا، بدلا من المسافة الشاسعة التى يبعد بها عنا فعلا، فإن المد كان يبلغ من القوة بحيث إن جميع الأراضى التى تحت منسوب المياه كانت تغمر مرتين فى اليوم بماء متدفق يزيح بقوته الجبال نفسها، وفى هذه الحالة ربما كانت لا توجد الآن قارات، وكانت الكرة الأرضية تتحطم من هذا الاضطراب، وكان المد الذى فى الهواء يحدث أعاصير مدمرة كل يوم».

وإذا فرضنا أن القارات قد اكتسحت، فإن معدل عمق الماء فوق الكرة الأرضية كلها يكون نحو ميل ونصف، وعندئذ ما كانت الحياة لتوجد إلا فى أعماق المحيط السحيقة على وجه الاحتمال.

ولكن اليد التى تدبر هذا الكون مرجت البحرين وجعلت بينهما برزخا وحاجزا من طبيعتهما ومن طبيعة هذا الكون المتناسق الذى تجرى مقاديره بيد الصانع المدبر الحكيم، هذا الجرى المقدر المنسق المرسوم، الذى لو اختلفت فيه بنية واحدة انهار البناء كله، أو زادت عن معدلها قوة تلاشت أمامها القوى الأخرى، أو تغير فى كينونته كائن زال وانمحى.

فمن ماء السماء وماء البحر والنهر وماء النطفة نشأت الحياة **﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾** الأنبياء: آية ٣٠.

﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾ الفرقان: آية ٥٤.

ولم تستطع قوى العلم الحديث بكل أجهزتها أن تجد تغييرا فى كيفية الخلق أو تملك تعديلا لبنائها، أو حتى تكشف كل أسرارها.

إن الحياة البشرية الناشئة من ماء النطفة أصعب وأضخم من تلك الحياة الناشئة من ماء السماء، فمن خلية واحدة من عشرات الألوف الكامنة فى نطفة واحدة من ماء الرجل!! تتحد ببويضة المرأة فى الرحم فينشأ ذلك الخلق العجيب الغريب.. الإنسان.. أعجب الكائنات الحية على الإطلاق.

﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ مريم: آية ٦٧.

الهوامش

١ ـ أى فرقنا وميزنا بينهم وبين المؤمنين.

٢ ـ من الأصنام والمعبودات الأخرى التى عبدها الإنسان من دون الله.

٣ ـ تؤفكون: تنقلبون وتنصرفون عن الحق إلى الباطل..

متى تطلق زوجة المحبوس؟

المستشار
حسن حسن منصور

فى رسالة باكية تقول صاحبتها: إن زوجها حكم عليه بالسجن عشر سنوات لتهمة هو منها براء، وهى متأكدة من ذلك ولكن ما العمل والزوج ينفذ العقوبة بالسجن وهى شابة تخشى على نفسها الفتنة؟ إن هذه الرسالة تفجر قضية حقوق الزوجة الشرعية والقانونية فى حالة الحكم على الزوج بعقوبة مقيدة للحرية، وهذا ما سنعرض له على النحو التالى:

أولا: مدى أحقية هذه الزوجة فى التطليق:

ابتداء نذكر أن أهم المقاصد الشرعية للزواج هى حِل الاستمتاع بين الزوجين، بما يحقق الإحصان لكل منهما، ولهذا حرصت الشريعة الغراء على بيان الوسائل التى تكفل تحقيق ذلك على أتم الوجوه.

إن زوجة المحبوس لها حقوق كثيرة تترتب على هذا الحبس وأهمها حقها فى طلب التطليق من الزوج لهذا السبب، وقد قاس فقهاء الشريعة الإسلامية هذا الحق على حق الزوجة فى طلب التطليق إذا غاب الزوج عن زوجته مدة طويلة تزيد على سنة كاملة، وذلك لعلة واحدة هى عدم تحقق الاستمتاع بين الزوجين، ولاسيما إذا كانت الزوجة شابة وتخشى على نفسها الفتنة.

وقد نظم المشرع القانونى هذا الحق استمدادا من الشريعة الغراء عملا بأحكامها السامية، وذلك بالنص فى المادة ١٤ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م على أنه: «لزوجة المحبوس المحكوم عليه نهائيا بعقوبة مقيدة للحرية ـ مدة ثلاث سنين فأكثر ـ أن تطلب إلى القاضى بعد مضى سنة من حبسه التطليق عليه بائنا للضرر، ولو كان له مال تستطيع الإنفاق منه».

وهذا النص يقر لزوجة المحبوس الحق فى أن تلجأ إلى قاضى الأحوال الشخصية بطلب التطليق عليه لأن فى حبسه ضرراً لها، إن لم يكن ماديا ملموسا فهو معنوى قد يؤدى إلى أى ضرر مادى آخر، وقد جاءت شريعة الإسلام لإزالة الضرر عن الناس، ولكن هذا النص يتطلب عدة شروط إذا أرادت الزوجة استعمال الحق المقرر به.

ثانيا: شروط تطليق زوجة المحبوس:

أجازت المادة ١٤ من المرسوم بقانون رقم ٢٥

لسنة ١٩٢٩م المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م لزوجة المحبوس أن تطلب التطليق منه للضرر بالشروط الآتية:

أ - أن تكون الزوجية قائمة بين الطرفين حقيقة لا حكما، فلو طلق الزوج زوجته رجعيا فإنها تعتبر فى حكم الزوجة أثناء مدة العدة، فليس لها أن تطلب التطليق من هذا الزوج المحبوس، باعتبار أن الزوجية ستنقضى حقيقة بعد انتهاء مدة العدة التى لا تزيد على ثلاثة أشهر.

ب - أن يكون الزوج محبوسا فعلا، وهذا يتحقق بتوافر الشروط التالية:

١ - أن يصدر الحكم بحبس الزوج مدة ثلاث سنوات فأكثر، والتعبير فى هذه المادة بالحبس لا يعنى الاقتصار على عقوبة الحبس كإحدى العقوبات المقيدة للحرية الواردة فى قانون العقوبات، ولكن المقصود هو بيان الحد الأقل من هذه العقوبات، ذلك بأن العقوبات المقيدة للحرية كما أوضحها قانون العقوبات تتدرج تصاعديا من الحبس إلى السجن ثم الأشغال الشاقة بنوعيها: المؤبدة والمؤقتة، فإذا كان الحبس يبرر للزوجة طلب التطليق من زوجها فمن باب أولى يكون السجن والأشغال الشاقة كذلك.

٢ - أن تكون مدة الحبس أو السجن أو الأشغال الشاقة أكثر من ثلاث سنوات، وتثبت فى الحكم، لأن العبرة فيما ورد فى الحكم الصادر بالعقوبة وليس بالقدر المبين بقانون العقوبات.

٣ - أن يكون الحكم نهائيا، بحيث يكون واجب النفاذ، ويكون ذلك باستنفاد طرق الطعن العادية، أى يكون هذا الحكم صادرا من المحكمة الاستئنافية، فإن كان هذا الحكم غيابيا أو لم يطعن عليه بالاستئناف ولم تنقض مواعيد هذا الطعن، فلا يقوم حق الزوجة فى طلب التطليق.

٤ - أن يقوم الزوج المحكوم عليه بالتنفيذ الفعلى للعقوبة المقيدة للحرية، أى أن يدخل الزوج محبسه، فلا يكفى مجرد صدور الحكم بالحبس أو السجن دون أن يباشر المحكوم عليه فعل التنفيذ، باعتبار أن التنفيذ يحقق الغاية من طلب التطليق وهى غيبة الزوج عن زوجته لمدة ينجم عنها الضرر.

أجازت الشريعة لزوجة المحبوس المحكوم عليه نهائيا بعقوبة مقيدة للحرية مدة ثلاث سنوات فأكثر أن تطلب إلى القاضى التطليق للضرر ولو كان له مال تستطيع الإنفاق منه

جـ - أن يكون طلب الزوجة التطليق على زوجها المحبوس بعد مضى سنة من تاريخ دخول محبسه لتنفيذ العقوبة المحكوم بها على النحو سالف الذكر، ولا عبرة بتاريخ صدور الحكم أو صيرورته نهائيا، حتى لا يستفيد المحكوم عليه الهارب أو الذى لم ينفذ العقوبة.

ثالثا: هل للزوجة أن تلتقى بزوجها المحبوس؟!

إذا كان رأى الفقهاء قد استقر على أن زوجة المحبوس تصاب بضرر من جراء حبس زوجها بالشروط سالفة البيان، وهذا الضرر مفترض لا يحتاج لإثبات من الزوجة، ويتحقق حتى لو كان للزوج مال تستطيع الإنفاق منه، فهنا يثور تساؤل

حول إمكانية التخفيف من هذا الضرر، وذلك: هل لهذه الزوجة أن تلتقى بزوجها المحبوس داخل محبسه؟! والمقصود بهذا اللقاء هو معاشرة الزوج لزوجته على الوجه المعتاد قبل دخول السجن.

وقانون الإجراءات الجنائية وقانون تنظيم السجون فى مصر لم يرد بهما أية إشارة عن تنظيم لكيفية إتمام هذا اللقاء، الأمر الذى جعل البعض يقترح ضرورة الأخذ بهذا اللقاء فى التشريع المصرى، وهذا الاقتراح جدير بالدراسة المتأنية لما يترتب على الأخذ به من آثار خطيرة فى حياة الأفراد والمجتمع.

لقاء المحبوس بزوجته يحقق التوازن بين مصلحة المجتمع فى تنفيذ العقوبة وبين مصلحة الزوجة والأولاد فى الاستقرار الأسرى

إن الأخذ بهذا الاقتراح لا يتعارض مع طبيعة العقوبة المتمثلة فى حرمان المجرم من التمتع بألوان المتعة فى الحياة لما اقترفت يداه فى حق المجتمع والناس: ﴿جزاء وفاقا﴾، ذلك بأن أثر تطبيق العقوبة على هذا المجرم لا يجب أن يتعداه إلى غيره، وإذا كان فى تنفيذ الحكم بحبس أوسجن الزوج يحقق ردع الإجرام فيه، إلا أنه يلحق الضرر بالزوجة وربما الأولاد إذا كان هذان الزوجان قد أنجبا قبل تنفيذ الحكم، وفى إعمال هذا الاقتراح ما يحقق التوازن بين مصلحة المجتمع فى تنفيذ العقوبة وبين مصلحة الزوجة والأولاد فى الاستقرار الأسرى وعدم اللجوء إلى طلب التطليق للضرر.

بل إن فى الأخذ بهذا الاقتراح ما يزيد من فاعلية تنفيذ العقوبة، وذلك بأن يكون تحقق اللقاء بين الزوجين منحة تعطى للمحكوم عليه الذى ينفذ العقوبة وهو حسن السير والسلوك ويُحرم منها المحكوم عليه غير هذا، وفى ذلك تشجيع لكل محكوم عليه بالحبس أو السجن أو الأشغال الشاقة على أن يكون حسن السيرة وقويم السلوك أثناء تنفيذ هذه العقوبة.

إن تنفيذ هذا الاقتراح يتطلب تعديلا تشريعيا لقانون تنظيم السجون يتضمن الضوابط اللازمة لمنع الآثار السلبية التى قد تنجم عن تطبيقه.

رابعا: أهمية التقاء المحبوس بزوجته:

إن الاقتراح بضرورة التدخل التشريعى لتنظيم التقاء المحبوس بزوجته أثناء تنفيذ العقوبة له أهمية بالغة فى القضاء على السلبيات الموجودة بالسجون، وذلك على النحو الآتى

أ - أحد العاملين بإحدى المحاكم الابتدائية الكبرى ذكر أن موظفا وعاملا بها كانا يسمحان لبعض المحبوسين احتياطيا بالاجتماع على انفراد بزوجاتهم خلسة بإحدى حجرات المحكمة حتى تم اكتشاف الواقعة ومجازاة المتسببين فيها، ولكن يبقى الأثر السلبى لها المتمثل فى مدى ثبوت نسب الولد الذى قد يأتى نتيجة هذا اللقاء.

ب - أحد المحكوم عليهم الذى أتم تنفيذ عقوبة السجن خمس سنوات ذكر أن هناك حالات متعددة للشذوذ الجنسى (اللواط) بين بعض نزلاء السجن، رغم الجزاءات الرادعة لمن يُكشف أمر ارتكابه لهذا الفعل.

جـ - إن تحقيق هذا اللقاء المقترح لا يتصور أن

يكون مقصورا على الرجل المحبوس، ولكن يجب أن يشمل المرأة المحبوسة، وذلك بالسماح لزوج هذه المرأة باللقاء معها بنفس الضوابط المقررة لهذا اللقاء مع زوجة المحبوس.

د - بعض زوجات المحبوسين يحجمن عن رفع دعوى بطلب التطليق لحبس الزوج، وذلك لاعتبارات اجتماعية بحكم الحياة فى بعض البيئات التى تحكمها عادات وتقاليد معينة، أو خشية الدخول فى إجراءات التقاضى التى قد تطول بعض الوقت حتى تصل على الحكم بالتطليق.

هـ - إن تحقيق هذا اللقاء يؤكد احترام الطبيعة الإنسانية والغرائز التى أودعها الله تعالى فى النفس البشرية، والتى يجب العمل على إشباعها بالسُبل المشروعة، كما أن فى الحرمان منها أو كبتها أضرارا وشرورا كثيرة، ومن الخير للفرد والمجتمع التخلص منها.

خامسا: ضوابط التقاء المحبوس بزوجته:

إن الاقتراح بإدخال تعديل تشريعى على قانون تنظيم السجون فى مصر بما يسمح بالتقاء المحبوس بزوجته أثناء تنفيذ العقوبة، جدير بالدراسة والأخذ به، ولكن لخطورة الآثار المترتبة عليه يجب أن توضع الضوابط المحكمة التى تحول دون وقوع سلبيات فى التطبيق العملى لهذا التعديل، ونرى من هذه الضوابط ما يلى:

أ - أن يقوم الزوج المحبوس بإبداء رغبته فى هذا اللقاء لإدارة السجن الذى يقوم بتنفيذ العقوبة فيه، وعلى هذه الإدارة إبلاغ هذه الرغبة لزوجة المحبوس، وفى حالة قبولها وموافقتها على هذه الرغبة تقوم إدارة السجن بترتيب هذا اللقاء.

ب - على إدارة السجن تخصيص أماكن محددة تناسب طبيعة هذا اللقاء داخل هذا السجن بالمواصفات التى يحددها قانون تنظيم السجون.

جـ - أن تقوم إدارة السجن بإعداد سجل خاص لإثبات بيانات المحبوس وزوجته وتاريخ الموافقة منهما على هذا اللقاء، والتاريخ الذى تم فيه هذا اللقاء.

وأهمية هذه الضوابط تظهر فى الآتى:

١ - ضرورة موافقة كل من الزوجين على هذا اللقاء، لأن هذا يعنى أن الزوجة لا تتمسك بحقها فى طلب التطليق لحبس الزوج لانتفاء العلة من هذا الطلب وهو خشية الفتنة.

٢ - إثبات بيانات اللقاء فى سجل خاص يفيد فى ثبوت نسب الطفل الذى قد يكون ثمرة هذا اللقاء، بما يحول دون رفع دعاوى إنكار ونفى النسب.

٣ - إذا كان القانون قد تطلب لرفع دعوى التطليق لحبس الزوج أن يكون ذلك بعد سنة من بداية تنفيذ الزوج للعقوبة، فإن فى تحقيق هذا اللقاء ما يجعل هذا الشرط قد لا يتحقق، أو على الأقل يجعل هذه المدة تبدأ من تاريخ إتمام هذا اللقاء أيا كانت مدة العقوبة، وهذا يكون واضحا جليا بالنسبة للعقوبات طويلة المدة كالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة.

٤ - إتمام هذا اللقاء بهذه الضوابط يحقق النظرة الحديثة للسجون من إصلاح وتقويم سلوك المجرم بما يجعله فردا نافعا وعضوا فعالا فى المجتمع بعد خروجه من السجن.

الإســلام والإنسـانية

يبهر الناس ماتدعو إليه المحافل الدولية، وتنادى به حينا بعد حين من مبادئ وقيم تبدو لأول نظرة فى الأديان الإلهية وفى الإسلام المهيمن بخاصة، مكانها البارز، ومنزلها المرموق، وأنها حق للناس على الناس، وأثر لا يصدق بدونه دين، ولا تصلح عقيدة، ولا يحسن سلوك.. ورعاية المسنين، ويوم الصحة العالمى، وعيد الأم، وعيد العمال، والعام الدولى لحقوق المرأة و.... و....

فضيلة الشيخ/ معوض عوض إبراهيم

من هذه الدعوات التى تعلو بها أصوات المؤسسات الدولية باسم العدالة والرحمة والأخوة الإنسانية، وكأن للعدالة والرحمة والإخوة تواريخ زمنية ومناسبات تواتى حينا بعد حين على أنها فى الحق ألزم شىء لكل زمان ومكان وكأنها مفهومات أخرى غير ما تدل عليه الألفاظ، مما يشهد به الدين الخاتم قرآنا وسنة، فعلى سمع هذه المؤسسات وبصرها تذبح العدالة والرحمة والأخوة الإنسانية فى فلسطين ويوغسلافيا وإريتريا وأفغانستان وجنوب لبنان، وغير قطر فى أوروبا وآسيا، وفى بقية مما كان يعرف بالستار الحديدى، وكأن قلوب القوم فى هذه المؤسسات وفى دولها الكبرى، قد قدت من صخر، فإن الأمور لا تعنيها إلا بقدر ما يعود عليها مجتمعة أو منفردة من فرص التوسع والسيطرة، والاستئثار بخيرات هذه الأقطار بغير مبرر ولا برهان.

ورعاية المسنين، والاهتمام بأمرهم فى الأسرة والمجتمع من أوجب ما أوجب الإسلام على الأفراد والجماعات وعلى ولاة الأمور، كذلك، قال الله تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾** التوبة: آية ٧١.

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع، ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى بيت سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته»** متفق عليه.

وفى الأثر **«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»** رواه الحاكم عن عبدالله بن مسعود، ولقد قال أحدهم لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: **«إذا كنت فى المشرق وبلغك أن أخا لك فى المغرب يشكو فلم تدفع شكواه فلست بمسلم»**.

إن المسنين هم آباؤنا وإخواننا وأهلونا، وإن اختلفت الأوطان والألوان ولهجات اللسان، قال الله تعالى: **﴿ياأيها الناس إناخلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** الحجرات: آية ١٣.

يجمعنا وهؤلاء المسنين، الأب الواحد آدم عليه السلام، وتؤلف بيننا الإنسانية التى تعنى أول ما تعنى من فطرة الله تعالى ما عنته آية الحجرات من أن نتعارف ونتآلف، ونتواد ونتعاطف أفرادا وجماعات وشعوبا وأمما، فإن ذلك هو تقوى الله التى يصنع الله بها العليم بمن خلق شرفهم وكريم أصلهم.

ولقد قلت يوما:

تؤلف بيننا أسمى الصفات

فلسنا قادمين من الفَلات

أبى وأبوك آدم لست أحظى

به منى، ومن أى اللدات

وتجمعنا عقيدتنا، ودين

نُفدِّيه بمختلف الهبات

ونحيا فرصة عما قليل

ستمضى، فالوجود إلى فوات

إن الله تعالى خلق أبانا آدم من تراب هذه الأرض، وخلق من ضلع من أضلاعه، بل من أضعف أجزاء هذا الضلع أم البشرية حواء - عليهما السلام - والسنة النبوية تجلو حقيقة أمنا حواء، ولو شاء الله لخلق الكائن البشرى الأول من أنفس المعادن، ولكنه حين خلقه من تراب من طين لازب، من حمأ مسنون، شرفه فسواه بيده، وعلمه ما أسجد به له ملائكته، واستخلفه وذريته فى الأرض.

أجل، لم يخلق الله آدم من أنفس المعادن، وإن كان مبتدؤها جميعا على نفاستها من هذه الأرض أيضا، لكنه خلق من تراب، وخلقنا - سبحانه وتعالى - كما قال **﴿كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾** المعارج: آية ٣٩، وقال سبحانه: **﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾** المرسلات: آية ٢٠، وقال: **﴿من نطفة خلقه فقدره﴾** عبس: آية ١٩.

كى لا يشعر أحد بامتياز فى الأصل والنشأة، حتى يتفاضل الناس بالإيمان والتقوى، قال تعالى: **﴿ولكل درجات مما عملوا﴾** الأنعام: آية ١٣٢.

إن وحدة الخلق والنشأة جلية فى غير موضع من كتاب الله تعالى، وإنها لحكمة من الله أنه كررها ورد عقولنا وقلوبنا إلى مغزاها، كلما داخلنا شىء من دواعى الكبر والاستعلاء على الآخرين، ونلمس مع قصة الكائن البشرى الأول مصدر حياتنا نحن، ومراحل وجودنا بعد أن خص آدم بالمرحلة الأولى فقال تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٤.

إن المرء يكون نطفة تمنى، ثم علقة، ثم مضغة، ثم يصير عظاما ثم يكسو الله العظام لحما، ثم ينفخ فيه الروح، وأى ضعف وراء أن يكون أصل الإنسان تلك النطفة الضعيفة؟!

ثم يخرج من بطن أمه نحيفا واهن القوى، ثم يشب قليلا قليلا، حتى يصير طفلا حدثا، ثم يصير شابا، وتلك الشبيبة هى القوة بعد الضعف، وهى لا تدوم فكل شىء لضده يتحول، ولا يلبث الفتى أن يمشى حينئذ وللأرض منه وئيد فى

مرحلة من الحياة هى ربيع العمر، تلك التى يقول فيها الشاعر:

إن الشباب الذى مجد عواقبه

فيه نَلَذُ، ولا لذات للشيب

ويقول الآخر:

قد كنت لا أرهبُ السباع ولا

أحذر رأس البعير إن نفرَا

يمشى الفتى على الأرض يحسبها تميد لخطوه، ويعمل - فى أكثر أحواله - لا يعرف الكلال، ويواجه الأخطار غير هيَّاب ولا وجل، ولا يطول هذا العهد، فهو يشعر بالضعف بعد القوة، ويكتهل ويشيخ ثم يهرم فتضطرب الأوصال، ويداخله الوهن والانحلال، وتضعف الحركة وضعف الهمَّة، وتشيب اللمَّة، وهذا زكريا عليه السلام يحكى الله تعالى مقالته **﴿قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا﴾** مريم: آية ٤.

وكان نداؤه لربه من خلال الشيخوخة التى رهقته دون أن يكون له ولد، وهى مظنة عدم الإنجاب، ولا النهوض بالعمل على النحو الذى يحسنه الشباب، فلما جاءته البشرى بيحيى عليهما السلام - قال: **﴿رب أنَّى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر﴾** آل عمران: آية ٤١، **﴿قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾** مريم: آية ٨.

وإبراهيم عليه السلام حين بشرته الملائكة بغلام عليم من سارة، بعد أن أسنا وكبرا، حكى الله تعالى قوله: **﴿قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون﴾ ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾** الحجر: الآيتان ٥٤، ٥٥، وهو عليه السلام يحمد المنعم المتفضل فيقول: **﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء﴾** إبراهيم: آية ٣٩.

وتقدم سورة البقرة مثل رجل «أصابه الكبر» فى قوله تعالى: **﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾** البقرة: آية ٢٦٦.

إنها حالة رجل كبرت سنه وأولاده لا يملكون له نفعا، وله حديقة طيبة الموقع، حيث الثمر المتعدد من نخيل وأعناب، لكنها احترقت أشد ما كانت حاجته إليها، فهو فى عمره المتقدم، وأولاده ضعفاء لا يناط بهم رجاء، وحديقته تحترق هكذا وتخيب فيها الآمال، وهكذا يتبدد أمل من عمل دون أن يجعل وجه الله قصده بكل حال، ولنذكر من القصة قوله تعالى: **﴿وأصابه الكبر﴾** حتى نخلص إلى مراد الله منها بعسر العمل وصعوبة التصرف فى هذه المرحلة.

إن الشيخوخة تُقعد الرجل الذى كان لا يرهب السباع ولا يحذر رأس البعير حين ينفر ويتمرد فيقول الرجل صادقا:

والذئب أخشاه إن مررت به

وحدى، وأخشى الرياح والمطرا

كذلك الذى قال موجعا:

قد كنت أمشى ولست أعيا

فصرت أعيا، ولست أمشى

ولقد سئل بعضهم: كيف تراك؟ فقال: «أرانى وقد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود (يعنى الشعر) واسود منى ما كنت أحب أن يبيض (يعنى أثر التجاعيد فى الوجه) واشتد منى ما كنت أحب أن يلين (يعنى المفاصل).

إن الشيخوخة وهن، وهى ردة - برغمنا - إلى حال الطفولة التى لا يكون الطفل فيها مسئولا عن تصرفاته، وعن عجزه عن بلوغ مراده حتى يعينه الآباء.

والله تعالى يذكر الناس، وينبه الغافلين، ويضاعف فرصة الاعتبار للمعتبرين، وهو يقرر أطوار الحياة فيقول سبحانه: **﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾** الروم: آية ٥٤، ويقول تعالى: **﴿ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾** الحج: آية ٥.

تلك هى مسيرة حياة الحى، ينبغى أن يكون على ذكر من تغيرها وانقلابها إلى ما وراءها من مراحل حتى يبلغ الكتاب أجله، وعلى المرء أن يترفق بالطاعنين فى السن والمعمرين، فإنه سيبلغ إن تمادى به عمر وتراخت حياة، ذلك المصير الذى يحتاج إلى إكرام من يرعى شيبته كما رعى هو شيبة غيره يوم أن كان قادرا تناط به الآمال، والنبى ﷺ يقول: **«إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم»** رواه أبوداود من حديث أبى موسى الأشعرى.

ومما ينبغى أن نعلم أن البر بالمسنين دين نتقاضاه واثقين من غيرنا غدا أو بعد غد وأن الترفق بهم والإحسان إليهم من عرفنا منهم ومن لم نعرف يضاعف فى نفوسهم اليقين فى الأخوة الإنسانية والأخوة الإيمانية، فالإحسان لا يعرف حدودا ولا يتوقف عند المدى الذى يصلنا بك أو يصلك بى من كلام عبدالله بن مسعود رضي الله عنه **«صنائع المعروف تقى مصارع السوء»**.

وما أجمل أن نتقيد بقول الله تعالى: **﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾** الإسراء: آية ٢٣، فإن العندية فى الآية تعنى البر الراشد للآباء الذين يجدون فى قربهم منا ما يبدد وحشتهم ويضاعف مسرتهم بأنهم ليسوا فى **«دور المسنين»** التى قد يكون فيها عناية ورعاية لكنهما لايرجحان فى ميزان البر أمام وجود المسنين **«عندنا»** كما قال الله، وفى أقرب مكان منا ونحن نشاهد صغارنا وهم يسارعون إلى الجدود ويفترشون حجورهم ويلتمسون الدفء وهم يترامون إلى صدورهم.

ويفرحون بكل كلمة تنفرج عنها شفاه الآباء والجدود والجدات كذلك وبخاصة تلك الحقائق الدينية والتاريخية والترفيهية التى يعطى الأبناء آذانهم وقلوبهم جميعا لكلام أصولهم فيها كما يعطونهم أبصارهم واعتبارهم وهم يرونهم يتوضأون ويتطوعون ببعض الصلوات التى قد يؤديها الكبار فى المنازل والديار.

إن المسنين خير وبركة على كل أفراد أسرهم فعندهم تلتمس الحكمة والموعظة الحسنة وفيهم تبدو الأصول التى ننسج على منوالها ونقتفى آثارها كما قيل **«إن الأصول عليها ينبت الشجر»**.

فإلى رحاب الإسلام وفراديسه نجد أضعاف أضعاف ما تتمجد به الحضارات والأفكار الوافدة، وأفكار الرجال الذين يقال لهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قال الشاعر:

يقولون هذا عندنا غير جائز
ومن أنتم حتى يكون لكم (عند)

والهدى من قبل ومن بعد هدى الله الذى خلقنا من ذكر وأنثى وجعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف ونتعاون على البر والتقوى ولا نتناجى عبر الزمان إلا بالبر والإحسان.

وراء الأخبار
منير بيومى

في معسكر أبى بكر الصديق لشباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية

شيخ الأزهر : القوة فى الإسلام رحمة وعدل وبناء وتنمية

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وعن يمينه الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى لقاء مع شباب الفوج الثانى لمعسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية

أمتنا مطالبة بالأخذ بأسباب العلم ومسايرة التقدم في عصر المعلومات

معسكر أبو بكر الصديق الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لشباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية يعد مهرجانا دينيا وعلميا وثقافيا يناقش فيه المسئولون مع الشباب القضايا الإسلامية السياسية والاجتماعية والعلمية أيضا، ولعل الاستفادة الكبرى التى تعود على الشباب المشاركين فى هذا المعسكر هى مناقشة القضايا المطروحة على الساحة محليا وإقليميا وعالميا فى إطار ديمقراطى بكل صراحة ووضوح لكشف الحقائق أمام الشباب وهو فرصة ليعرف الشباب مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات نحو أنفسهم وأمتهم.

مصر على مدى التاريخ تقف إلى جانب الحق والعدل والشرعية

فى لقائه مع طلبة الوجه القبلى أعضاء معسكر أبى بكر الصديق السنوى للمتميزين دينيا ودراسيا أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف أن القوة فى الإسلام هى قوة العدل والرحمة والبناء والتنمية والوحدة ولم الشمل وهذه هى القوة التى تنادى بها مصر.

بلغ عدد المشاركين فى المعسكر هذا العام نحو ألفين من الطلاب والطالبات من شباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية التقوا خلال المعسكر بكوكبة من العلماء والوزراء وكبار الشخصيات. هؤلاء الطلاب تم اختيارهم كأفضل العناصر المتميزة خلقيا وعلميا من خلال الجامعات والاتحادات والروابط الطلابية.

وإضافة إلى المحاضرات واللقاءات فإن برنامج المعسكر الذى يبدأ من الساعة السادسة صباحا حتى العاشرة مساء يشمل أنشطة رياضية وثقافية ومسابقات فى بحوث دينية وأدبية وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تخصص لها جوائز عينية للفائزين توزع عليهم فى نهاية كل فوج كما يتيح المعسكر للشباب فرصة التعارف وتبادل المعلومات.

وتتحقق الاستفادة الكبرى للشباب فى اللقاءات اليومية بالعلماء والمسئولين، ويحرص فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف على اللقاء بالشباب فى كل عام يحدثهم، ويستمع إليهم ويجيب على استفساراتهم خاصة القضايا الفقهية.

وحول الأحداث الجارية من ممارسات وحشية ضد الشعب الفلسطينى الأعزل على مرأى ومسمع من العالم أكد فضيلته أن مصر على مدى التاريخ تقف دائما إلى جانب الحق والعدل والشرعية وإلى جانب المظلوم وأن مصر ضد أى اعتداء على إخواننا الفلسطينيين وأن التعاون معهم ومساندتهم ركن من أركان الإسلام وأمر يدعو إليه الدين.

وأوضح فضيلته أن طاقات الشباب حينما تتوجه إلى الخير يكون لها أثر إيجابى فى حياتهم وتقدم مجتمعاتهم فهم عصب الأمة ومادة بقائها.

وقال: إن هناك أنواعاً من الجهاد وأفضلها جهاد النفس فطلب العلم هو نوع من الجهاد وبذل النفس وإحقاق الحق من الجهاد.. والمؤسسات الدينية الآن فى أسمى درجات التعاون من أجل خدمة ديننا ومن أجل خدمة وطننا هذا التعاون يزيدنا قوة، فالمسلمون ليسوا قلة وهم يشكلون خمس سكان العالم هم فى أشد الحاجة إلى التضامن حتى يمكن لهم أن يدافعوا عن مقدساتهم، فالقدس ليست ملكا للفلسطينيين بل للمسلمين جميعا.

حث فضيلة الإمام الأكبر الشباب على الصلاة وقراءة القرآن وتدبر معانيه والتمسك بالفضائل والتحلى بمكارم الأخلاق وأن يبذلوا كل مافى وسعهم للتسلح بالعلم ومسايرة التقدم العلمى وثورة المعلومات من أجل خير وطنهم حتى ينعم بالاستقرار والأمان ويأخذ المكان اللائق، فالضعفاء ليس لهم مكان فى دنيا الأقوياء.

وأضاف: أن شريعة الإسلام تميزت بالوضوح

فى عقائدها وعباداتها ومعاملاتها وآدابها وفى كل تشريعاتها، وأنها لم تكن يوما دعوة إجبار وإنما دعوة للسماحة واليسر ورفع الحرج مشيرا إلى أن القرآن الكريم ساق حشودا من الأدلة ليناسب كل العقول.

الأخذ بأسباب العلم والتقدم

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن أمتنا مطالبة بالأخذ بأسباب العلم ومسايرة التقدم فى عصر ثورة المعلومات والاتصالات، وطالب الشباب أن يتسلحوا بالعلم لأن الذى يملك العلم يملك القوة ويستطيع مواجهة المتغيرات العالمية حتى لا نتخلف عن ركب الحضارة.

وقال وزير الأوقاف: إن مصر تبنى نفسها بكل قوتها من أجل تقديم الخير لكل فرد فى هذا البلد وأن الدين الإسلامى يقدس العلم والعمل من أجل الدين والدنيا مشيرا إلى أن الشباب هم عدة الأمم وعلى أكتاف هذا الشباب تبنى الأمة مستقبلها.

وأعلن وزير الأوقاف أن أكثر من أبناء ٩٠ دولة يقيمون بمدينة البعوث الإسلامية، وأبناء ٥٦ دولة من آسيا وأفريقيا وغيرها يشاركون فى معسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية مما يؤكد اهتمام مصر والرئيس مبارك بزيادة الاهتمام والرعاية والمنح الدراسية لشباب العالم الإسلامى الدارسين فى الأزهر الشريف، موضحا أن هناك أكثر من ١٤ ألف طالب وطالبة من مختلف أنحاء العالم يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته.

النهوض بالشباب ورعايتهم

باعتبار أن الشباب مستقبل مصر فإن الدولة توليهم اهتماما كبيرا لتحقيق هدف رئيسى هو النهوض بالشباب على كافة المستويات وتأهيلهم وتزويدهم بالخبرات والمهارات اللازمة وتكنولوجيا المعلومات التى تؤهلهم لمسايرة تطورات العصر.

وتأكيدا لذلك فإن الدكتور علىّ الدين هلال وزير الشباب يعترف بأن مسئولية النهوض بالشباب ورعايتهم لا تقع على عاتق وزارة الشباب وحدها بل تشترك فيها كل الوزارات والمؤسسات المعنية بأمور الشباب وقضاياه مشيرا إلى أنه تم إعداد خطة طموحة لتوفير نصف مليون فرصة عمل لتشغيل الشباب من خلال مشروعات كبرى سيتم الانتهاء منها خلال نهاية العام الحالى. وقال إن الخطة تشمل تطوير وتحديث خمسة وثلاثين بالمائة من مراكز الشباب فى المحافظات موضحا أنه تم بالفعل تطوير ٦٢٧ مركزا خلال المرحلة الأولى لخطة التطوير.

وقال د. على الدين هلال: إن تطوير مراكز الشبابى يحتل موقعا متقدما فى أجندة العمل الشبابى باعتبارها مؤسسات تربوية تهدف إلى إعداد الشخصية المتكاملة للنشء والشباب مشيرا إلى أنه فى هذا الإطار تتحرك الخطة فى عدة محاور لتبدأ بتطوير البنية التحتية وإقامة ١٠٠ مركز شباب فى كل عام ثم المحور الثانى الذى يشمل تطوير المكتبات بتكلفة ٤ ملايين جنيه مع إقامة ٨٠ مكتبة نموذجية وتخصيص ١٤٠ ألف جنيه لتدريب مشرفى المكتبات من خلال دورات تدريبية بالتعاون مع مركز دعم واتخاذ القرار.

وقال: إن المحور الثالث يركز على دعم مراكز الشباب بالأدوات الرياضية بتكلفة ٥ ملايين جنيه، أما المحور الرابع فيركز على إقامة مشروعات مستحدثة تواكب تطورات عصر المعلومات بإقامة معامل للحاسب الآلى بتكلفة ٨ ملايين و١٠٥ آلاف جنيه بواقع ٦٥ ألف جنيه لكل معمل. هذا بالإضافة إلى التوسع فى إقامة أندية العلوم بالمحافظات بتخصيص مليونى جنيه بحيث تصل إلى ٨٤ ناديا للعلوم فى مجالات التكنولوجيا والإلكترونيات والكهرباء والصناعات الكيميائية بالإضافة إلى مشروع تنمية المهارات الأسرية

والصحية للفتيات بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم فى ١٠٠ مركز للشباب لتفعيل دور المرأة وتنشيط العضوية النسائية.

وأكد وزير الشباب أن المتغيرات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة سوف يكون التفاضل بين الأمم بما يملكه من ذكاء بشرى وقدرة على الابتكار والاختراع وسيكون الصراع علميا بحثيا وهو ما يؤكد ضرورة الأخذ بوسائل التقدم والتفوق.

لقاءات ممتدة

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ان لقاءات العلماء والشباب فى معسكر أبى بكر الصديق هى امتداد للقاءات مع الشباب فى الجامعة وأن الحوار المباشر مع الشباب هو خير وسيلة لمناقشة القضايا بصراحة ووضوح بعيدا عن الرسميات، فالشباب هم أمل الأمة وعدة مستقبلها وهم الذين سيقودون المسيرة وسيكون منهم العلماء فى كل المجالات وطالب الشباب أن يتسلحوا بالعلم من أجل خوض معركة البناء والتعمير والتقدم فى عصر المتغيرات المتلاحقة فى ظل عصر العولمة.

وأوضح وزير الأوقاف أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يقوم دائما بتطوير الموقع الخاص به على شبكة الإنترنت والذى يتعامل معه ١٥٠ ألف شخص حيث يتم بث وعرض المفاهيم والعقائد الإسلامية باللغة الإنجليزية من خلال الموقع فضلا عن الرد على ما يثار ضد الإسلام من شبهات وتوضيح الحقائق وشرح تعاليم الدين الإسلامى الحنيف، وأضاف أن هناك لجنة عليا تابعة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تقوم بدراسة المواد العلمية التى تضاف لهذا الموقع والرد على الأسئلة التى يتم طرحها من خلاله، إضافة إلى إصدار الموسوعة الإسلامية المتكاملة وطبعها على اسطوانة ليزر وهى تتضمن عددا كبير امن المراجع والفتاوى الإسلامية وترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات الحية.

الدكتور زغلول النجار: حضارة الإسلام جمعت بين علوم الدين والدنيا

لأن العلاقة وثيقة بين الدين والعلم، ولأن الإسلام يدعو إلى العلم فإن القضية التى تواجه أمتنا هذه الأيام هى ضرورة التأهيل الإسلامى لجميع المعارف الإنسانية وذلك للخروج من المشكلة القائمة بين المتخصصين فى مختلف مجالات المعرفة. أكد ذلك د. زغلول النجار وأشار إلى أهمية التعليم الدينى وتزويد طلاب الدراسات العلمية والإنسانية بقدر كاف من الثقافة الإسلامية التى تعينهم على فهم دينهم فهما صحيحا.

وقال أنه لا توجد حضارة جمعت بين الدنيا والدين إلا الحضارة الإسلامية، فالحضارة الغربية على الرغم من تفوقها العلمى هى حضارة من داخلها متاكلة ومنهارة لا تقوم على ضوابط سلوكية أو عقيدة صحيحة والتزام خلقى صحيح.

وأضاف الدكتور زغلول النجار أن المعرفة الإنسانية كل لا يتجزأ ولها طبيعة هرمية قاعدته المعالم الكونية التى تعين الإنسان على القيام بواجبه فى خلافة الأرض.

وأضاف إن الإنسان يجب أن يهتم بتنظيم كافة المعارف المتاحة له للتعرف على قدرة الله فى إبداع هذا الكون وتوظيف هذه الطاقات لتتحقق له الخلافة فى الأرض، وأكد أن الإنسان بجانب تخصصه فى فرع من فروع العلم لابد أن يكون على علم ببقية العلوم الأخرى حتى لا ينعزل عن علوم العصر الذى نعيش فيه.

مساجد لها تاريخ

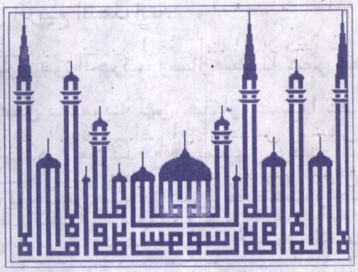

مسجد زين العابدين

الإمام زين العابدين من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عز وجل

محمد كامل شاهين

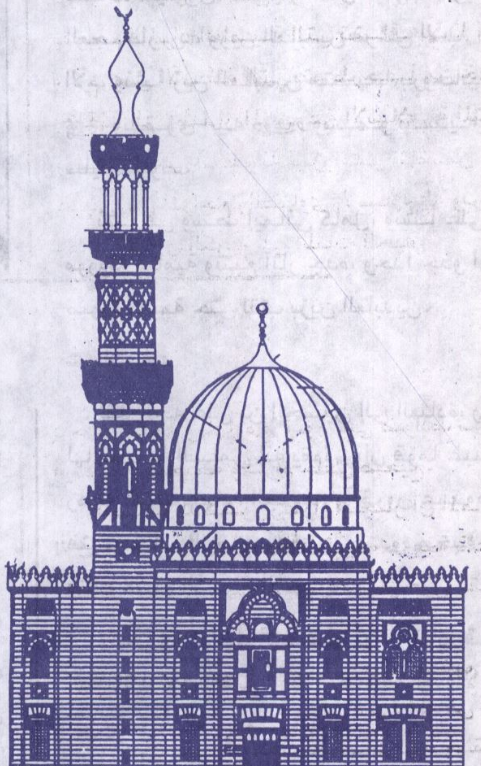

الواجهة الرئيسية

أوصى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بحب آل البيت والاقتداء بهم فى مسالكهم الرشيدة.

يقول ﷺ: «المرء مع من أحب».

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الحسن والحسين هما ريحانتاى فى الجنة» رواه البخارى، فإذا كانت المدينة المنورة شرفت بقبر الرسول ﷺ، فمصر شرفت بأضرحة آل البيت، وهذا شرف كبير للمصريين، ومن هذه الأضرحة الشريفة «قبر الإمام زين العابدين»، ونظرا لأهمية مسجد زين العابدين فقد أولته الدولة أهمية كبيرة حفاظا على طابعه المعمارى من الاندثار.

وقد رأت مجلة «منبر الإسلام» أن تلقى الضوء على هذا المسجد الكبير لما له من منزلة خاصة لدى المصريين.

نشأته:

نشأ على بن الحسين المعروف بـ«زين العابدين» من أبوين كريمين، كان أحدهما الحسين رضي الله عنه ابن بنت رسول الله ﷺ، وريحانته من الدنيا، وابن سلافة ابنة يزدجرد ملك الفرس.

أما قصة زواج الحسين بسلافة فهى ـ كما رواها المؤرخون ـ: لقد كان ليزدجرد ثلاث بنات هن أجمل مافى فارس، إنهن بنات الملك أشبه شىء بزهور الربيع النضرات.

ولقد أسرن فى الحرب، وسأل سيدنا عمر عما ينبغى أن يفعل بالنسبة لهن، فقال سيدنا على: يقومن ويأخذهن من يدفع قيمتهن، وقدر الله سبحانه أن يأخذهن سيدنا على، فحصلت واحدة لعبدالله بن عمر فأولدها سالما، والأخرى لمحمد ابن أبى بكر الصديق فأولدها القاسم، والثالثة للحسين فأولدها عليا «زين العابدين».

وكان يقال لزين العابدين: ابن الخيرتين، وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيما يروى: «لله تعالى من عباده خيرتان: فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس»، وزين العابدين قرشى الأب، فارسى الأم، ونشأ زين العابدين متشبعا بروحانية جده ﷺ، وبتقوى أبيه رضي الله عنه، وبسمو نفسية والدته سليلة الملوك.

نشأ فى وسط إيمانى كامل، ونشأ على فطرة موروثة سامية وتتبع آثار جده، وحذا حذو أبيه فى صورة كريمة حتى لقب بزين العابدين.

عبادته:

لقد اتجه على بن الحسين إلى العبادة، وعبادته لها طابعها السامى إنه يقول: «إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وآخرون عبدوه محبة وشكرا فتلك عبادة الأحرار الأخيار».

وكان إذا توضأ يصفر لونه، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد، فقيل له فى ذلك، فقال: «ألا تدرون بين يدى من أقوم، ومن أناجى».

حدثنا العتبى قال: حدثنا أبى قال: «كان على ابن الحسين إذا فرغ من وضوئه للصلاة، وصار بين وضوئه وصلاته، أخذته رعدة ونفضة، فقيل له فى ذلك، فقال: ويحكم، أتدرون إلى من أقوم،

ومن أريد أن أناجى؟».

ومن مظاهر التقوى عنده ما يقوله الواقدى: «كان من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عز وجل، وكان إذا مشى لا يخطر بيده، وكان يعتم بعمامة بيضاء يرخيها من ورائه».

وفى كشف الغمة عن كتاب نثر الدرر، قال طاوس: رأيت رجلا يصلى فى المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكى فى دعائه فجئته حين فرغ من الصلاة، فإذا هو على بن الحسين فقلت: يابن رسول الله رأيتك على حالة كذا ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف:

أحداهما: أنك ابن رسول الله ﷺ.

وثانيتهما: شفاعة جدك.

وثالثهما: رحمة الله.

فقال يا طاوس: أما أنى ابن رسول الله ﷺ فلا يؤمننى وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿**فلا أنساب بينهم يومئذ**﴾ المؤمنون: آية ١٠١، وأما شفاعة جدى: فلا تؤمننى لأن الله تعالى يقول: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ الأنبياء: آية ٢٨.

وأما رحمة الله: فإن الله تعالى يقول: ﴿**إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ الأعراف: آية ٥٦، ولا أعلم أنى محسن.

وسئلت عن مولاة له فقالت: أطنب أو اختصر؟

فقيل لها: اختصرى، فقالت: ما أتيته بطعام نهارا قط، وما فرشت له فراشا بليل قط».

ولقد كان يمر على المدرة «قطعة الطين اليابس» فى وسط الطريق فينزل عن دابته حتى ينحيها بيده عن الطريق.

حلمه:

والحلم سيد الأخلاق، وقد كان رحمه الله حليما تأسيا برسول الله ﷺ.

يقول صاحب الكواكب الدرية: «وكان يضرب به المثل فى الحلم، وله فيه حكايات عجيبة، وأخبار عجيبة».

سكبت جارية لعلى بن الحسين عليه ماء ليتوضأ، فسقط الأبريق من يدها على وجهه فشجه، فقالت الجارية: إن الله يقول «**والكاظمين الغيظ**» فقال: وقد كظمت غيظى. قالت: «**والعافين عن الناس**». فقال: عفا الله عنك، فقالت: «**والله يحب المحسنين**»، قال: أنت حرة لوجه الله.

تصدقه:

لقد كان زين العابدين رضي الله عنه كريما، والأخبار التالية تروى شيئا من ذلك، يقول ابن كثير:

«وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل. وكان على يقول: «صدقة الليل تطفئ غضب الرب، وتنور القلب والقبر، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة».

وقال محمد بن إسحاق: «كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون، ومن يعطيهم فلما مات على بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذى كان يأتيهم فى الليل بما يأتيهم به».

ولما مات وجدوا فى ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين فى الليل.

أكثر من ١٢ مليون جنيه تكلفة إحلال وتجديد مسجد زين العابدين

٥ آلاف مصل تستوعبهم التوسعة الجديدة للمسجد

علمه:

حث الإسلام على العلم، ونظر الإسلام للعلم نظرة كريمة على المسلمين أن يتدبروها، ويسيروا على هداها، فتأخذ بيدهم إلى النهوض والرقى.

قال الله تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ المجادلة: آية ١١.

ويقول فى كتابه العزيز: ﴿**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ الزمر: آية ٩.

ومن أجل ذلك أخذ زين العابدين رضي الله عنه يسير فى الطريق الذى رسمه القرآن فى العلم، فأكب عليه، وأخذ يطلبه فى مظانه غير مبال بنقد.

لقد كان على بن الحسن إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس فى حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير بن مطعم: غفر الله لك، أنت سيد الناس وأفضلهم، تأتى تخطى حلق أهل العلم حتى تجلس عند زيد بن أسلم.

فقال: إنه ينبغى للعلم أن يتبع حيث كان ومرة أخرى أخذوه أيضا على ما يفعل، فقال: «إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه فى دينه».

وكان إذا جاءه طالب علم قال: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له الأرضون السبعة.

ولقد وصل فى العلم من السعة والعمق والشمول إلى درجة كبيرة.

زين العابدين والفرزدق

لقد شاعت قصيدة الفرزدق فى علم بن الحسين: شاعت لجمالها وصدقها، وشاعت كمثل كريم من أمثلة الشجاعة الأدبية عند الفرزدق، وذلك أن الفرزدق قالها فى وجه الجبروت والطغيان انتصارا لرجل صالح شريف من أهل البيت لايملك جندا، ولا يسيطر على جيش.

وقالها وهو يعرف أن هشاما سيغضب، وفى سبيل الحق لم يبال الفرزدق بالعواقب.

وقالها محبا صادقا لابن الحسين - رضى الله عنهم أجمعين - ولقد رويت هذه القصيدة من عدة طرق - ذكرها الصولى والجريرى فقد ذكروا أن هشام بن عبدالملك حج فى خلافة أبيه وأخيه الوليد، فطاف بالبيت، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه، وقام أهل الشام حوله، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين، فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس إجلالا له وهيبة واحتراما، وهو فى بزة حسنة، وشكل مليح فقال أهل الشام لهشام: من هذا؟

فقال: لا أعرفه، استنقاصا به لئلا يرغب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق - وكان حاضرا - أنا أعرفه.

فقالوا: ومن هو؟

فقال الفرزدق:

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

غضب هشام بن عبدالملك من ذلك، وأمر بحبس الفرزدق بعسفان - بين مكة والمدينة - فلما بلغ ذلك على بن الحسين بعث إلى الفرزدق باثنى عشر ألف درهم، فلم يقبلها وقال: إنما قلت ما قلت لله عز وجل، ونصرة للحق، وقياما بحق رسول الله ﷺ فى ذريته، ولست أعتاض عن ذلك بشىء، فأرسل إليه على بن الحسين يقول: قد علم الله صدقك فى ذلك، وأقسمت عليك بالله لتقبلنها، فتقبلها منه.

تقدير الناس له:

لقد التزم زين العابدين التقوى والاستقامة فكان المنارة التى ترسم للحيارى طريق الهداية وتقول لمن تشككوا فى وجود الخير فى الدنيا.

إن الخير والحمد لله مازال موجودا.

لقد وقف على بن الحسين رضي الله عنه فى وسط أعاصير الفتنة موقفا ثابتا لا يتزعزع: لم تغره الدنيا، ولم تفتنه الوعود المعسولة، ولم يرهبه الوعيد أو العنف، وبقى فى عزلة عن كل انحراف لأنه وثق فى الله ورضى بحكمته وآمن برحمته، ووده وإحسانه.

ومن الناس من أقامه الله علما من أعلام أهل اليمين، أو من أعلام المقربين فيكون مصدر هداية ومركز جاذبية لكل من يبحث عن الطريق، ولكل من يستشرف سبيل النور، ومن هؤلاء زين العابدين رضي الله عنه.

يقول صاحب الكواكب الدرية: على بن الحسين: زين العابدين اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجود فى الوجود حمائمه.

كان عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، رأسا لجسد الرئاسة.

ويقول صاحب الحلية: على بن الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله تعالى عنهم - زين العابدين ومنار القانتين، كان عابدا وفيا، وجوَّادا حفيا.

وعن أحمد بن جعفر بن حمدان بسنده عن ابن أبى حزم قال: سمعت أبا حازم يقول: «ما رأيت هاشميا أفضل من على بن الحسين».

وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم: «لم يكن فى أهل بيته مثله».

على أن هذا التقدير يصل ذروته فى هذه الألقاب التى أطلقت عليه ومنها: زين العابدين والسجاد، وسيد العابدين(١).

يقول صاحب الكواكب الدرية: مات سنة أربع وتسعين عن ثمان وخمسين سنة، ودفن بالمكان الذى أقيم عليه المسجد الحالى فى الحى المعروف باسمه «حى زين العابدين» وكان يعرف فى أوائل العصر الإسلامى باسم «حمراء الفصوى» وتقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط مصر القديمة الآن وعليها أسس العباسيون مدينة العسكر ثانى عواصم مصر الإسلامية(٢).

وصف المسجد:

حدثنا أ. د. فهمى عبدالعليم - أستاذ وخبير الآثار الإسلامية - قائلا:

مسجد زين العابدين له بابان متجاوران: أحدهما وهو الباب القديم غير مستعمل حاليا، وقد ركب عليه باب من الحجر الأزرق طوله ١,٣٣ متر، وعرضه متر واحد تعلوه كتابة منقوشة على الحجر نصها: **«بسم الله الرحمن الرحيم هذا مشهد الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب سنة ٥٤٩».**

وعلى يمين الباب الثانى خلاوى للخدمة والزوار، وعلى اليسار إيوان كبير به عدد من القبور وتجاه هذا الإيوان باب للمقصورة المعدة للصلاة وهى صغيرة بها بائكتان وعمودان من الرخام ومنبر، ومطهرته تملأ من ماء النيل، وله منارة قصيرة وسبيل يملأ كل عام.

وأشار د. فهمى عبدالعليم إلى أن بداخل المسجد قبر المرحوم عثمان أغا مستحفظان. وكان قد أجرى فى حياته عمارة للمسجد سنة ١٢٢٥م فعمره وزخرفه وبيَّضه بعد أن وصل المسجد إبان الحملة الفرنسية إلى درجة كبيرة من الإهمال. وأضاف إلى أن الأمير قفطان باشا بنى فوق الضريح مقصورة من الخشب المرصع بالصدف والعاج، وهناك قبور كثيرة وحيشان وزاوية صغيرة أنشأها الخديو اسماعيل باشا، وفى طبقات الشعرانى أن زين العابدين هو على الأصغر أما الأكبر فقد قتل مع سيدنا الحسين ـ رضى الله عنهما ـ.

وتحدث المهندس سعيد كامل السيد مدير عام المشروع بالجهاز التنفيذى لتجديد أحياء القاهرة الإسلامية ووزارة الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية قائلا: تهتم الدولة اهتماما كبيرا بالآثار الإسلامية وتعمل جاهدة على الحفاظ عليها.

فقد شرعت وزارة الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية بالتنسيق مع وزارتى الأوقاف والثقافة ومحافظة القاهرة فى العمل على تطوير مسجد زين العابدين والمنطقة المحيطة به بما يتناسب مع مكانة زين العابدين بعد أن وصل المسجد إلى حالة شديدة من السوء.

فقد قامت محافظة القاهرة بنزع ملكية ٦ عقارات، و٤٨ مقبرة لتوسعة المسجد.

وأشار إلى أن مساحة المسجد القديم تقريبا حوالى ٤٠٠ متر بالإضافة إلى حوش خارجى مكشوف يتكون من مقابر وغرف لبعض الأسر، وقد تمت إزالة الغرف وتعويض ساكنيها، والحوش بمسطح حوالى ٤٠٠ متر، أما المساحة الجديدة للمسجد حوالى ٢٨٠٠ متر بعد التوسعة، وأضاف أنه قد تم إعداد الرسومات المعمارية الخاصة بالمشروع، ويحتوى المسجد على الآتى:

- الدور الأرضى ويتكون من الضريح وقاعة للاجتماعات ومصلى للرجال وآخر للسيدات، وميضأة للرجال وأخرى للسيدات.
- الدور الأول: ويتكون من صحن المسجد ومكتبة، وقد روعى فى تصميم المسجد أن يكون مشابها للتنسيق المعمارى لمسجد السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ كما سيراعى الطراز المملوكى فى بناء المسجد ويتكلف المشروع أكثر من ١٢ مليون جنيه، ويسع حوالى ٥ آلاف مصل، ومن المنتظر أن ينتهى العمل فى بناء المسجد بعد عام ونصف العام.

هذا هو مسجد الإمام على بن الحسين الملقب بزين العابدين. قال الله تعالى: **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾** التوبة: آية ١٨.

الهوامش:

١ ـ سيدنا زين العابدين للأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود ص١٥، ١٦، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٥٤.

٢ ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون للأستاذة الدكتورة سعاد ماهر الجزء الأول ص١٠٦.

المؤسسات الإسلامية المستنيرة: أعادت الشباب الجزائرى إلى الصواب

دعاء الدين غلام الله
وزير الشئون الدينية والأوقاف
بالجزائر الشقيق

أجرى الحوار
محسن عبدالفتاح

أثناء توقفه بالقاهرة لعدة ساعات فى طريق عودته إلى بلاده - بلد المليون ونصف المليون شهيد - خص معالى وزير الشئون الدينية والأوقاف الجزائرى فضيلة الشيخ «دعاء الدين غلام الله» مجلة «منبر الإسلام» بحديث اتسم بالحب والود لشعب مصر الكريم، وبالاحترام والتقدير للمؤسسات الدينية من أزهر شريف ووزارة أوقاف وكذلك المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الحديث تناول مختلف أوجه التعاون بين البلدين الشقيقين وتاريخه الممتد عبر الزمن، حتى يومنا هذا، ومستشرفا آفاق المستقبل، كما تطرق الحوار - بطبيعة الحال - لأوضاع العالم الإسلامى وكيفية النهوض بشعوبه لتتبوأ مكانتها التى تستحقها فى مسيرة الحضارة الإنسانية، فكان هذا اللقاء الذى أحاطه الحب والتقدير لمصر قيادة ومؤسسات دينية وشعبا.

■ نشأة دينية:

فى البداية سألنا فضيلته عن النشأة فى الطفولة فقال: لقد نشأت نشأة دينية حيث حفظت القرآن الكريم وتعلمت مبادئ الدين الإسلامى فى قريتى بزاوية من الزوايا التى كانت منتشرة بالقرى على امتداد التراب الجزائرى زمن الاستعمار الفرنسى الذى عمل على حرمان أفراد الشعب من تلقى العلم وعمد إلى فرض الجهل عليه وإشاعة الأمية بين أبنائه. هذه الزاوية كان يشرف عليها أبى ومن قبله جدى - رحمهما الله - ورحم جميع شهدائنا وأموات المسلمين جميعا. فكان هذا العلم الدينى الذى أنار قلبى - قلب الطفل الصغير فى ذلك الوقت - بمثابة النور الذى أخذ يزداد يوما بعد يوم، فلا أشبع منه دائما أطلب المزيد وإلى يومنا هذا، وفى مكانتى الدينية هذه كوزير للشئون الدينية والأوقاف.

ومازالت هذه الزاوية الدينية العريقة شامخة

صامدة تؤدى دورها التعليمى المهم فتخرج العشرات كل عام من حفظة القرآن الكريم أطفال اليوم رجال الغد.

■ **مواصلة المسيرة:**

بعد ذلك ونتيجة لتضييق الحصار حول أفراد الشعب الجزائرى وعدم وجود مؤسسات دينية تعليمية لاستكمال الجوانب الأخرى من العلوم الشرعية، ذهبت إلى تونس والتحقت بحلقات العلم فى جامع الزيتونة حيث واصلت الطريق واكتسبت المزيد وتعلمت الجديد من العلوم الدينية، فعلا البناء وتعمقت المعرفة، وكانت مرحلة مهمة فى استكمال ثقافتى الإسلامية.

لم اكتف بهذا القدر من العلوم الدينية، فكان الطموح أكبر والآمال أوسع فكان أن شددت الرحال إلى سوريا حيث التحقت بجامعة دمشق فأكملت تعليمى العالى وتزودت بجميع أنواع المعرفة والثقافة عامة إلى جانب الاهتمام الخاص بالجانب الدينى المتبحر فى شتى جوانب العلوم الإسلامية.

عقب عودتى إلى الجزائر واصلت مسيرة العلم فالتحقت بالدراسات العليا مع اشتغالى فى مجال التدريس، فواصلت الليل بالنهار، ولم أعبأ للصعاب حتى حصلت على الدكتوراه.

■ **مشوار طويل:**

عندما استعرض معكم هذا المشوار الطويل منذ تعلمى أول حروف قرآنية بقريتى التى كانت تسمى وقتها بقرية «سيدى بن جعيب» وهو شيخ من مشايخ العلم حيث كان سائدا منذ القدم بالريف الجزائرى تسمية القرى بأسماء العلماء ومشايخ العلم، وقد سُميت بعد حرب التحرير وعقب نيل الاستقلال باسم قرية «سيدى الحُسْنَىّ» نسبة إلى أحد أبناء القرية من شهداء معارك التحرير أقول عندما أستعرض هذا المشوارَ الطويل إلى يومنا هذا أجد أن ما تحقق على المستوى الشخصى والمستوى الوطنى فى المجال الدينى مازال ينقصه الكثير خاصة ونحن فى موقع المسئولية الرسمية أمام الحكومة والشعب، وقبلهما الله سبحانه وتعالى.

استطعنا من خلال التعاون مع أفراد الشعب إزالة التشويش واللبس والأفكار المغلوطة عن الإسلام من عقول الشباب

■ **قاعدة للتعاون:**

وهنا استأذنت معالى وزير الشئون الدينية والأوقاف بالجزائر الشقيق فى سؤال حول طموحاته الشخصية وجهود الوزارة فى لم شمل أبناء الشعب الجزائرى ـ المتدين بطبعه ـ تحت راية واحدة فقال فضيلته:

لقد عملنا منذ سنوات على إيجاد قاعدة تعاون بين الجهات الرسمية الممثلة فى الحكومة وبين التجمعات الشعبية، وذلك حتى نحقق من خلال هذا التعاون الحب والود بين الحكومة والشعب الجزائرى، والحمد لله وبفضل الجهود المضنية من قبل الوزارة وتجاوب المواطن وإقباله بكل الرغبة استطعنا أن ننجز الكثير والكثير. فنحن كحكومة نعمل على إعداد الإمام والخطيب والداعية الإسلامى المستنير الذى يسعى إلى كسب ثقة المواطن بالحوار الهادئ المقنع، والشعب يعمل على

التبرع بالمال ويشارك فى إعداد المكان ويهيئ البناء المناسب لتلقى العلم والتعلم، فأقبل الجميع حكومة وأهالى على العمل جنبا إلى جنب من أجل بناء مؤسسات دينية مستنيرة تقدم الإسلام الحق وتروى عطش أبناء الشعب على اختلاف أعمارهم صغيرا وكبيرا.

واستطعنا من خلال هذه الصيغة من التعاون البنَّاء، إزالة التشويش واللبس والأفكار المغلوطة عن الإسلام من عقول شباب غرر بهم وكانوا يوما يقفون ضد أبناء الشعب والحكومة تحت دعوى الجهاد!! فكان أن أصدرت الحكومة قانون العفو العام وعاد الكثير إلى جادة الصواب.

واليوم نحاول أن نحتوى الأحداث الأخيرة والحمد لله فقد نجحنا بعد جهود مضنية لتهدئة الأوضاع فالجميع أبناء وطن واحد ويدينون بالإسلام.

المسلم الحق:

إلى جانب دور العبادة هناك المؤسسات التعليمية ذات الطابع الدينى، واهتمام الوزارة يبدأ بتلك «الكتاتيب» التى نطلق عليها زوايا تحفيظ القرآن الكريم، وهى منتشرة فى جميع قرى الوطن من ريف وجبال وحتى بين التجمعات السكانية ذات العدد البسيط من بدو رُحَّل فى دروب الصحراء المترامية الأطراف، فهذه الزوايا هى أساس بناء الإنسان الجزائرى إسلاميا من حفظ آيات القرآن الكريم وتعلمه مبادئ العلوم الشرعية، وهى تقوم بدور مهم جدا فى حماية النشء من التطرف الدينى والغلو والتعصب، حتى أصبح نتاج هذا العمل المضنى لوزارة الشئون الدينية والأوقاف إنسانا جزائريا مسلما عن حق يعلم دينه فيؤدى واجبه نحو وطنه عن حب ورضى.

وضمن اهتمامات الدولة بالجانب الدينى أيضا أن أصدر الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة قرارا بإنشاء معهد دينى كبير مختص بتعليم القراءات وسوف يتم الاستعانة بعلماء من الأزهر الشريف فى مصر للتدريس به حين الانتهاء من تجهيز المبنى وتهيئته للعمل قريبا بإذن الله.

زوايا تحفيظ القرآن تقوم بدور مهم فى حماية النشء من التطرف الدينى والغلو والتعصب

تعاون ممتد:

بمناسبة ذكر الأزهر الشريف معالى وزير الشئون الدينية والأوقاف: ما شكل التعاون بين المؤسسات الدينية فى كلا البلدين مصر والجزائر.

قبل كل شىء لابد أن أوضح دون لبس أو غموض أن هذا التعاون بين الشعبين يمتد بجذوره إلى مئات السنين فمصر بأزهرها الشريف كانت محط أنظار كل فرد من أفراد الشعب الجزائرى وكثير من أبناء الجزائر نجح فى الذهاب إلى مصر راكبا مع القوافل التجارية أو راجلا عبر دروب الصحراء بغية الالتحاق بحلقات العلم بمختلف فروعه الدينية عبر الرواق الفسيح للأزهر الشريف فيرجع إلى أهله بقرى الجزائر متسلحا بما تزود به من علوم إسلامية ينير بها قلوب إخوانه وعقولهم.

وهكذا امتد التعاون وازداد يوما بعد يوم إلى أن وصل الآن على المستوى الدينى لكافة المؤسسات ذات الاختصاص الإسلامى مثل وزارة الأوقاف بمصر والتى لم ترفض لنا طلبا، كذلك التعاون الدائم بيننا وبين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى حرص على مشاركتنا مؤتمره السنوى، وكنت قد أعددت العدة وتهيأت للحضور شخصيا غير أن وعكة صحية ألمت بى فحالت دون الحضور، وقد عوضنا عن ذلك حضور وفد جزائرى رفيع المستوى ومشاركته أعمال المؤتمر السنوى المهم حول التجديد فى الفكر الإسلامى.

واسمحوا لى فى هذه المناسبة أن أهنئ مسئولى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف فى مصر على حسن اختيار هذا الموضوع المهم الذى يشغل بال علماء الإسلام فى كل مكان، وأتمنى أن تكون هناك آلية متابعة للنتائج التى تمخض عنها المؤتمر وتطبيقها على أرض الواقع لما فيه صالح الإسلام والمسلمين.

وأود أن أذكر فى معرض حديثى عن تعاون البعثات الدينية المصرية التى جاءت إلى الجزائر عقب الاستقلال مباشرة لنشر مفاهيم الدين الإسلامى الصحيح بين أبناء الشعب الذين حرموا فترة الاستعمار الفرنسى التى - امتدت إلى قرن وثلث القرن - من الدراسات الدينية، وقد ترأس إحدى هذه البعثات العالم الإسلامى والداعية المجدد فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

أما هذه الأيام فالأزهر الشريف يقوم بعقد دورات تدريبية لأئمة من مختلف أبناء العالم الإسلامى ومنهم أئمة من الجزائر يتم اختيارهم على أسس دقيقة من أجل إكسابهم مهارات وقدرات تعينهم على أداء رسالتهم الدينية بين إخوانهم فى الجزائر.

■ الصورة الحقيقية:

دخول الصورة المغلوطة فى الغرب عن الإنسان المسلم وضرورة تقديم الصورة الحقيقية السمحة عن الإسلام الذى يدعو إلى السلام والحب والحوار والتعايش بين الأديان. قال معالى وزير الأوقاف الجزائرى «دعاء الدين»: هناك عوائق موضوعية تساعد على تغذية هذه الصورة غير الحقيقية عن الإسلام، بعض هذه العوائق يرجع إلى قصور ذاتى لدى المسلمين أولها: جماعات الرفض للتطور والتجديد والتى دائما ما تنظر إلى الخلف دونما أى اعتبار للنظر إلى المستقبل والتعامل معه برؤية واقعية، فالتطور سنة الله، وهذه الجماعات تحاول الوقوف ضد تيار التطور وتعمل على تقييد المجتمع المسلم بقيود من الماضى الذى لا يعيش الواقع ولا يعمل للمستقبل!

فالتجديد فى الفكر الإسلامى ضرورة والتطور من سنن الله سبحانه وتعالى، فثوابت الدين الإسلامى معروفة حددها القرآن الكريم والسُنة الشريفة، أما عن التطوير وكيفية تطبيقه فيختلف من شعب إلى شعب، ومن زمن إلى زمن، فهو

مصر بأزهرها الشريف فى قلب كل فرد من أبناء الشعب الجزائرى والتعاون بين الشعبين يمتد إلى زمن بعيد

اجتهاد من علماء الإسلام المستنيرين يواكب سنة التطور ويستشرف آفاق المستقبل للأمة الإسلامية.

■ لغة الحوار:

ثانى هذه المعوقات يأتى من الغرب نفسه الذى يرى فى الإسلام خطراً يتهدده حيث تغذى بعض الأفكار الدعائية فكرة أن الإسلام يسعى إلى التوسع ويعمل على التمركز فى الغرب!

وهذه فكرة مغلوطة عملت على إطلاقها وترديدها بعض الدوائر الغربية المغرضة لافتعال صدام يقضى على لغة الحوار ويخلق أجواء صدام، الأمر الذى أدى فى الدوائر الغربية إلى الحذر الذى يرقى إلى مرتبة الخوف والتوجس من الإسلام والمسلمين،

نحن علينا أن نصحح هذه الأغلاط ونقدم الصورة الصحيحة الحقيقية للإسلام حتى ندحض أقوال الدوائر الغربية المغرضة فنعمل على ترسيخ لغة الحوار الذى يدور فى جو من الاحترام المتبادل بين الشعوب بعضها البعض ولا نترك الفرصة لمن يريد أن يزيف الحقائق هنا أو هناك. علينا أن نقدم صورة الإسلام الصحيح الذى يدعو إلى التسامح والتراحم والمحبة بين الأديان كما تقول الآية الكريمة **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾** الحجرات: آية ١٣. هذا هو دستور الإسلام الذى أنزله المولى عز وجل لنعمل به نحن أمة الإسلام. ولن نجد أبلغ من لغة القرآن للحديث عن الإسلام وتعامل شعوبه مع الغير من الأمم الأخرى.

■ أدوات التطوير:

ثالث المعوقات التى تحول دون تقديم صورة صحيحة عن الإسلام أدوات وأساليب التطوير، وهذه النقطة غالبا ما نكون فى غفلة عن الحديث عنها رغم أهميتها، فنحن عندما نسعى لتطوير مجتمعاتنا الإسلامية نستخدم أدوات نستقيها من مجتمعات غربية فى حين أن أساليب وأدوات التطوير لأى مجال موجودة بالفعل فى ديننا وهى بالتأكيد تراعى خصوصياتنا الإسلامية، والتطوير والتحديث فى أى بلد إسلامى هو إضافة إيجابية للعالم الإسلامى ككل. فالبناء والتشييد الوطنى لا يتعارض مع العمل القومى الجماعى، والتقدم فى الوطن العربى هو خطوة للأمام للعالم الإسلامى. فيجب علينا أن نستقى أدوات التطوير من ثقافتنا وتاريخنا وقيمنا وديننا.

التجديد فى الفكر الإسلامى موضع اهتمام علماء المسلمين ويجب متابعة تطبيق نتائج المؤتمرات على أرض الواقع

■ علاقات تاريخية:

فى الختام أود أن أقول أن العلاقات الجزائرية المصرية هى علاقات تاريخية تمتد بجذورها إلى مئات السنين، ونحن نعمل على تنميتها من أجل صالح الشعبين، ودائما الشقيقة الكبرى مصر حاضرة فى قلب ووجدان كل جزائرى، بل كل عربى وكل مسلم. التاريخ القريب والبعيد يشهد على ذلك، والحاضر يؤكده، والمستقبل يفرضه!

بعد فشل الرأسمالية والاشتراكية فى مواجهتها.. اقتصاديون مسلمون يؤكدون:

موت .. قبل أوان الموت، وضياع.. لسنى القدرة والإمكان، وشباب الأمة.. قوتها.. وسواعدها تهدر فى ظلمات التيه .. بلا ثمن .. .. وبلا عنوان.

وسيوف الحاجة والإملاق تقوض بنيان الإنسان

قد تسقطه نحو الجب فتعصب ببناه الأحزان.

قد تذروه رياح خريف.. باغتَهُ فى غير أوان..

أو تدفعه الحاجة دفعا.. نحو الفوضى والغليان

ترى هل تكفى هذه الكلمات للتعبير عن حالة البطالة واللاعمل عند الإنسان لاسيما ممن هم فى مقتبل العمر؟.. ألا يكون الإنسان حقا فى حالة جمود، وتوقف عن العطاء، وهو الذى خلق للعبادة والإعمار والعطاء؟

حلول إسلامية لمشكلة البطالة

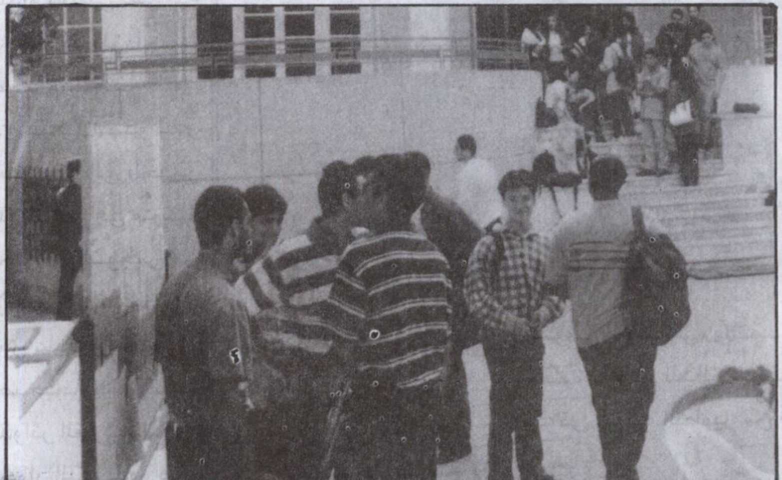

آلاف من خريجى الجامعة ينضمون سنويا لطابور البطالة

تحقيق:
بدر الدين السيد

البطالة ظاهرة عالمية منذ منتصف السبعينات حتى فى الدول الغنية

ظاهرة عالمية

لقد أصبحت البطالة ظاهرة عالمية، بل قل مرضا لا يقف عند حد جغرافى أو سياسى أو أيديولوجى، مرض تفشى ليضرب بسمومه أوصال قطاعات هائلة من البشر فى أرجاء الكرة الأرضية، ومثلما يختلف حال البشر إزاء الأمراض والعلل الجسدية، فهم يختلفون أيضا حيال البطالة وتتباين قدراتهم من حيث التناول والعلاج من بلد لآخر.

ورغم بروز المشكلة عالميا وبشكل واضح ومؤثر منذ حقبتى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى ـ العشرين ـ إلا أن ثلاثينات القرن نفسه

البطالة الاختيارية وحالات الاستغناء عن العمالة واندماج الشركات من أسباب البطالة فى الدول المتقدمة

والتى صاحبتها موجة كساد عالمى هائل، شهدت أيضا تضخما فى معدلات البطالة وآثارها.

وحسب إحصاءات شبكة معلومات نقطة التجارة الدولية - الصادرة فى يوليو سنة ٢٠٠٠ - فإن كل المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء تعانى بشكل أو بآخر من مشكلة البطالة، ففى الولايات المتحدة تبلغ نسبتها ٤,٢٪، وفى أسبانيا ١٣,٧٪، وفى إيطاليا ٩,٩٪، وفى ألمانيا ٩,٣٪، وفى الأرجنتين ١٤٪، وفى البرازيل ٥٪، وفى الجزائر ٣٠٪، وفى تونس ١٥,٩٪، وفى ماليزيا ٣٪.

معضلة الألفية الثالثة

ويرى د. رفعت عبدالباسط - أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة حلوان - مؤكدا أن البطالة أصبحت تمثل معضلة رئيسية فى العالم مع بدايات الألفية الثالثة لعدة أسباب منها: الارتفاع المتزايد فى معدلات البطالة السافرة واسعة الانتشار، وارتفاع حدة معدلات التزايد السكانى خاصة بين قطاعى الشباب والنساء مع مايصاحب ذلك من تأثير على حجم قوة العمل لارتفاع نسبة المتعطلين من هذين القطاعين إضافة للتزايد المطرد للفجوة بين مستويات البطالة فى الريف ومستوياتها فى المدن نتيجة تصاعد معدلات البطالة فى الريف.

فشل الرأسمالية الغربية

ويرى د. سيد محمد عبدالوهاب، رئيس قسم المحاسبة بكلية التجارة بنات جامعة الأزهر: أن ارتفاع معدلات البطالة فى العقد الأخير قضى على مزاعم الاقتصاديين الكلاسيكيين الذين يشيدون بتفوق النظام الرأسمالى الغربى وبقدرته على تحقيق التشغيل الكامل دائما.

ويؤكد د. سيد أن انتشار البطالة فى أية دولة يعد مؤشرا على ضعف أداء الاقتصاد فيها حيث تعكس العديد من أوجه القصور والخلل فى جهازه الإنتاجى.

ويضيف: أن بروز ظاهرة البطالة ناجم عن زيادة حجم القوى البشرية عما هو متاح من فرص عمل فى المجتمع، ومرجع ذلك على حد قوله - عوامل كثيرة فى مقدمتها: التقدم التكنولوجى وما ترتب عليه من تطور أدوات الإنتاج مما حد من استخدام العمالة فى أغلب المشروعات، ودليل ذلك ما تعانيه المجتمعات الأوروبية المتقدمة من معدلات البطالة نتيجة الاستعاضة بالآلة عن الإنسان رغم وجود ميزة نسبية لهذه المجتمعات متمثلة فى تعادل معدلات النمو السكانى مع معدلات الوفيات إلى حد كبير، ورغم ذلك فالبطالة ظاهرة فيها منذ سنوات.

انتهى كلام د. سيد عبدالوهاب وبقى أن نعقب على رأيه بخصوص تسبب التطور التكنولوجى فى إحداث ظاهرة البطالة بإحلال الآلة محل الإنسان.. وتعقيبنا يتركز فى أن تلك المسألة أكثر وضوحا فى البلدان النامية.. ذلك أن تلك المنتجات المتقدمة والتى تحل محل الإنسان فى العمل إنما هى تصنع فى البلدان المتقدمة، وبالتالى فإنتاجها وتصديرها يسهمان فى دوران حركة الإنتاج هناك أى تشغيل عمالتهم ومستخدميهم ومصانعهم،

فهذه الدول لا تعتمد فى صناعتها على العمالة الكثيفة وإنما على رأس المال الكثيف.

بينما فى الدول النامية حيث الاعتماد على العمالة الكثيفة الرخيصة فإن عملية إحلال الآلة محل الإنسان أكثر تأثيرا ووضوحا وخسارة فما يمكن أن تقوم به الآلة - فى بعض المهن - مقابل عشرة دولارات يمكن أن يقوم به شخصان أو ثلاثة ربما بخمسة دولارات فقط، فيحصلون على قوت يومهم بفرصة عمل مؤقت.

فى الدول النامية عاطلون لندرة فرص العمل وتزايد السكان

بقى أيضا أن نشير إلى أرقام أخرى حول معدلات البطالة فى بعض دول العالم المتقدمة هذا العام، ففى اليابان بلغت نسبة البطالة ٤,٩٪ وهو أعلى مستوى لها هناك منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد بلغ عدد العاطلين اليابانيين أربعة ملايين عاطل تقريبا. وفى فنلندابلغت نسبة البطالة هذا العام ٩,٣٪.

مليار عاطل فى العالم

ولقد سبق أن حذرت منظمة العمل الدولية من تداعيات مشكلة البطالة فى العالم ووصفتها بأنها أصبحت غاية فى الخطورة وتتزايد سوءا عاما بعد عام.

وذكر ميشيل هانش المدير العام لمكتب العمل الدولى فى أحد تقارير المنظمة: أن عدد العاطلين فى العالم يبلغ مليار إنسان وهو وإن شكل سدس عدد سكان العالم إلا أنه يشكل أيضا ثلث عدد القوى العاملة فى العالم.

فى الغرب.. اختيارية أحيانا

ومع الإقرار بأن شطرا من مشكلة البطالة فى الدول الغربية ناجم عن حالات اندماج الشركات العملاقة. أو حتى عن تطبيق الفصل الخاص بتنظيم العمل الاجتماعى فى المعاهدة الأوروبية والذى انتقده رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور من قبل بأنه سيهدد ملايين الأوروبيين بالبطالة - على اعتبار أن الحماية الاجتماعية التى توفرها قوانين العمالة الأوروبية قد حدت من قدرة القارة على المنافسة - أو كان سبب البطالة حالات الاستغناء التى تتم بين الحين والآخر عن العمالة مثلما حدث فى الولايات المتحدة فى شركات القطاع الاقتصادى حيث بلغ عدد المستغنى عنهم من يوليو ٢٠٠٠م وحتى الآن ٦٧٠ ألفا.

إلا أن كل ذلك لا يمنع من التأكيد على أن كثيرا من حالات البطالة فى الدول الغربية إنما تكون اختيارية لرفض العاملين أعمالا بعينها اعتمادا على إعانة البطالة التى تلتزم بها حكومات تلك الدول.

أساليب غير تقليدية

والدول المتقدمة كثيرا ما تنتهج أساليب غير تقليدية لمواجهة شبح الركود الاقتصادى - وبالتالى البطالة - بمجرد ظهوره فى قطاع من قطاعاتها الاقتصادية لاسيما القطاعات ذات الإنتاج السيادى كمصانع الأسلحة مثلا. وتصل من خلال أساليبها تلك إلى إبرام صفقات ضخمة تحرك بها المياه الراكدة ولعله ليس خافيا ما تقوم به دول كالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من إبرام صفقات سلاح ضخمة ومفاجئة تسبقها فى الأغلب مساع دبلوماسية مكثفة تكون أحيانا على مستوى رؤساء الحكومات، بل وفعلها الاتحاد السوفييتى من قبل حين أبرم مع دولة عربية صفقة سلاح ضخمة بمبلغ اثنى عشر مليار دولار خلال العقد قبل الماضى دون مبرر عسكرى أو سياسى مقنع وقتئذ.

العاطلون العرب

وأكثر ما يعبر عن معدلات البطالة فى عالمنا العربى، تقرير نشر مؤخرا صادر عن منظمة العمل العربية يؤكد ارتفاع معدلات البطالة العربية بنسبة ١٪ سنويا مشيرا إلى أن حجم البطالة العربية بلغ ١٤,٣٪ من حجم القوى العاملة ويتوقع التقرير وصول عدد العاطلين العرب إلى أكثر من ٣٢ مليون عاطل بحلول عام ٢٠١٠م.

وتبلغ ذروة معدلات البطالة فى البلدان العربية - حسب التقرير - فى كل من الجزائر والأردن واليمن حيث تصل نسبتها إلى ٢٠٪ من حجم القوى العاملة فى كل منها فى حين لا تجاوز ٥٪ فى بعض دول مجلس التعاون الخليجى، ويشير التقرير إلى أن العالم العربى يخسر ما قيمته ١١٥ مليار دولار سنويا من جراء البطالة وتداعياتها.

وهناك دراسة صدرت أيضا عن منظمة العمل العربية، ذكرت أن حجم القوى العاملة العربية يبلغ نحو ٦٥ مليون عامل ويتوقع وصوله إلى ٩٦ مليونا بحلول عام ٢٠١٥م. بمعدل زيادة سنوية مقدارها ٣,٣٪، وأكدت الدراسة أن دول الخليج العربى رغم سعيها المستمر لتوطين العمالة، ستظل ولفترة طويلة بحاجة إلى العمالة الوافدة.

نماذج للبطالة فى العالم العربى

فى دول المغرب العربى: تقلصت الهجرة للدول الأوربية بسبب تزايد معدلات البطالة هناك والركود الاقتصادى، وهو ما أدى بدوره لتزايد معدلات البطالة فى بلدان المغرب العربى.

فى فلسطين: تشير التقارير الاقتصادية إلى أن أكثر من ٥٠٪ من الأيدى العاملة الفلسطينية تعانى من البطالة وهو معدل خطير يهدد استقرار وصمود الشعب الفلسطينى فى حين كانت معدلات البطالة لا تجاوز ٢٠٪ قبل انطلاق الانتفاضة.

ويرى رئيس جهاز الإحصاء المركزى الفلسطينى «حسن أبو لبدة» أن السبب يكمن فى ضعف بنية الاقتصاد الفلسطينى وإجراءات الاحتلال، ويشير إلى أن النمو الاقتصادى الفلسطينى المطلوب لخلق فرص عمل ذات تأثير حقيقى على حجم البطالة غير قابل للتحقيق فى المدى المنظور.

فى سوريا: تتفشى البطالة أيضا بشكل مثير للقلق حيث ينضم لطابورها سنويا آلاف الشباب دون أن تقابلهم فرص عمل متاحة ويبلغ معدل الزيادة السكانية هناك نصف مليون مواطن سنويا.

فى الأردن: أفرزت حرب الخليج قفزات فى التعداد السكانى كانت لها انعكاسات سلبية على الجوانب التنموية وسوق العمل والغالب على القوى العاملة الأردنية «١,١٩٠,٠٠٠» عامل أن أكثرها من المتعلمين وخريجى الجامعات حيث استهدفت السياسة الرسمية من قبل توسيع إطار التعليم حتى حدث ما يشبه الإغراق لسوق العمل بالشباب الجامعى، وهو ما دفع بعض الدراسات الاقتصادية الأردنية للتأكيد على أن تزايد معدلات البطالة فى الأردن إنما سيكون على حساب حملة الشهادات الجامعية.

فى السعودية: بلغت معدلات البطالة ١٤٪ من حجم القوى العاملة وهى فى ارتفاع، ومما يزيد وطأتها أن نصف عدد السكان بالسعودية تحت سن ١٨ عاما. وذلك فى الوقت الذى يتواجد بالمملكة العربية سبعة ملايين عامل وافد وهو ما حدا بالمسئولين السعوديين أن يطالبوا بسعودة القوى العاملة.

فى مصر: تقسم د. ماجدة شلبى - أستاذ الاقتصاد بكلية التجارة بنات - جامعة الأزهر فرع الدقهلية: تطور مشكلة البطالة عبر الأعوام الخمسة والثلاثين الماضية إلى ٣ فترات.

أ - عقد الستينات حيث لم يكن هناك بطالة

تذكر، إذا انخفضت لمستوى أقل من المعدل الطبيعى حيث استطاعت الدولة عبر مشروعات ضمان التوظيف اتباع سياسة العمالة الكاملة، كما حقق الناتج المحلى الإجمالى نموا قدره ٦٪ سنويا. وبلغ إجمالى قوة العمل ٧,٨ مليون عامل وموظف، كان عدد المشتغلين منهم ٧,٦ ملايين أى بمعدل بطالة منخفض يدور حول ٢٪، وفى الفترة من ٦٨ ـ ١٩٧٢م انخفض معدل البطالة رغم الركود الحاد من ٢,٩٪ إلى ١,٤٪ ليس بسبب تطور إنتاجى وإنما بسبب استيعاب القوات المسلحة لأى زيادة بالتجنيد.

ب ـ عقد بداية البطالة الصريحة ٧٥ ـ ١٩٨٥م، وهو عقد بدء تطبيق الحكومة سياسة الانفتاح والنمو غير المسبوق بمعدل ٨٪ بدعم من تحويلات العاملين بالخارج وإيرادات قناة السويس والبترول، وقدمت الهجرة لدول الخليج حلا لحوالى ١٠ ـ ١٥٪ من قوة العمل، ولكن أصبح السوق غير متوازن حيث وجد نقص فى الأيدى العاملة ببعض القطاعات إلى جانب حدوث بطالة صريحة فى قطاعات أخرى، وبرز قطاع التشييد والبناء مستوعبا ٢١٪ من العمالة وحدث ارتفاع فى حجم العمالة المرتبطة بقطاع الخدمات الهامشية حيث اتضح ـ وقتئذ ـ أن ثمة ربع مليون شخص بلا مهنة واضحة، وأدى تصاعد الأجور فى قطاع التشييد إلى تدهور قدرة القطاع الزراعى على استيعاب العمالة.

جـ ـ عقد النمو البطىء والبطالة المرتفعة ٨٥ ـ ١٩٩٥م.

فى هذا العقد عجزت الآليات السابقة عن الاستمرار فى المساعدة على تحقيق التوازن فى سوق العمل وتقلص الإنفاق الاستثمارى فى قطاع التشييد وتراجع الطلب الخارجى على العمالة المصرية وضاعفت أزمة الخليج الثانية وعودة نصف مليون عامل مصرى بسببها حدة المشكلة.

وهكذا ـ والكلام للدكتورة ماجدة شلبى ـ تطور معدل البطالة من ٢٪ فى الستينات و٧,٧٪ عام ١٩٧٦م، إلى ١٢٪ عام ١٩٨٦م، وبلغ حجم البطالة ١,٦ ملايين عاطل منهم ٧٦,٤٪ من الداخلين الجدد لسوق العمل وأغلبهم من حملة الشهادات المتوسطة والعليا والذين أصبح عليهم الانتظار سنوات للحصول على وظيفة حكومية بسبب عدم التوافق بين المهارات التى اكتسبوها ومتطلبات سوق العمل.

منظمة العمل الدولية: ٣٢ مليون عاطل عربى بحلول عام ٢٠١٠

وفى دراسة صدرت قبل أعوام عن البنك الدولى حول أوضاع العمالة العربية، ذكرت أن الاقتصاديات العربية فى الستينات وشطر كبير من السبعينات كانت من بين أسرع اقتصاديات العالم نموا. فقد دعت الدول العربية الفتية وقتئذ إلى انطلاقة كبرى واستثمرت بشدة فى مشروعات كبيرة من مشروعات البنية الأساسية وأقامت صناعات ثقيلة تملكها الدولة وأنشأت حواجز جمركية لحماية صناعاتها فى مراحلها الأولى وسعت لتعزيز القدرة على الانتقال من طبقة اجتماعية لأخرى بتشجيع التعليم والاضطلاع بعمليات تأميم واسعة.

وأشارت الدراسة إلى أن تباطؤ الطلب على الأيدى العاملة فى أوربا ثم فى الخليج العربى خاصة بعد انهيار أسعار النفط فى منتصف

معدل البطالة في الأراضي الفلسطينية بلغ ٥٠٪ من حجم القوى العاملة

الثمانينات أدى إلى ركود أسواق العمل فى البلدان العربية، وقد كان عدد الوافدين العرب لدول الخليج فى سنوات الذروة قرابة الخمسة ملايين عامل، وبلغ عدد مهاجرى دول المغرب العربى للعمل فى أوروبا ٢,٥ مليون عامل. وكانت نسبة هؤلاء حوالى ١٠٪ من مجمل القوى العاملة فى بلدانهم وأكثر من هذه النسبة فى بلدان كالأردن، ولبنان، والضفة الغربية، وغزة، واليمن، وبلغت تحويلات أبناء هذه البلدان فى الخارج ١٠٪ من الناتج القومى فى المغرب و١٢٪ فى مصر، و١٨٪ فى الأردن و٢٢٪ فى اليمن.

هل من حل..؟

هكذا كانت ولاتزال مشكلة البطالة داخل وخارج المنطقة العربية معدلاتها فى تزايد مستمر، الرأسمالية الغربية فشلت فى علاج المشكلة أو القضاء عليها رغم ادعاء مفكريها قدرتها على تحقيق التشغيل الكامل والاشتراكية بنظمها المختلفة حققت - صوريا - مبدأ التشغيل الكامل لكن على حساب حقائق كثيرة فقد انتشر الفساد فى توزيع ثروة المجتمع واستأثر علية القوم بأكثرها وصاحب ذلك انتشار دواعى الضعف الاقتصادى فى أعمدة اقتصاديات هذه الدول حتى حدث مالم يكن فى الحسبان فتهاوى المعبد كله فى غمضة عين كأنه لم يكن، أهناك ماهو أدل على أنها اقتصاديات وأنظمة استشرى فى أعمدتها السوس. أكثر من انهيارها السريع هذا؟

لقد جربت بلدان كثيرة تصورات عديدة لحل مشكلة البطالة، والأزمة كما هى تداعياتها السلبية تغيض تارة وتفيض تارة أخرى وطابور العاطلين يمتد، ويمتد، والغد لا يكاد ينبئ بحل، بل بتفاقم المشكلة فى كل أرجاء العالم، ولم يبق إلا أن يبحث الباحثون بعيدا عن الرؤى التقليدية المعتادة شرقية أو غربية تلمسا للحل.

فى هذا الاتجاه بادر مؤخرا عدد من أساتذة الاقتصاد المسلمون بادروا عبر لقاءات وندوات وأدبيات اقتصادية بتقديم حلول غير تقليدية نابعة من الشريعة الإسلامية ومعطياتها مؤكدين أنها القنوات الوحيدة لحل الأزمة، فماذا قالوا؟

الصلاة تعلمنا قيمة الوقت

د. رفعت العوضى - أستاذ الاقتصاد بكلية التجارة - جامعة الأزهر -: يشير إلى قيمة الوقت فى الإسلام على اعتبار أن اقتصاديات الوقت تجد بعض تطبيقاتها الرئيسية فى العمل وهو الذى يمثل مساهمة العنصر البشرى فى أى اقتصاد، ويؤكد د. العوضى أن مواقيت الصلاة الموزعة على الليل والنهار تمثل أكفأ إطار لتنظيم أعمال وحياة الإنسان، فالصلاة لم تأت موزعة توزيعا منتظما إنما جاء توزيعها متباينا، فالوقت بين صلاتى الصبح والظهر طويل نسبيا حيث يمثل ذروة القدرة على العمل، بينما يكاد يتساوى بين الظهر للعصر والعصر للمغرب، فهاتان فترتان تناسبان هبوط قدرة العمل لدى الإنسان، أما بين المغرب والعشاء فهو أقصر الأوقات حيث يكون يوم العمل انتهى أو يكاد، وهذا التوزيع للصلاة يربى المسلم على التخطيط للوقت، فلكل وقت صلاة حكم، فمثلا صلاة العصر لها أربعة أوقات وقت

فضيلة، ووقت اختيار، ووقت جواز بلا كراهة، ووقت جواز مع الكراهة، وهو منهج يشكل عقلية المسلم ويربيه على إعطاء أهمية معينة لكل لحظة. وهو ما يتضح أثره بشدة فى الحروب مثلا.

ضوابط اقتصادية للمنهج الإسلامى

أما د. نعمت مشهور ـ أستاذ الاقتصاد بكلية التجارة - بنات - بجامعة الأزهر ـ: فتشير إلى أن الاقتصاد الإسلامى جعل للعمل مكانة مهمة فهو واجب على كل مسلم لذلك فالبطالة ليست حالة واردة فى تطبيق الاقتصاد الإسلامى. وتضيف أن هناك ضوابط اقتصادية مهمة فى ظل المنهج الإسلامى هى:

أ ـ تحريم الاكتناز: أى تحريم الاحتفاظ بالثروات وفائض الأصول بدون استغلال وهوما يعطل جزءا من الموارد عن الاشتراك فى العملية الإنتاجية.

د. العوضى: مواقيت الصلاة هى أكفأ إطار لتنظيم الوقت والحياة

ب ـ تحريم الربا: وهو حصول رءوس الأموال على عائد ثابت لقاء إقراضها وإيداعها البنوك بصرف النظر عما تحققه من عائد أو خسارة وركون الأفراد لما تولده مدخراتهم مما يؤدى للانفصال بين الاقتصاد العينى والاقتصاد المالى حيث يتولد المال دون إضافة حقيقية للنشاط الاقتصادى.

جـ ـ تحريم الاحتكار: وهو حبس السلع التى يحتاج إليها الأفراد تربصا لارتفاع أثمانها حيث الكسب هنا لا ينتج عن مشاركة فعلية فى الإنتاج إنما عن استغلال عنصر الانتظار.

د ـ منع الضرر: أى تحريم كل المعاملات التى من شأنها الحاق الضرر بالمجتمع أو بالأفراد، وتؤكد د. نعمت مشهور أن الاقتصاد الإسلامى يشمل عددا من الآليات يكون لتطبيقها دور مؤثر فى مواجهة أزمة البطالة والتخفيف من حدتها فى المدى القصير والإسهام فى انحسارها على المدى الطويل وهى:

آليات إلزامية: كفريضة الزكاة وواجب العمارة ودور الدولة.

وآليات تطوعية: كالوقف الإسلامى والصدقات التطوعية.

ففريضة الزكاة: لها دور مباشر وغير مباشر فى زيادة الطلب على الأيدى العاملة. كما أن تطبيقها يستلزم تمليك جزء معين من المال لمن عينهم الله حصرا فى كتابه الكريم. إضافة لضرورة ـ توظيف ـ من يقومون بالسهم الثالث لمستحقى الزكاة وهم العاملون عليها عبر تقسيمهم فى إدارات تنتشر فى المدن والقرى تقوم بإحصاء مستحقى الزكاة وتحرى توصيلها بالطرق الأفضل.. الخ، وهناك سهم الغارمين الذى يقضى بتعويض من فقد أصوله الإنتاجية طالما لم يفقدها فى معصية أو لتخاذل وكسل عن العمل.

وهناك سهم «فى سبيل الله» والذى يمكن من خلاله توفير فرص عمل لكثير من المدافعين عن الدين سواء فى صورة مؤسسات إعلامية أو جيوش أو غير ذلك.

وتأتى المرحلة الثالثة من آثار تطبيق الزكاة ذلك أن حصول مستحقيها عليها يدفعهم لاستخدام جزء منها فى الحصول على احتياجاتهم من السلع

والخدمات وهوما يحقق قوة شرائية تؤدى لحفز مراكز الإنتاج وتنشيط حركة البيع.

أيضا يؤدى الالتزام بفريضة الزكاة إلى تحويل الجزء الأكبر من دخل المزكى - وهو غير الموجه للاستهلاك - إلى إنفاقه فى أوجه الاستثمار المختلفة، ذلك أن الإخراج الإلزامى لشطر من المال سنويا يدفع المسلم للمشاركة فى النشاط الاقتصادى بأمواله لتحقيق عائد يعادل أو يفوق ما يدفعه من زكاة. حتى لا تتآكل أمواله.

وتضيف د. نعمت مشهور: أن هناك آلية أخرى وهى: واجب العمارة، وهى بمفهوم التنمية الشاملة التى تعد تكليفا إلهيا له أثره المباشر فى مواجهة مشكلة البطالة حيث يزيد الطلب على الأيدى العاملة بمختلف تخصصاتها وينقل الاقتصاد إلى مرحلة النمو. فالتنمية الشاملة - الإعمار - عملية عقائدية يجب القيام بها امتثالا للأمر الإلهى وتحقيقا لمعنى التوحيد. ومبدأ الاستخلاف فى الأرض وهى فريضة على كل جيل وعملية متصلة يجب ألا تتوقف.

ويأتى بعد ذلك دور الدولة: حيث ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا به، وواجب العمارة يشكل جزءا مهما من مسئولية الدولة الإسلامية لقول عمر بن الخطاب: «إن الله قد استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونستر عورتهم ونوفر لهم حرفتهم»، وعليه فالدولة تقوم بتوظيف الأيدى العاملة اللازمة للقيام بالتنمية.

د. نعمت مشهور:
فى الاقتصاد الإسلامى آليات قادرة على مواجهة أزمة البطالة

دور الوقف فى حل مشكلة البطالة:

وعن الوقف كإحدى الآليات التطوعية فى الاقتصاد الإسلامى يقول د. عبدالعزيز فرج محمد موسى - مدرس الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون -: إن تشريع الوقف يدل على أن صلة العقيدة الإيمانية أقوى من كل الصلات القائمة وأنها مناط الحضارة الإسلامية وأساس من أسس تقدم الأمة، وكان الرسول ﷺ أول من نادى بتأصيل الوقف وتقنينه بعد هجرته للمدينة حين وجد بئرا يملكها يهودى ويبيع ماءها للمسلمين مستغلا ندرة الماء.

فنادى الرسول قائلا: من يشترى بئر رومة.. الخ. واشتراها عثمان بن عفان.

وأضاف د. عبدالعزيز فرج موسى: أن الوقف عند الفقهاء هو حبس شىء معلوم بصفة معلومة وهو حبس العين على مالك الوقف والتصدق بالمنفعة. وللوقف أثر كبير فى علاج مشكلة البطالة، بالإسهام فى توفير فرص عمل جديدة، وذلك باستثمار أموال الوقف بما يؤدى لإيجاد مشروعات اقتصادية إنتاجية، وكذلك بتقديم القروض وتيسير الحصول عليها لمن لايستطيعون إيجاد الأدوات والآلات الخاصة بهم، بإنشاء صناديق وقفية ينفق من ريعها على استصلاح واستزراع الصحراء وتمكين الشباب من تملكها.

وتضيف د. نعمت مشهور: أن الوقف - من خلال ما ينشئه من مشروعات تنموية يوفر فرصا كثيرة للعمل تسهم فى مواجهة مشكلة البطالة.

إحياء الأرض الموات

ويتحدث د. شوقى عبده الساهى - الأستاذ بجامعة الأزهر - عن مفهوم إحياء الأرض الموات أى التى لا مالك لها وليس بها ماء أو عمارة ولا ينتفع بها، فيقول:

سميت مواتا لأنها خلت من العمارة والسكان، والمراد بث الحياة فيها بالزرع أو العمارة.

وهى - على حد وصفه - وسيلة لتحقيق التنمية وحل مشكلة البطالة وتحقيق العمارة فى كل أرجاء الوطن.

ويؤكد د. شوقى الساهى على حق الفرد فى ملكية الأرض المحياة، وهو مسلك عملى دعا إليه الإسلام دفعا للفرد إلى الإحياء ليحافظ على ما أحياه ويستثمره ويكون حقه فى ملكيتها رهنا بمحافظته على صفة الحياة فيها فإذا زالت زال حقه فيها أيضا على أن يتم الإحياء بعد إذن الدولة أو من يقوم مقامها ويستدل الإمام أبو حنيفة فى ذلك بقوله ﷺ **«ليس للمرء إلا ما طابت به نفس إمامه»**، فلا يصح الإحياء إلا بالإذن.

ويضيف د. شوقى الساهى: أن الإحياء بطريق التصنيع أو التعدين أو الطاقة من أقوى أعمدة الحضارات ومما يوفر كثيرا من فرص العمل ويعالج مشكلة البطالة.

ويضيف د. شوقى الساهى: إنه لا تفرقة فى ملكية الأرض المحياة بين المسلم والذمى. ففقهاء الحنابلة يرون ذلك ودليلهم أن النص التشريعى وهو قول النبى ﷺ: **«من أحيا أرضا ميتة فهى له»**، يعطى حق التملك بطريق الإصلاح بشرط أن تكون أرضا مواتا، ولم يفرق بين كون المصلح للأرض مسلما أو غير مسلم، فـ«من» من أدوات العموم ولم يرد نص يخصص هذا العامّ فيبقى على عمومه. وأنه إذا احتج بأن ذلك يتم فى دار الإسلام فيكون للمسلم فقط، كان الجواب أن الذمى من أهل دار الإسلام مادام يعيش فيها فلا مانع من تملكه الأرض الموات التى يحييها.

وأضاف إن على الدولة أن تشجع المبادرات الفردية للإصلاح والتعمير وتقطع الأرض الميتة لمن تراه أهلا لإحيائها، فإحياء الأرض فوق أنه طريق لحل مشكلة البطالة فإنه طريق لرفع كفاءة الإنتاج وبالتالى كفاءة الأداء الاقتصادى. وتشير الآية الكريمة: **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** قائلا إن الاستعمار طلب للعمارة والطلب المطلق من الله تعالى هو على الوجوب، أى وجوب الإعمار سواء بالزرع أو الغرس أو البناء أو التعدين وهوما يوفر فرص عمل كثيرة.

ويضرب د. شوقى الساهى مثالا يؤكد حرص الإسلام على حل مشكلة البطالة بما حدث بين الحجاج بن يوسف الثقفى وعامله على البصرة والذى كلفه الحجاج بشق نهير يصل به الماء إلى أرض موات، فشكا له العامل صعوبة الحفر فى الصخر وضآلة ما يحققه من تقدم فى الحفر وشق النهر فأجابه الحجاج بقوله:

إن استطاع العامل أن يحفر من الصخر قدر طعامه فامض فى الحفر.

وهكذا بعزيمة كهذه يشق النهر وتحيا الأرض وتحل مشكلة اجتماعية ضخمة كالبطالة فهل نبحث عن بغيتنا فى الفكر الإسلامى.

د. عبدالعزيز موسى:

للوقف أثر كبير فى توفير فرص عمل جديدة

طريق وردى وعمل غير مشروع

فى زمن طغى فيه المال وسادت المادة شتى أوجه الحياة.. تراجعت القيم الرفيعة وتوارت المثل العليا، وتاهت المبادئ السامية وتنحى الشرفاء وتقدم الأدعياء.

فى ذلك الزمن الذى تاهت فيه معالم الطريق وتسللت فى غيبة من الوعى أنواع من الكسب غير المشروع أضفى عليها أصحابها شرعية زائفة، وفرشوا طريقها بالورود فتهافت عليها الطامحون والباحثون عن الثراء السريع؛ فذاك من يغالى فى الربح، وآخر يحتكر سلعة، وثالث يغش بضاعته، وأخيرا تفتق ذهن البعض ليمارس نوعا فريدا من الكسب تحت مسمى المسابقات التى تغذت بضربات الحظ فسال لها لعاب الشباب وراحوا يلهثون وراء سراب وطريق إلى المليون يبدأ بسؤال ساذج وينتهى بحظ وافر، ونسى هؤلاء أنه لا قيمة للمادة حين تموت القيم ولا جدوى من وراء الملايين إذا ما تاهت المبادئ.

د. محمد عبدالمنعم خفاجى:

المسابقات التى تقوم على الحظ لون من المقامرة المقنعة

د. أحمد المجدوب:

أغفلنا قيمة العمل واستعرنا من الغرب أسوأ ما لديه

تحقيق: مصطفى إبراهيم خيان

وهذا التحقيق وقفة تأمل ومراجعة مع النفس نتحسس فيها مواقع أقدامنا حتى لا تزل ولا تفقد طريقها الصحيح.

ثمرة العمل

فى البداية يشير فضيلة الشيخ فكرى حسن إسماعيل وكيل وزارة الأوقاف السابق - إلى أن الإسلام قد وضع من الضوابط للكسب ما من شأنها أن تصلح حال الفرد وتسمو بالمجتمع فقد اشترط أن يكون الكسب حلالا ومن مصدر حلال وأن يكون ثمرة لعمل جاد نافع لا شبهة فيه، وفى مقابل جهد مبذول، فالله طيب لا يقبل إلا طيبا مصداقا لقوله تعالى: **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾** البقرة: آية ١٨٨، كذلك يحضنا الرسول ﷺ على تحرى الحلال وتوقى الحرام حتى تستجاب دعوانا، فحين سأله سعد بن أبى وقاص أن يدعو له الله أن يجعله مستجاب الدعوة، قال له ﷺ: يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة.

مباشرة أسباب الرزق

فالإسلام - كما يضيف فضيلته - ينعى على الذين يسعون لكسب أقواتهم بشتى الوسائل الممكنة دون نظر أو تدبر لطبيعة هذه الوسيلة، فالغاية لديهم تبرر الوسيلة، حتى وإن كان ما يكسبونه لا يقابله عمل أو جهد حقيقى رغم القاعدة الإسلامية المتأصلة التى تقول بأن كل كسب دون جهد هو كسب غير مشروع.

وفى هذا يؤكد الرسول ﷺ على ضرورة تحرى مصدر المال حيث يقول: **لا تزول قدما عبد حتى**

يُسأل عن أربع: ومنها ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه».

فطغيان المادة داء استشرى بين أفراد المجتمع الأمر الذى دفع الكثيرين إلى جمع المال دون مباشرة أسباب الرزق الحلال، وقد كان السلف الصالح شديدى الحرص وتوخى الحذر فى أمور الحلال والحرام، فالحسن البصرى كان يقول: كنا نترك تسعة وتسعين جزءا من الحلال خشية أن نقع فى جزء واحد من الحرام.

ربح دون جهد

ويؤكد الشيخ فكرى حسن إسماعيل على أن بعض برامج المسابقات التى تنظمها وسائل الإعلام وخاصة التليفزيون تعد من قبيل الكسب غير المشروع حيث تؤدى إلى ربح دون عمل يقابله، وأن فى ذلك دعوة للكسل وإعلاء لمنهج التواكل، وذلك من شأنه أن يضعف من بنيان الأمة وقتل الهمة فى النفوس مستغلا حاجة الشباب للمال فى ظل الظروف الاقتصادية التى تمر بها الأمة.

ولابد من دور أكثر إيجابية للأسرة تراقب فيه الصغار وتزرع فيهم قيم الإسلام الرفيعة ومبادئه السامية، إضافة إلى تعديل مناهجنا التعليمية بما يعلى من قيمة العمل ويرتفع بشأنه وعلى وسائل الإعلام أن تبث روح المنافسة فى ترسيخ قيمة الاجتهاد لنيل ثماره الطيبة.

د/ محمد الدسوقى:

تقاعس الموظف عن أداء عمله كسب غير مشروع

مكافأة مقابل خبرة

ويتفق الدكتور محمد الدسوقى ـ الأستاذ بكلية الشريعة جامعة قطر ـ مع الرأى السابق فى ضرورة السعى لكسب الرزق من مصدر طيب، لكنه يعارض القول بحرمة المسابقات التى تقدمها بعض وسائل الإعلام، حيث يرى أنها تعد لونا من ألوان المكافآت على الخبرات الثقافية أو المهنية أو العلمية هى بذلك لا تعد من ألوان المقامرة ـ كما يقول الدكتور الدسوقى ـ ويضيف بأنه يشترط لجدية هذه المسابقات أن تقدم معلومات قيمة ومفيدة للمتسابق وللمشاهد أيضا، وليست مجرد أسئلة تافهة عن أشياء ليست بذات قيمة ولا جدوى لها، وعن أسباب لجوء البعض للتكسب بالمال الحرام يقول الدكتور الدسوقى: إن النظرة المادية للحياة والتى تكاد تقتلع الإنسان من جذوره ولا تقيم وزنا للقيم الأخلاقية، قد شاعت فى الكثير من الأوساط الأمر الذى يجعل صاحبها يسعى لاقتناء المال بشتى الوسائل وذلك من شأنه أن يدمر المجتمع ويحيل الناس إلى ذئاب بشرية يأكل بعضها البعض، وتتقطع بينهم أواصر الود وروابط التراحم، وتتوارى قيما أصيلة كقيمة الإنفاق فى سبيل الله، ويسود الجشع والطمع بين الناس مصداقا لقول الرسول ﷺ **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثا ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب».**

ولهذا رأينا نماذج متعددة من البشر تلهث وراء المال غير مبالين أهو من حلال أم من حرام؟ وقد

قال الرسول ﷺ: «**كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**».

وظيفة مُقنعة

ومن الأمثلة الأخرى للكسب غير المشروع، كما يقول الدكتور الدسوقى تلك الأموال التى يقوم بتحصيلها بعض الموظفين فى مقابل تيسير الأمور لبعض المتعاملين مع المصالح الحكومية.

كذلك يُعد الموظف الذى لا يؤدى عمله المكلف به كما يجب أو الذى يتكاسل عن القيام بواجبه الوظيفى، قد نال راتبا بطريق غير مشروع.

والقضية تحتاج منا إلى نوع من التوعية الإسلامية عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة وفى مقدمتها المسجد، مع تشديد العقاب على كل من تسول له نفسه العبث بالمال العام فضلا عن المال الخاص، وبذلك يمكن لمجتمعنا الإسلامى أن يتخلص من أوزار المادية العالمية التى جعلت العلاقات بين الناس قائمة على النفع المادى وليس على التمسك بالقيم الإنسانية.

وعلى كل مسلم أن يراقب ربه فى كل ما يقدم عليه من عمل وأن يحرص على ألا يدخل إلى جوفه أو جوف أولاده إلا مالا حلالا طيبا.

إعمار الأرض

ويرى الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ـ رئيس رابطة الأدب الحديث ـ أن الإسلام يحرص أشد الحرص على أن تتسق أعمال المرء وأفعاله مع الفطرة السليمة والسلوك السوى، وحذر من الإفساد فى الأرض وجعل مهمة الإنسان تعمير الأرض وإصلاحها.

يقول تعالى: ﴿**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**﴾ هود: آية ٦١.

ويقول عز من قائل: ﴿**ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها**﴾ الأعراف: آية ٥٦.

والكسب المشروع من أهم أسس تعمير الأرض ففيه السعى على الرزق والجد والاجتهاد والبذل والعطاء من أجل تحصيل هذا الرزق، وكل ذلك من شأنه أن يقيم مجتمعات صالحة وينشئ حضارات إنسانية راقية.

> الشيخ فكرى حسن إسماعيل:
> **كل كسب لا تُباشر أسبابه.. باطل**

وفى ذات الوقت فإن الكسب غير المشروع هو بمثابة إفساد فى الأرض حذر منه الإسلام لما له من تداعيات خطيرة على الأفراد وعلى المجتمعات بما يتبعه من غش وتدليس ورشوة وتزوير وسرقة تؤدى إلى فساد اقتصادى واجتماعى فهو ليس وسيلة للحياة الكريمة بل إنه يعتمد على السلوك المنحرف، مهما حاول أصحاب هذا اللون من الكسب إضفاء الشرعية على ما يكسبونه بغير حق.

استقرار المجتمع

ويشير الدكتور خفاجى إلى أن هناك الكثير من أنواع الكسب غير المشروع التى تهدد سلامة واستقرار المجتمع ومنها ـ كما يقول ـ على سبيل المثال المغالاة فى الربح كما قال بذلك الإمام

المستشار حسن حسن منصور:

أسئلة المسابقات التافهة كالعلم الذى لا ينفع والجهل الذى لا يضر

الغزالى، وكذلك حالات الغش فى بعض السلع واستبدال الجيد منها بأنواع رديئة قد تؤدى بأضرار وخيمة على صحة الأفراد وحياتهم، كبعض أنواع الصناعات التى يقوم أصحابها بتقليد أنواع من المصنوعات الأصلية والعلامات التجارية لبعض الشركات الأخرى.

أما بالنسبة للمسابقات التى تعتمد على الحظ فهى نوع من المقامرة المقنعة التى تحاول بعض الشركات أن تضفى عليها شكلا من أشكال الشرعية بتقديمها لبعض الأسئلة التافهة التى لا تقدم معلومات ذات قيمة، فيتكالب عليها الشباب ليفوزوا بالجوائز المزعومة وينصرفوا عن العمل الجاد.

حلم الثراء السريع

ولأننا أمام ظاهرة اجتماعية خطيرة تلقى بظلال كثيفة على حياتنا اليومية فقد كان لابد لنا أن نتوقف قليلا لنستطلع رأى أحد علماء الاجتماع.

يقول الدكتور أحمد المجدوب ـ مستشار المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ إن طغيان الحياة المادية فى عصرنا الراهن خاصة على فكر الشباب والطموح الزائد إلى حد الخيال والذى لا يقابله عمل مناسب جعل هذا الشباب يتكالب على جمع المال بكل الوسائل المتاحة، حتى صار الثراء السريع حلما يراود عقولهم، وبالتالى رأينا من الشباب من يأتى بالمبررات الواهية لما يقترفه من أعمال غير مشروعة يتربح بها لاهثا وراء كل سهل وميسور.

كذلك رأينا من يربط مستقبله ومصير بضربة حظ قد تصيب أو تخيب وذلك من شأنه أن يثبط العزيمة وحب العمل، ويقوده إلى المقامرة ويعلقه بوهم كبير وحتى إذا ما حالفه الحظ مرة فسوف يتطلع دائما إلى الربح السهل الميسور الذى يأتيه دون عناء أو مشقة.

تسطيح الفكر

ويضيف الدكتور المجدوب: إن بعض المسابقات التليفزيونية وإن ادعى منظموها أنها ثقافية، إلا أنها ليست من الثقافة فى شىء، فالمعلومات المقدمة سطحية والأسئلة ساذجة وتافهة، ولا تضيف شيئا إلى ثقافة المتسابق أو جمهور المتابعين وإنما هى مضيعة للوقت، وهى ثقافة الحظ وثقافة المقامرة، وذلك من شأنه تهميش دور الشباب وتسطيح فكرهم وقتل روح الإبداع لديهم وصرفهم عن العمل الشريف المنتج الذى يرقى بالمجتمع فى وقت نعانى فيه من تحديات العولمة والجات التى تجعل المستقبل للتطورات العلمية الرهيبة والصناعات المتقدمة التى لا مكان فيها لحظ أو صدفة.

ويرجع الدكتور المجدوب أسباب هذه الظاهرة إلى عدد من الأسباب أهمها انتشار البطالة بين

الشباب وسيادة النظرة المادية والتطلعات اللامحدودة إضافة إلى ظاهرة التقليد للوافد الغربى وللأسف ـ والكلام للدكتور المجدوب ـ فإننا نستعير من الغرب عيوبه وأسوأ ما لديه من سلوكيات، ونغفل عن قيمة العمل ـ التى ارتقت بها هذه الدول ـ والتى رفع الإسلام من شأنها بصورة لم تبلغها حضارة أو أمة من الأمم.

ويحضرنى هنا ما يقدم من برامج ومسلسلات على شاشة التليفزيون تعمد إلى ترسيخ قيمة المادة والتكالب على جمع المال بأية وسيلة.

ومن ثم فإنى أدعو إلى استخدام أساليب التخطيط السليمة لكل ما يقدم من خلال وسائل الإعلام، ولا تترك الأمور لتسير بأسلوب عشوائى يقدم حشوا يضر ولا ينفع واضعين فى الحسبان مصلحة أمة بأسرها لا مصلحة أفراد قلائل لا هدف لهم إلا الإثراء الفاحش ضاربين بكل القيم عرض الحائط.

من أين لك هذا؟

لكن كيف عالج القانون ظاهرة الكسب غير المشروع؟

يقول المستشار حسن حسن منصور ـ نائب رئيس محكمة النقض ـ إن الكسب غير المشروع كان له صدى فى التشريعات الوضعية فالمشرع قد أصدر قانون الكسب غير المشروع رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٥م ليعالج هذه المشكلة أو ما يسمى بقانون من أين لك هذا؟

وهذا القانون يطبق على كافة العاملين بالدولة مهما كانت درجاتهم الوظيفية، وقد ألزم كل موظف عند بداية خدمته أن يقدم إقرار الذمة المالية ليثبت فيه ما لديه من ممتلكات، ثم يراجع ذلك كل خمس سنوات لإضافة ما يستجد منها لبيان مدى تناسبها مع دخله الوظيفى، فإذا ما تبين أن هناك زيادة غير معقولة لا تتناسب مع دخله فإنه يكون فى هذه الحالة قد حصل على كسب غير مشروع قد تصل عقوبتها إلى حد السجن مع مصادرة المال المكتسب بطريق غير مشروع. كما أن للمدعى العام الاشتراكى أن يتحفظ على أموال من يثبت أنه تصرف فى أموال مملوكة للدولة بغير وجه حق، وعليه أن يعرض الأمر على محكمة القيم التى لها أن تصادر هذه الأموال.

التوقف عند القشور

وبالنسبة للمسابقات التى تعرض أموالا طائلة للمتسابقين يرى المستشار حسن منصور أن معظمها تافه المعنى ولا ينم عن بحث جاد فى أى فرع من فروع العلم ولا تكشف عن قدرات علمية لدى المتسابق وموضوعاتها لا تسمن ولا تغنى من جوع، وهى من قبيل العلم الذى لا ينفع والجهل الذى لا يضر.

فهى بذلك تقتل روح البحث الجاد وتجعله يقف عند القشور دون الوصول إلى الجوهر إضافة إلى أنها تثير الضغائن فى النفوس عندما يحصل شخص على مبالغ ضخمة لا تتناسب وجهده البسيط فى حل المسابقة.

ويضيف: إنها إحدى مظاهر العولمة فى النظام العالمى الجديد والتى تطبع الحياة العلمية والفكرية بأساليب بعينها عند عمل الاختبارات فى مجالات العلم المختلفة حيث يتم طرح عدد من الإجابات ليتم الاختيار من بينها.

لكن من الناحية القانونية فإن القانون الوضعى لم يحرم تلك المسابقات طالما أنها لم تخالف شروط المسابقة المتفق عليها.

قطوف

فضل معايشة القرآن تلاوة وحفظا:

جاء فى كتاب مجموعة التوحيد لابن تيمية فى فضل القرآن تلاوة، وحفظا ما يلى: فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء، وأن جلاء القلوب بتلاوة القرآن، وسنام القرآن سورة البقرة، وقلبه سورة يس، وعروسه سورة الرحمن، وتلاوة سورة الملك كانت سببا فى أن شفعت لرجل حتى غفر الله له.

محمد مصطفى خليل قشطة

فسورة الزلزلة تعدل نصف القرآن، والإخلاص تعدل ثلث القرآن، وسورة الكافرون تعدل ربع القرآن، والقراءة فى المصحف تمنح القارئ ألفى درجة، ومن قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف، فإذا أحب أحدكم أن يحادث ربه فليقرأ القرآن، ومن قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله، وحرم حرامه أدخله الله الجنة، وشفعه فى عشرة من أهل بيته، وتلاوة سورة «الهاكم التكاثر» كل يوم فكأنما قرأ ألف آية(١).

التعليق: القرآن كتاب الله الخالد الذى حفظه الله من التحريف والتغيير قال تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: آية ٩، وتلاوته بل وحفظه غذاء وشفاء ورحمة وهداية ونور بل وشفيع لكل، من استثمر وقته فى تلاوته فهو أكرم الأصدقاء للمسلم فى كل زمان ومكان، يقول الله تعالى من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

ما يحقق الأمان ويزيل الهموم والأحزان: قولك بعد كل صلاة «اللهم إنى أعددت لكل هول لا إله إلا الله، ولكل هم وغمٍ ما شاء الله، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء وشدة الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ذنب استغفر الله، ولكل ضيق حسبى الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل طاعة أو معصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون»(٢).

التعليق: حقا من حافظ على هذه الدعوات بعد كل صلاة أزال الله غمة فى الدنيا والآخرة، فادع الله فى كل وقت، فالدعاء مخ العبادة، قال الله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾** البقرة: آية ١٨٦، ويجمل الدعاء ويستجيب الله النداء عقب الصلوات حيث تكون النفس بالله متصلة، والقلب به مشغولا، والجوارح لله خاشعة.

منزلة القلب واللسان فى الإنسان: قيل للقمان اذبح هذه الشاة واطعمنا أطيب ما فيها فجاء بقلبها ولسانها، ثم قيل اذبح شاة أخرى واطعمنا أخبث ما فيها فجاء بقلبها ولسانها فسئل عن ذلك فقال ليس فى الجسد مضغتان أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا أخبثا»(٣).

التعليق: إن اللسان له خطره الجسيم إذا أساء، وله أثره الحميد إذا أحسن بل هو الذى يترجم عما فى القلب، وإن البلاء موكل بالمنطق، وعندما سأل معاذ رسول الله ﷺ عن زلات اللسان عرفه بأن لا يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم، فبصلاح القلب واللسان يصلح الجسد وبفسادهما يفسد الجسد».

ما أحبه الصحابة من الدنيا: جلس الرسول محمد ﷺ مع أصحابه ذات يوم فسأل أبا بكر قائلا له ماذا

أحببت من الدنيا؟ فقال أحببت من أجلك ثلاثا يارسول الله: طُول نظرى إليك، وجلوسى بين يديك، وانفاق مالى عليك، ثم نظر إلى عمر قائلا له: ماذا أحببت من الدنيا؟ فقال: أحببت قول الحق ولو كان مرا، وأمر بمعروف ولو كان سرا، ونهى عن منكر ولو كان جهرا، ثم نظر إلى عثمان قائلا: ماذا أحببت من الدنيا فقال: أحببت إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وركعات الليل والناس نيام»، ثم نظر إلى على قائلا له ماذا أحببت من الدنيا فقال: أحببت إكرام الضيف، وصياما فى الصيف، وضرب أعناق المشركين بالسيف، فقال ﷺ: **وأنا أحببت من الدنيا الطيب والنساء، وجعلت قرة عينى فى الصلاة، فنزل جبريل وقال يا محمد السلام نقرئك السلام، ويقول لك أنه سمع الثلاثيات، وهو يحب من دنياكم ثلاثا: قلب شاكر، ولسان ذاكر، وجسد على البلاء صابر، ثم قال جبريل: وأنا أحب من دنياكم ثلاثا: تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، والعطف على المساكين»(٤).**

التعليق: إن القلوب المؤمنة، الوضيئة والمضيئة تتحدث دائما عن الدنيا التى نعيشها بالمفهوم الأخروى فهى تتمسك بالآخرة لأنها خير وأبقى، وتنشد ما فيها من الخير والجزاء الأوفى، والخلفاء الأربعة وجبريل الكل يعمل من أجل الإسلام، ومنبت أركانه، ويناشدون الناس ليتمسكوا بتعاليمه والذود عنه ونشر قيمه وفضائله بين المؤمنين لأنهم فى ظل مصاحبتهم لرسول الله ـ القدوة والأسوة نقتدى بهم ونتأسى بكل ماتركوه من أعمال صالحة.

أقوال مأثورة: قال ﷺ: «ماقل وكفى خير مما كثر وألهى»، وقال عمر رضي الله عنه إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نلتمس العز من غيره، وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: رحم الله امرأ سمع حكما فوعى، ودعى إلى رشاد فدنا، وأخذ عجزه هاد فنجا»، وقال حجة الإسلام الإمام الغزالى: من عرف ربه لم ينقطع رجاؤه، ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله، ومن عرف الله لجأ إليه»(٥).

من منثور الحكم: لا كنز أنفع من العلم، ولا مال أربح من الحلم. ولا قرين أزين من العلم، ولا رفيق أشين من الجهل، ولا شرف أعز من التقوى، ولا عمل أفضل من الفكر، ولا حسنة أغلى من الصبر، ولا سيئة أخزى من الكبر، ولا [illegible] الين من الرفق، ولا دواء أوجع من الحزن، ولا رسول أعدل من الحق، ولا دليل أنصح من الصدق، ولا حياة أطيب من الصحة(٦).

من رياض الشعر: يقول أمير الشعراء أحمد شوقى فى وصف الطبيعة:

● تلك الطبيعة قف بنا يا سارى

حتى أريك بديع صنع البارى

الأرض حولك والسماء اهتزتا

لروائع الآيات والإنشاد

● **ويقول الدكتور أحمدهيكل مناديا نبى الهدى:**

يا نبى الهدى شعوبك تدعو

فاسأل الله أن يجيب الدعاء

وعليك الصلاة مادق قلب

من قلوب العباد يرجو رجاء

ويقول الشاعر شريف حسين محمد مناديا القدس:

يا قدس أرضك لن تضيع حبيبتى

كفى الدموع وخففى الأحزانا

فالخير فينا لايزال سطوعه

يسرى يجمع بيننا شجعانا

قد عانقوها واحتووا بصدورهم

كل الرصاص وعزمهم قد بانا

من جوامع أدعية الرسول محمد ﷺ: «رب أعنى ولا تعن علىّ، وانصرنى ولا تنصر علىّ، وامكر لى ولا تمكر علىّ، واهدنى ويسر الهدى لى، انصرنى على من بغى علىّ، رب اجعلنى لك شكارا، ولك ذكارا، ولك وهّابا، بك مطواعا، لك أواها، إليك منيبا، رب تقبل توبتى، واغسل حوبتى، وأجب دعوتى، وثبت حجتى، وسدد لسانى، واهد قلبى،» فقه السنة للشيخ سيدسابق جـ١ ص٤٢٧، ٤٢٨.

الهوامش:

١ ـ كتاب مجموعة التوحيد لابن تيمية ص٦٧٠، ٦٧١.

٢ ـ كتاب الأنابيش أ. عبدالرحمن الضبع ص١٠٦.

٣ ـ قطوف أ. على الجندى اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٢٣٩.

٤ ـ من كتاب وصايا الرسول محمد ﷺ أ. طه عبدالباقى.

٥ ـ الأنابيش جـ٢ ص٧٢، ٧٣.

٦ ـ كتاب اللمع لأبى نصر سراج الطوسى.

أنت تسأل و الفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

بـر الوالديـن

السؤال من القارئة آمال حسن أحمد، الغنايم، تقول:

كيف يكون بر الوالدين بعد الوفاة؟

الجواب: الإجابة على ذلك جاءت فى حديث رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان أن رجلا من بنى سلمة قال للنبى ﷺ: هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: **«نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما من بعدهما».**

والمراد بالصلاة عليهما الدعاء لهما، كما فى قوله تعالى: **﴿وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾** التوبة: آية ١٠٣. أى ادع الله لهم.

وأما الصلاة المعروفة فقد جاء فى رواية للدارقطنى «إن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك وأن تصوم لهما مع صيامك» والمراد بالصلاة هنا صلاة النافلة، أما المفروضة فلا تصلى عن الميت ولا له.

كتابة كلام الله بالدم

السؤال من القارئ محمد أحمد بدير سرجان، المحلة الكبرى، يقول:

هل يجوز كتابة كلام الله بدم الإنسان؟ وما الحكم فيمن يكتبه بدم الغزال؟

الجواب: القرآن الكريم طاهر فى أعلى درجات الطهارة ولا يجوز مطلقا أن يكتب بحبر نجس أو بدم أو غير ذلك من النجاسات، نص على ذلك السيوطى فى كتابه «الإتقان» ج٢ ص١٧٠.

رد السرقة والتوبة

السؤال من القارئ.

ع.ح، س، القاهرة، يقول:

أخذ شخص ما مبلغا من أحد أصدقائه دون علمه ثم تاب، يريد رد هذا المبلغ فى صندوق الزكاة كى لا يكشف نفسه أمام صديقه؟ هل يجوز؟

الجواب: من سرق مالا من شخص وأراد أن يتوب فالواجب عليه أن يرد هذا المال لصاحبه إن كان حيا، أو لورثته إن كان ميتا، ولا يجوز مطلقا أن يخرج هذا المال كزكاة حتى لو كانت بنية أنها من صاحب المال إلا إذا لم يعثر على صاحبه أو ورثته.

ويمكنه أن يوصِّل هذا المال إلى صاحبه بطريقة سرية إذا كان يخشى اتهام صاحبه له أو يخشى شيئا أكبر من ذلك، كأن يلقيه فى بيته أو متجره دون علم أحد، أو يقدم له خدمة بدون مقابل تساوى ما أخذه منه أو بغير ذلك من الطرق.

مبايعة الله

السؤال من القارئ، أحمد محمد على، الجيزة، قال:

قال الله تعالى فى سورة الفتح: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهدعليهُ الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ الفتح: آية ١٠، لماذا قال سبحانه وتعالى، عليهُ ولم يقل عليهِ؟

الجواب: قال علماء اللغة: ضمير الغائب إذا كان متصلا وفى موضع جر بدخول حرف الجر عليه فحركته تختلف باختلاف آخر الحرف، فهو مضموم فيما عدا المفردة المؤنثة مع حرفى «مِنْ وعَنْ» ومكسور فيما عدا المفردة المؤنثة مع حروف «الباء وإلى وعلى» مثل «وسلام عليه» «أنعم الله عليهم».

أما قوله تعالى فى سورة الفتح: آية ١٠ **﴿ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله﴾** بضم الهاء فقال بعض العلماء: إنه استثناء من الأصل، لأن اسم الجلالة وهو «الله» إذا سبق بمجرور أو مكسور كان النطق به مرققا وليس مفخما، كما هو الحال فيما إذا كان قبله فتح أو ضم. وفى مقام العهد مع الله الذى يقتضى إظهار قوة الله وعظمته فى النطق بأسمائه كان ضم الضمير فى «عليه» ليكون النطق بلفظ الجلالة مفخما لا مرققا.

وقال آخرون: هناك لغتان فى «عليهم» لغة بكسر الهاء ولغة بضمها، وضمير المفرد المذكر يجىء على مثال الجمع، فما كسرت فيه الهاء فى المفرد فهو على لغة، وما ضُمّت فيه فهو على لغة أخرى، واللغتان عربيتان، والقرآن كله عربى.

هدم التماثيل التاريخية

السؤال من القارئ، ك. ع، من محافظة القاهرة، يقول:

هل وجود التماثيل الأثرية التاريخية فى الدول الإسلامية أمر محرم يجب علينا تدميرها رغم أنها لا تؤثر فى العبادات، بل تزيد من الدخل القومى للبلاد فى مجال السياحة؟

الجواب: معروف أن صنع المسلم للتماثيل حرام إذا كانت كاملة ومن مادة تدوم مدة طويلة ولم يكن هناك غرض صحيح من صنعها، فالتماثيل النصفية أو التى صنعت من عجين أو حلوى مثلا، أو كان هناك غرض صحيح لصنعها كوسائل إيضاح للتعليم فلا حرمة فيها، وإذا اتخذت لتعظيمها أو عبادتها كان الصنع حراما بل كفرا، وهذا أمر متفق عليه.

وغير المسلم لايطالب بفروع الشريعة على رأى للعلماء، ومن هنا فإن صُنْعه للتماثيل أو عبادتها هو المسئول عنها بعد بيان أنها من المنكرات.

وإذا كان البلد كله مسلما فإن إزالة المنكر واجبة، أما إذا كان فيه مسلمون وغير مسلمين فالموقف هو الإنكار الذى لا يؤدى إلى فتنة أو ضرر كبير.

وإذا لم تكن التماثيل للعبادة بل للتاريخ والآثار والاعتبار فلا ضرر فى بقائها، على ما قاله البعض، فقد دخل الإسلام بلادا وفيها آثار كثيرة منها التماثيل الباقية إلى الآن، ولم يثبت أن الولاة هدموها فالواقع شاهد على ذلك.

وعلى كل حال فلنضع أمام أعيننا أن إزالة المنكر إذا ترتب عليها منكر أكبر فلا تجب إزالته، ولنا عبرة بعدم تعرض الرسول والصحابة فى مكة للتماثيل حول الكعبة، بل كانوا يؤدون الصلاة عندها وهى قائمة، أما بعد الهجرة وتكوين الدولة القوية وفتح مكة وإسلام أهلها فقد أزيلت هذه الأصنام، وذلك للأمن من الضرر، والضرر يختلف من بلد إلى بلد، ومن زمن إلى زمن، فلابد من الاحتياط فى مثل هذه الأحوال.

القرض بفائدة

السؤال من القارئ، ص. ح. ص، من السيدة زينب، بمحافظة القاهرة، يقول:

هل يجوز الاقتراض من أحد البنوك بغرض شراء وحدة سكنية أو سيارة، وما حكم الدين إذا كان المقترض في حاجة للقرض للعلاج من مرض أو غيره؟

الجواب: من المتفق عليه أن القرض بفائدة محددة مشروطة حرام لأنه ربا، والحرام لا يجوز أبدا إلا عند الضرورة القصوى، التى تؤثر على النفس والمال والعرض والدين وغيرها، فالضرورات تبيح المحظورات على ما يستفاد من النصوص، قال الله تعالى: **﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾** البقرة: آية ١٧٣، مع مراعاة أن الضرورة تقدر بقدرها كما تشير إليه الآية.

صباغة شعر الرجال

السؤال من القارئ، رفاعى عبدالله عبادى، قنا، يقول:

ما حكم الدين فى الرجل الذى يصبغ شعره؟

الجواب: فى حديث رواه أبو داود «من كان له شعر فليكرمه» ووجوه الإكرام متعددة كالترجيل والتمشيط والإدهان، وقد تكلم العلماء قديما عن صبغ الشعر باللون الأسود فمنعه الأكثرون، ولكن أدلتهم منصبة على الرجال.

جاء فى كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلى: أن مذهب الحنابلة يسن تغيير الشيب، وفيه حديث الصحيحين **«إن اليهود والنصارى يصبغون فخالفوهم»**، ويستحب بالحناء كما فعل الرسول وأبو بكر وعمر، ولكنه يكره بالسواد، لحديث مسلم فى والد أبى بكر «وجنبوه السواد»، ويحرم الصبغ بالسواد عند الشافعية على الأصح.

ومما ورد فى النهى عن الصبغ بالسواد للرجل حديث أبى داود والنسائى بإسناد جيد **«يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة»**.

يقول بعض العلماء: إن النهى عن صبغ الرجل بالأسود، سواء أكان للتحريم أو الكراهة محله إذا قصد به التدليس، كالعجوز الذى يريد أن يتزوج شابة، أو قصد به الفتنة والإغراء، وبدون ذلك لا حرمة ولا كراهة، والأعمال بالنيات.

فى زكاة الحلى

السؤال من القارئة، ز. أ. م، من محافظة القاهرة، تقول:

هل تخرج الأسرة زكاة الحلى لكل أفرادها عن كمية الذهب المستخدمة للزينة لدى الأسرة كلها أم يتم الإخراج عن الذهب الخاص بكل فرد على حدة؟

الجواب: زكاة الحلى من الذهب تكون على كل فرد يلبسه، وليس على مجموع ما يلبسه أفراد الأسرة، فمن كان عندها حلى يبلغ النصاب، وهو حوالى خمسة وثمانين جراما من الذهب كان حكم الزكاة على قول من هذه الأقوال مادام الذهب للزينة وليس للادخار والاستثمار، القول الأول لا زكاة عليه عند مالك مهما بلغ وزنه، والثانى عليه زكاة عند أبى حنيفة مادام قد بلغ النصاب، وعند الشافعى: إن كانت كمية الذهب تتناسب مع الوضع الاقتصادى والاجتماعى للمرأة فلا زكاة عليه، فإن زادت عن المستوى المذكور وجبت فيه الزكاة، وهذا الرأى هو المعقول لأنه يجمع بين النصوص والآثار التى توجب الزكاة والتى لا توجبها، فهناك حديث رواه أحمد بسند حسن أن أسماء بنت يزيد دخلت هى وخالتها على النبى ﷺ وعليهما أسورة من ذهب فسألهما: «أتعطيان زكاته»؟ فقالتا: لا، فقال: «أما تخافان أن يسوركما الله أسورة من نار، أديا زكاته»، وهناك حديث آخر رواه البيهقى أن جابر بن عبدالله سئل عن الحلى فقال: لا زكاة فيه وإن كان يبلغ ألف دينار، وحديث رواه البيهقى أن أسماء بنت أبى بكر كانت تحلى بناتها بالذهب ولا تزكيه نحوا من خمسين ألفا، وغير ذلك من الأحاديث، فالذى أرجحه هو رأى الشافعى المذكور.

التكليف من المنظور الدينى والعقلى

السؤال من، محمد أحمد عمر، القاهرة، يقول: إذا كان الله عز وجل قدر كل شىء منذ بدء الخليقة فما دافع التكليف من المنظور العقلى والدينى؟

الجواب: صحيح أن الله قدَّر كل شىء قبل أن يخلقه، والتقدير علم بما سيحصل فى الكون، ولا أثر لعلم الله فى اختيار الإنسان لما يريده، فالإنسان لا يعلم ما قدره الله عليه إلا بعد أن يقع منه، ومن هنا كان عليه اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، التى بينها له على لسان الرسل، وهو حُرٌ فى اختيار الطاعة أو المعصية، ليكون جزاؤه مرتبطا بإرادته هو. كما قال الله تعالى: **﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾** الطور: آية ٢١، وقال سبحانه وتعالى: **﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾** فصلت: آية ٤٦، وفى عدم معرفة الإنسان الغيب وما قدره الله عليه يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾** الأعراف: آية ١٨٨.

وقد رد الله على المشركين زعمهم بأنهم معذورون فى الشرك لأن الله قدره عليهم فقال: **﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾** الأنعام: آية ١٤٨.

بناء المقابر بالطوب المحروق

السؤال من محفوظ محمد عليمى، أبو ريشة، كفر الشيخ، يقول:

ما حكم الدين فى بناء المقابر بالطوب الأحمر المحروق، وتأذى الموتى بذلك؟

الجواب: جاء فى تفسير القرطبى «ج١. ص٣٨١» قوله: ويكره الآجُرُّ فى اللحد، وقال الشافعى: لا بأس به، لأنه نوع من الحجر، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه، لأن الآجُر لإحكام البناء، والقبر وما فيه للبلى، فلا يليق به الإحكام، وعلى هذا يسوى بين الحجر والآجر.

وقيل: إن الآجر أثر النار، فيكره تفاؤلا، فعلى هذا يفرق بين الحجر والآجر.

هذا، وقد روى مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ نهى أن تجصص القبور، وفى لفظ النسائى: أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص، والتجصيص معناه الطلاء بالجص وهو الجير المعروف.

والجمهور حملوا النهى على الكراهة، وحمله ابن حزم على التحريم، والحكمة ما تقدم ذكره من أن القبر للبلى لا للبقاء، أو التفاؤل فلا يدخله عند التجصيص شىء أحرق بالنار، ويؤيده ما جاء عن زيد ابن أرقم أنه قال لمن أراد أن يبنى قبر ابنه ويجصصه، جفوت ولغوت، لا يقربه شىء مسته النار.

وكما كرهوا تجصيصه بالجير كرهوا بناءه بالطوب الأحمر المحرق بالنار، وذلك إذا لم تكن الأرض رخوة أو ندية، فإن كانت كذلك فلا كراهة.

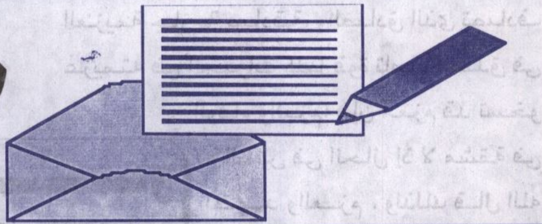

مع القراء

□ أ. حسين السكرى □

شباب الإسلام

للقارئ / الشيخ حبيشى حسن حسين، خطيب أوقاف بنى سويف:

نحمد الله أن شباب الإسلام عفيفة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، انضاء عبادة وأطلاح سهر؛ فالشباب أسبق فئات الأمم إلى قبول الدعوة، وسيدنا لوط عليه السلام كان أول من آمن بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وكان سيدنا لوط شابا كما جاء فى سورة العنكبوت حيث قال المولى تبارك وتعالى: **﴿فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم﴾** العنكبوت: آية ٢٦، والذين سبقوا إلى الإيمان بسيدنا موسى عليه السلام جماعة قليلة من الشباب كما ورد فى سورة يونس آية ٨٣: **﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين﴾**.وسيدنا إسماعيل عليه السلام يطيع والده امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى حيث جاء فى سورة الصافات الآية ١٠٢: **﴿فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾**، وكان الشباب من صحابة رسول الله ﷺ فى فكر ناضج وإيمان راسخ، قد نزل بشأنهم القرآن الكريم ومنهم على سبيل المثال وليس الحصر سيدنا سعد ابن أبى وقاص الذى أسلم وهو شاب، وقد قال الله سبحانه فى شأنه: **﴿وإن جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾** العنكبوت: آية ٨، وسيدنا على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وسيدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه عندما أتى النبى ﷺ الوحى وأخبر خديجة - رضى الله عنها - وصدقت به، كانت هى وسيدنا على وسيدنا زيد بن حارثة يصلون معه، وسيدنا يوسف عليه السلام تعرض للفتنة والإغراء من زوجة العزيز وهو فى ريعان الشباب، ولكنه خرج من التجربة نقيا تقيا طاهرا أبيا، وقد تحدث عنه رسول الله: عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: عن سيدنا يوسف: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم» وغير ذلك كثير.

❖❖❖

الشباب دائما هم الطلائع التى تضىء المكان والزمان، لأنهم بسواعدهم الفتية وقلوبهم الزكية ونفوسهم الأبية يشكلون عنصرا فعالا فى حياتنا التى نحياها فلهم تأثيرهم القوى وصلابتهم المتينة وإقناعهم السريع فى نفوس الآخرين ولهم رهبتهم وشدتهم وبطشهم إذا دعت الحاجة ولزم الأمر، فحرى بشبابنا الأماثل أن يتخذوهم قدوة وأسوة لهم، ومن هنا يكون نجاحهم وفلاحهم وصلاحهم.

للقارئ / محمد عبدالخالق أحمد الحسين، محلة زياد - سمنود - غربية

الصدق

قال الله تعالى: ﴿**رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه**﴾ الأحزاب: آية ٢٣، ونعلم أن لفظ الصدق يستعمل فى كثير من المعانى، منها: الصدق فى القول، والنية والإرادة وفى العزم وفى الوفاء بالعزم وفى العمل؛ وفى تحقيق مقامات الدين، فصدق اللسان ألا يتكلم صاحبه إلا بالصدق، فمن حفظ لسانه فإنه صادق، والثانى: ويرجع إلى الإخلاص فى النية والإرادة، وهو ألا يكون له باعث فى الحركات والسكنات إلا الله - سبحانه - فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية، ويجوز أن يسمى صاحبه كاذبا، أما صدق العزم: فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول فى نفسه؟ إن رزقنى الله مالا تصدقت به جميعا أو بشطر منه وإن أعطانى الله ولاية عدلت فيها ولم أعص الله بظلم فيه، فهذه العزيمة جازمة صادقة، والصادق الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوة تامة، الصدق فى الوفاء والعزم؛ فإن العزم قد تسخو به النفس فى الحال إذ لا مشقة فى العهد والعزم، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه**﴾، أما الصدق فى العمل: وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه، فالرسول ﷺ يقول: «**اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة**»، ومسك الختام هو الصدق فى مقامات الدين، وهو أرقى المقامات وأعلاها: كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب، والصادق من نال تلك الحقيقة، فإذا غلب الشىء وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ (١٠)

السؤال : وكان الشباب من صحابة رسول الله ﷺ فى فكر ناضج وإيمان راسخ قد نزل بشأنهم القرآن الكريم ومنهم على سبيل المثال وليس الحصر سيدنا سعد بن أبى وقاص.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنـــــوان : ....

العمـــــل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفـــون :** ....

رقم البطاقـــة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢١هـ حتى شعبان ١٤٢٢هـ.

بريد التعارف
أهلاً

الاسم : أحمد رمضان صديق
الهواية : ترتيل القرآن الكريم
العنوان : قنا ـ دشنا ـ أبو مناع بحرى

الاسم : عادل كامل سلام
الهواية : قراءة القرآن الكريم
العنوان : سوهاج ـ مركز جرجا

الاسم : حمدى كليب فرج فراج
الهواية : قراءة وتفسير القرآن
العنوان : سوهاج ـ دار السلام

الاسم : أكرم جمعة عبدالرحيم
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان : أسوان ـ كوم امبو ـ فارس

الاسم : محمد سيف الدين فرج البدوى
الهواية : قراءة القرآن والرسم والزخرفة
العنوان : العامرية ـ مركز المحلة الكبري ـ محافظة الغربية

الاسم : محمد أحمد بدير سرحان
الهواية : المراسلة ـ ورسم الزخارف الإسلامية
العنوان : المحلة الكبرى ـ ص. ب: ٢١٧

الاسم : علاء عمر حميد
الهواية : الخطابة والاطلاع الدينى
العنوان : كفر العرب ـ قليوب

الاسم : على عمر حميد
الهواية : القراءة وكتابة الشعر
العنوان: كفر العرب ـ قليوب

الاسم : أحمد محمد مصطفى خليل قشطة
الهواية : قراءة الكتب الدينية ومشاهدة الأفلام الدينية
العنوان : ٤٦٦ ش سكة الوايلى - حدائق القبة - محافظة القاهرة

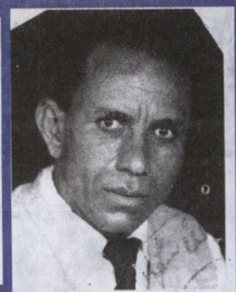

الاسم : السيد عبدالكريم رزق
الهواية : الخطابة والاطلاع والتعارف
العنوان : دروة . أشمون - منوفية

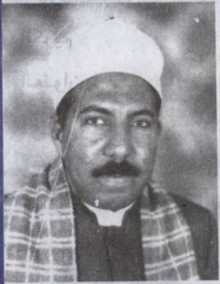

الاسم : محمود فراج عبداللطيف محمود
الهواية : الخطابة وقراءة القرآن
العنوان : مسجد الصحابة القبلى - المنشأة شارع الحرية . سوهاج

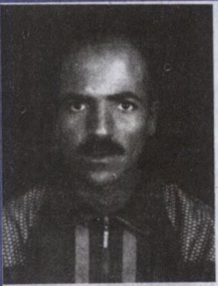

الاسم : عبدالخالق مسعود العبد
الهواية : المراسلة . قراءة الكتب الدينية
العنوان : قنا . دشنا . أبو مناع بحرى - ش الشيخ الطوابى

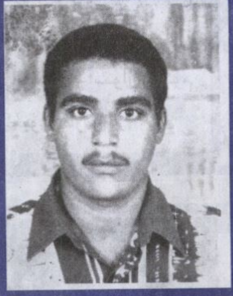

الاسم : عبدالعاطى أحمد عسران
الهواية : قراءة القرآن والكتب الدينية
العنوان : قنا . دشنا . أبو مناع بحرى - ش الشيخ الطوابى

الاسم : على أحمد على العراقى
الهواية : المراسلة والتعارف والقراءة
العنوان : شارع فلسطين . ڤيلا الحاج أحمد العيسوى . بلقاس . دقهلية

الاسم : عباس حسان عبدالسلام
الهواية : المراسلة - والتعارف والقراءة
العنوان: الجوادية . بسنديلة - دقهلية - مصر

الاسم : فرج إبراهيم حسن حطب
الهواية : تلاوة القرآن . وقراءة ومشاهدة وسماع البرامج الدينية
العنوان : الحواوشة . المنصورة - دقهلية

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ كلمة التحرير		١
□ حديث الشهر (واقدساه.. بل وإسلاماه)	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
● حين كان المسلمون سادة أهل الأرض (شعر)	محمد التهامي	٦
● شارون، ميلوسوفيتش، بينوشيه (الأشباه والنظائر)	د. عبدالله الأشعل	٨
● مع المتنبي في شعر الوصف	أ. د. طه مصطفى أبو كريشة	١٢
□ القرآن الكريم وعلومه		١٥
● تفسير سورة النجم	أ. د. محمد سيد طنطاوى	١٦
● خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف	أ. د. عبدالعظيم المطعنى	٢٠
● الزيتون الشجرة المباركة	ولاء مجدى حلمى	٢٧
□ دراسات فى السنة المطهرة		٣٣
● دفاع عن حجية السُنة	أ. د. أحمد عمر هاشم	٣٤
● مؤامرة الصمت (شعر)	د. سمير القاضى	٣٨
□ الحضارة والعلوم		٣٩
● آيات الله فى خلق القلب	أ. د. عبدالمعبود عمارة	٤٠
● تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض	د. حسنى حمدان حمامة	٤٣
● الدين والعلم والأخلاق فى شعر حافظ	أ. د. محمد مصطفى سلام	٤٧
● أضواء على قادة الصف الثانى فى حركة الفتوح الإسلامية	د. حامد غنيم أبو سعيد	٥٠
● الحياة الدينية فى جمهورية أوزبكستان	بقلم: بختيار عبدالصادق	٥٣
□ المكتبة الإسلامية		٥٧
● دراسة تحليلية لمقدمة كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة	مصطفى كامل خطاب	٥٨
● حائط البراق والذى سماه اليهود ظلما وعدوانا حائط المبكى	عرض وتحليل: كمال عبدالوهاب	٦٢
□ شخصيات إسلامية		٦٧
● إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه	فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف	٦٨
● حُجْر بن عدي (صاحب الموقف البطولى)	أ. د. محمد رجب البيومى	٧٢
● هل كان الرشيد صاحب دنيا فقط؟	أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى	٧٧
● القاضى أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم	أ. د. آمنة نصير	٨١
● الطفولة فى الإسلام	د. محمد حسن غانم	٨٦
□ الدعوة والدعاة		٩٣
● آيات التحدى والعجز البشرى	أ. د. عبدالرشيد سالم	٩٤
● متى تطلق زوجة المحبوس؟	المستشار حسن حسن منصور	٩٧
● الإسلام والإنسانية	الشيخ معوض عوض إبراهيم	١٠١
● وراء الأخبار	إعداد: منير بيومى	١٠٥
● مسجد زين العابدين	محمد كامل شاهين	١٠٩
● حوار مع وزير الأوقاف الجزائرى	محسن عبدالفتاح	١١٥
● حلول إسلامية لمشكلة البطالة	تحقيق: بدر الدين السيد	١٢٠
● طريق وردى وعمل غير مشروع	تحقيق: مصطفى إبراهيم خيان	١٢٩
● قطوف	إعداد: محمد مصطفى قشطة	١٣٤
□ أنت تسأل والفقيه يجيب	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٣٦
□ مع القراء	يحرره حسين السكرى	١٤١
□ بريد التعارف		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر